رسالة شرعية عالمية

معهد المنهج الدراسي الميسر

كتب المنهج الدراسي الميسر
والزوائد عليه

المنهج الدراسي

كتب العقيدة

المستوى الرابع ويشمل ١٧ كتابًا متدرجة

من شرح مختصر السنة لابن أبي زمنين وحتى شرح الطحاوية الكبير

الجزء الثاني من المستوى الرابع

تأليف

أبي عبد الله محمد المصنعي

وفقه الله تعالى



معهد المنهج الدراسي الميسر

من المستـــوى الأول إلى الثـــاني عشـــر

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الأول والآخر، والظاهر والباطن، وأشهد أن لا إله إلا اللهُ وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه.

أما بعد:

فهذا مجموع كتب العقيدة التي ألفتها أو علقت عليها، مرتبة حسب التدرج العلمي لهذا الفن، وقد سبق المستوى الأول والثاني والثالث، وهذا المستوى **الرابع**، وينقسم إلى أربعة:

الجزء الأول، وفيه: (شرح أصول السنة لابن أبي زمنين) ، و(شرح هذه دعوتنا وعقيدتنا).

والجزء الثاني واشتمل على: (القواعد المثلى) و(شرح لمعة الاعتقاد) ثم (التعليق على الطحاوية).

و**الجزء الثالث** وفيه: (الملخص في أصول أهل السنة)، و(والملخص في أصول الإسلام،)، ثم (علامات أهل البدع)، (شرح قصيدة: ستعلو السنة الغراء) ثم (دراسات في الفرق والطوائف والنحل) (إقامة الحجة والدليل على خطأ من خلط الغيبة بالجرح والتعديل).

و**الجزء الرابع**: (شرح القوا المفيد الكبير) (شرح الطحاوية الكبير) (المختصر المفيد في أصول أهل السنة وأصول أهل البدع) و(المختصر المفيد في أصول الإسلام وأصول الملل والنحل) (المنتقى من أصول السنة للالكائي)، ولأن هذه الكتب كبار فيطبع كل كتاب بمفرده.

ونسأل الله تعالى أن ينفع به المسلمين في كل مكان، وأن يكتب لنا الأجر والثبات.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

كتبه أبو عبد الله المصنعي

وفقه الله تعالى ١٤٤٦

****

القواعدُ المُثلَى

في

صفاتِ اللهِ تعالى

وأسْمائِهِ الحُسنى

للشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى

تحقيق وتعليق

أبي عبد الله محمد المصنعي

وفقه الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المحقق

الحمد لله رب العالمين الحق المبين، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا نظير، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه أجمعين،

أما بعد:

فهذا تحقيق وتعليق على كتاب (القواعد المثلى)، للشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى ورفع درجته.

وهو من أحسن الكتب في قواعد العقيدة في باب الأسماء والصفات، وقد اقتبس المؤلف قواعده أو أكثرها من كتاب (بدائع الفوائد) لابن القيم ثم شرحها فأبدع فيه وأجاد؛ ولذا فإنه يدرس في دور الحديث باليمن وغيرها.

وأسأل الله تعالى التوفيق والسداد وحسن الخاتمة.

كتبه أبو عبد الله المصنعي

١٤٢٢هـ اليمن / دماج

ت٧٧٧٨٢٤٦٤٣

****

تقديم لسماحة الشيخ

عبد العزيز بن عبد الله بن باز

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وأصحابه، ومن اهتدى بهداه.

أما بعد: فقد أطلعت على المؤلف القيم الذي كتبه صاحب الفضيلة العلامة أخونا الشيخ محمد بن صالح العثيمين، في الأسماء والصفات وسماه " القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى " وسمعته من أوله إلى آخره، فألفيته كتاباً جليلاً، قد اشتمل على بيان عقيدة السلف الصالح في أسماء الله وصفاته، كما اشتمل على قواعد عظيمة وفوائد جمة في باب الأسماء والصفات، وأوضح معنى المعية الواردة في كتاب الله –عز وجل –الخاصة والعامة عند أهل السنة والجماعة، وأنها حق على حقيقتها، لا تقتضي امتزاجاً واختلاطاً بالمخلوقين، بل هو –سبحانه –فوق عرشه كما أخبر عن نفسه، وكما يليق بجلاله –سبحانه –وإنما تقتضي علمه واطلاعه وإحاطته بهم، وسماعه لأقوالهم وحركاتهم، وبصره بأحوالهم وضمائرهم، وحفظه وكلاءته لرسله وأوليائه المؤمنين، ونصره لهم، وتوفيقه لهم إلى غير ذلك مما تقتضيه المعية العامة والخاصة من المعاني الجليلة، والحقائق الثابتة لله –سبحانه –كما اشتمل على إنكار قول أهل التعطيل، والتشبيه، والتمثيل، وأهل الحلول والاتحاد، فجزاه الله خيراً، وضاعف مثوبته، وزادنا وإياه علماً وهدىً وتوفيقاً، ونفع بكتابه القراء وسائر المسلمين، إنه ولي ذلك، والقادر عليه.

قاله مُمليه الفقير إلى الله تعالى، عبد العزيز بن عبد الله بن باز سامحه الله.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وآله وصحبه.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤلف

الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان، وسلم تسليما[١].

وبعد :

فإن الإيمان بأسماء الله وصفاته أحد أركان الإيمان بالله تعالى، وهي الإيمان بوجود الله تعالى، والإيمان بربو بيته، والإيمان بألوهيته، والإيمان بأسمائه وصفاته[٢].

وتوحيد الله به أحد أقسام التوحيد[٣] الثلاثة :توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات.

---

(١) ـ ابتدأ الشيخ رحمه الله تعالى كتابه بالبسملة اقتداء بكتاب الله عز وجل وفعل النبي صلى الله عليه وسلم ففي الصحيحين من حديث ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم كتب إلى هرقل فقال : (... بسم الله الرحمن الرحيم ..... الخ) (خ٧) (م ١٧٧٣) وهكذا سنة الأنبياء من قبله عليهم الصلاة والسلام كما ذكر الله عز وجل عن كتاب سليمان ((إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم ...)) الآيات
ثم تلاها بخطبة الحاجة لما اشتملت عليه هذه الخطبة من حمد الله عز وجل وطلب العون منه و الاستعاذة به من الشرور والشهادة بتوحيد الله عز وجل والشهادة برسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وغير ذلك مما ليس في غيرها من الفواتح وقد سبق شرح هذه الخطبة مفصلاً في شرح القواعد والحمد لله رب العالمين

(٢) ـ قال ابن تيمية رحمه الله تعالى : ومن الإيمان بالله الإيمان بما وصف به نفسه في كتابه وبما وصفه به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل .. . الواسطية

(٣) ـ هو إفراد الله عز وجل بالربوبية و الألوهية والأسماء والصفات

فمنزلته في الدين عالية[١]، وأهميته عظيمة، ولا يمكن أحد أن يعبد الله على الوجه الأكمل حتى يكون على علم بأسماء الله تعالى وصفاته، ليعبده على بصيرة[٢]، قال الله تعالى ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا[٣]﴾[٤] وهذا يشمل دعاء المسألة، ودعاء العبادة[٥].

فدعاء المسألة :أن تقدم بين يدي مطلوبك من أسماء الله تعالى ما يكون مناسباً مثل أن تقول :يا غفور اغفر لي، و يا رحيم ارحمني .و يا حفيظ احفظني .ونحو ذلك[٦].

ودعاء العبادة :أن تتعبد لله تعالى بمقتضى هذه الأسماء، فتقوم بالتوبة إليه؛ لأنه التواب، وتذكره بلسانك لأنه السميع، وتتعبد له بجوارحك لأنه البصير، وتخشاه في السر لأنه اللطيف الخبير، وهكذا.

ومن أجل منزلته هذه، ومن أجل كلام الناس فيه بالحق تارة[٧] وبالباطل[١] الناشئ عن الجهل[٢] أو التعصب[٣] تارة أخرى، أحببت أن أكتب فيه ما تيسر من القواعد، راجياً من الله تعالى أن يجعل عملي خالصاً لوجهه، موافقاً لمرضاته، نافعاً لعباده[٤].

---

(١) أي: مكانته الرفيعة وأهميته العظيمة

(٢) انظر نحو هذا الكلام لابن القيم (المدارج ١/ ٩٧) وانظر أهمية العقيدة في الفتاوى ١٧/ ١٠٥ / الأسماء والصفات للأشقر ص ٢٠ / الطحاوية ص ٦٩ / الفتح ١٣/ ١٧٧-١٩٢ وغيرها

(٣) الأمر بالدعاء بها يتضمن الأمر بمعرفتها لأنه لا يمكن الدعاء بها إلا بعد معرفتها

(٤) الأعراف١٨٠

(٥) قال ابن القيم رحمه الله تعالى: فكل دعاء عبادة مستلزم لدعاء المسألة وكل دعاء مسألة متضمن لدعاء العبادة (البدائع / ٣/ ٣)

(٦) وهذا هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم كما في الأحاديث الكثيرة في أدعيته.

(٧) وهو كلام أهل السنة والجماعة.

وسميته" :الواعد المثلى في صفات الله تعالى وأسمائه الحسنى."

****

(١) ـ وهو كلام أهل البدع والضلال

(٢)ـ كما قال تعالى عن قوم موسى ((قالوا يا موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون)) أي بعظمة ربكم وحقوقه.

وقال نوح لقومه ((ولكني أراكم قوماً تجهلون)) وغيرها من الآيات التي تدل على أن أعظم أسباب الضلال هو الجهل فاحرص رحمك الله تعالى على العلم تنجو وتهتدي إن شاء الله تعالى .

(٣) ـ وأكثر دواعي التعصب ضعف الوازع الديني والجهل بالحق

(٤) ـ وقد فعل سبحانه وتعالى فنفع به العباد وإني أسأل الله الكريم ذلك في تعليقي هذا .

قواعد في أسماء الله تعالى[١]

القاعدة الأولى[٢] :أسماء الله[٣] تعالى كلها حسنى:

أي بالغة في الحسن غايته[٤]، قال الله تعالى﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾٥ [٦].(وذلك لأنها متضمنة لصفات كاملة[٧] لا نقص فيها بوجه من الوجوه، لا احتمالاً ولا تقديراً[٨].

---

(١) القواعد جمع قاعدة وهي في اللغة : الأساس الذي يبنى عليه .. اصطلاحاً : هي أصل يبنى عليه عدة مسائل أو أحكام والقاعدة تؤخذ من الأدلة من الكتاب والسنة كما ستراه إن شاء الله تعالى

(٢) غالب هذه القواعد مأخوذ من البدائع ١/ ١٦٢-١٦٣

(٣) أسماء الله تعالى أعلام تدل على ذاته، تتضمن إثبات صفات الكمال المطلق لله عز وجل وتنزيهه عن كل عيب ونقص أ.هـ .

(٤) قال الشيخ رحمه الله تعالى في شرحه : معناه: التي ليس شيء وراءها في الكمال فتكون (غايته) بمعنى كماله.

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى : أسماء الله كلها كمال محض وله من الكمال أكمله فليس من الأسماء أحسن منها ولا يقوم غيرها مقامها ولا يؤدي غيرها معناها / البدائع ١/ ١٦٧ وانظر الفتاوى ٦/ ٧١

(٥) سورة الأعراف، الآية: ١٨٠.

(٦) الحسنى: جمع أحسن. وانظر كلاماً نفيساً في العواصم لابن الوزير (٧/ ٢٢٨) و(إيثار الحق على الخلق / ١٦٦)

(٧) قال ابن القيم : أسماء الرب تبارك وتعالى دالة على صفات كماله .. فهي أسماء وهي أوصاف وبذلك كانت حسنى (المدارج ١/ ٣٦-٣٧) ولأن هذه الأسماء تدل على أكمل وأحسن مسمى وهو الله عز وجل. القواعد الكلية/ ١٠١

(٨) الاحتمال: ما يحتمل النقص في بعض الحالات مثل " الماكر" فإن المكر لا يكون كمالاً إلا في حالة المقابلة، وليس على الإطلاق، فلا يصح أن يكون اسماً لله تعالى

مثال ذلك" :الحي[١]"اسم من أسماء الله تعالى، متضمن للحياة الكاملة التي لم تسبق بعدم، ولا يلحقها زوال .الحياة المستلزمة لكمال الصفات من العلم، والقدرة، والسمع، والبصر وغيرها.

ومثال آخر" :العليم[٢]"اسم من أسماء الله متضمن للعلم الكامل، الذي لم يسبق بجهل، ولا يلحقه نسيان، قال الله تعالى ﴿عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لا يَضِلُّ رَبِّي وَلا يَنْسَى﴾٣ .(العلم الواسع المحيط بكل شيء جملة وتفصيلاً[٤]، سواء ما يتعلق بأفعاله، أو أفعال خلقه، قال الله تعالى ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ[٥]﴾﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ[٦]﴾ ﴿يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ[٧]﴾

-(ولا تقديراً) وهو المشتق من الأفعال " كالنازل " من النزول " " والجائي " من " المجيء " ونحوها فلو كانت كاملة الحسن لسمى الله عز وجل بها نفسه.

(١) دليله قوله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ﴾ .

(٢) دليله قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾.

(٣) سورة طه، الآية: ٥٢.

(٤) رد على الفلاسفة والقدرية ومن ضل كضلالهم في علم الله عز وجل الذي يقولون يعلم الكليات دون الجزئيات أو لا يعلم إلا بعد وقوع الفعل .. وكل هذا كفر والعياذ بالله تعالى ... وانظر الروضة الندية شرح الواسطية ص ٧١ وانظر الفتاوى (٩/ ٢٤٩)

(٥) سورة الأنعام، الآية ٥٩.

(٦) سورة هود، الآية: ٦.

(٧) سورة التغابن، الآية: ٤.

ومثال ثالث" :الرحمن" اسم من أسماء الله تعالى متضمن للرحمة الكاملة، التي قال عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الله أرحم بعباده من هذه بولدها)[١] يعني أم صبي وجدته في السبي فأخذته وألصقته ببطنها وأرضعته، ومتضمن أيضاً للرحمة الواسعة التي قال الله عنها﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ[٢]﴾ وقال عن دعاء الملائكة للمؤمنين: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْماً[٣]﴾.

والحُسن في أسماء الله تعالى يكون باعتبار كل اسم على انفراده، ويكون باعتبار جمعه إلى غيره، فيحصل بجمع الاسم إلى الآخر كمال فوق كمال[٤].

مثال ذلك " العزيز الحكيم". فإن الله تعالى يجمع بينهما في القرآن كثيراً .فيكون كل منهما دالاً على الكمال الخاص الذي يقتضيه، وهو العزة في العزيز، والحكم والحكمة في الحكيم، والجمع بينهما دال على كمال آخر وهو أن عزته تعالى مقرونة بالحكمة، فعزته لا تقتضي ظلماً وجوراً وسوء فعل، كما قد يكون من أعزاء المخلوقين، فإن العزيز منهم قد تأخذه العزة بالإثم، فيظلم ويجور ويسيء التصرف .وكذلك حكمه تعالى وحكمته مقرونان بالعز الكامل بخلاف حكم المخلوق وحكمته فإنهما يعتريهما الذل.

****

---

(١) (خ ٥٩٩٩) (م ٢٧٥٤) من حديث عمر رضي الله عنه

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٥٦.

(٣) سورة غافر، الآية: ٧.

(٤) قال ابن القيم رحمه الله تعالى : إذا اقترن اسم بآخر دل على صفة أخرى وذلك قدر زائد على مفرديهما نحو الغني الحميد ، العفو الغفور ، وهكذا عامة الأسماء المقترنة أو الصفات المقترنة والأسماء المزدوجة في القرآن فتأمله فإنه من أشرف المعارف / البدائع ١/ ١٦١ .

القاعدة الثانية[١] :أسماء الله تعالى أعلام وأوصاف[٢]

أعلام باعتبار دلالتها على الذات، وأوصاف باعتبار ما دلت عليه من المعاني[٣]، وهي بالاعتبار الأول مترادفة لدلالتها على مسمى واحد، وهو الله –عز وجل –وبالاعتبار الثاني متباينة[٤] لدلالة كل واحد منها على معناه الخاص فـ"الحي، العليم، القدير، السميع، البصير، الرحمن، الرحيم، العزيز، الحكيم ."كلها أسماء لمسمى واحد، وهو الله سبحانه وتعالى، لكن معنى الحي غير معنى العليم، ومعنى العليم غير معنى القدير[٥]، وهكذا.

وإنما قلنا بأنها أعلام وأوصاف، لدلالة القرآن عليه .كما في تقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ[٦] ﴾ وقوله: ﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ[١] ﴾ فإن الآية الثانية دلت على أن الرحيم هو

---

(١) انظرها في البدائع (١/ ١٦٢) القواعد الكلية (ص ٢٤٣) التنبيهات السنية ص ٢٠ وغيرها

(٢) أعلام جمع علم : وهو الاسم الدال على مسمى – وتقدم الكلام عليه – وأوصاف : جمع وصف (وصفات الله عز وجل : هي نعوت الجلال والكمال المطلق القائمة بذات الله عز وجل) وانظر الفتاوى ٣/ ٣٣٥ منهج أهل السنة ومنهج الأشاعرة (٢/ ٤٠٠)

(٣) قال ابن القيم رحمه الله تعالى : أسماء الله تعالى أعلام وأوصاف والوصف بها لا ينافي العلمية بخلاف أوصاف العباد ... البدائع ١/ ١٦٢ .

(٤) (مترادفة) متفقة في الدلالة على مسمى واحد.

(متباينة) مفترقة في المعنى واللفظ

(٥) قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى : والله سبحانه وتعالى أخبر أنه عليم قدير سميع بصير ... إلى غير ذلك من أسمائه وصفاته فنحن نفهم من ذلك ونميز بين العلم والقدرة وبين الرحمة والسمع والبصر ونعلم أن الأسماء كلها اتفقت في دلالتها على ذات الله عز وجل مع تنوع معانيها فهي متفقة من حيث الذات مختلفة من حيث الصفات. الفتاوى ٣/ ٥٩.

(٦) سورة يونس، الآية: ١٠٧.

المتصف بالرحمة .ولإجماع أهل اللغة والعرف أنه لا يقال :عليم إلا لمن له علم، ولا سميع إلا لمن له سمع، ولا بصير إلا لمن له بصر، وهذا أمر أبين من أن يحتاج إلى دليل.

وبهذا عُلم ضلال من سَلَبوا(٢) أسماء الله تعالى معانيها من أهل التعطيل(٣) وقالوا :إن الله تعالى سميع بلا سمع، وبصير بلا بصر، وعزيز بلا عزة وهكذا ..وعللوا ذلـك بـأن ثبـوت الصـفات يستلزم تعدد القدماء(٤) .وهذه العلة عليلة(٥) بل ميتة لدلالة السمع والعقل على بطلانها.

أما السمع(٦) :فلأن الله تعالى وصف نفسه بأوصاف كثيرة، مع أنه الواحد الأحد .فقال تعالى:

﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ *إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ *وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ *ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ *فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ(٧)﴾ وقال تعالى: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى *الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى *وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى *

---

(١) سورة الكهف، الآية: ٥٨.

(٢) أي نفوا

(٣) وهم الذين نفوا صفات الله عز وجل أو بعضها من الجهمية والمعتزلة و الأشاعرة والماتريدية والمفوضة ومن جرى مجراهم .

(٤) أي : تعدد الذوات القديمة مع الله عز وجل قالوا : إذا أثبتنا الصفات فقد أثبتنا لله عـز وجـل أكثـر مـن ذات .

أو أثبتنا مع الله عز وجل ذوات أخرى ومن المعلوم أن الله عز وجل لا نظير له ولا شريك في قِدمه – أي أزليته –

(٥) شديدة العلة وهو المرض والسقم

(٦) أي المسموع وهو الوحي – القرآن والسنة .

(٧) سورة البروج، الآيات: ١٢ – ١٦.

وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى *فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى[١]﴾ ففي هذه الآيات الكريمة أوصاف كثيرة لموصوف واحد، ولم يلزم من ثبوتها تعدد القدماء .

وأما العقل[٢]: فلأن الصفات ليست ذوات بائنة[٣] من الموصوف، حتى يلزم من ثبوتها التعدد، وإنما هي من صفات من اتصف بها، فهي قائمة به، وكل موجود فلابد له من تعدد صفاته[٤]، ففيه صفة الوجود، وكونه واجب الوجود[٥]، أو ممكن الوجود[٦]، وكونه عيناً قائماً بنفسه[٧] أو وصفاً في غيره.

---

(١) الأعلى

(٢) الصحيح السليم من أمراض الشبه والأعراض قال ابن تيمية رحمه الله تعالى : العقل الصريح لا يخالف النقل الصحيح أ . هـ

(٣) أي منفصلة .

(٤) مثال " رجل من الناس : طويل و ذكي وعالم وتقي ... الخ...،فهل يقال أن هذا الرجل قد صار أربعة لوجود أربع صفات له ؟ الجواب لا يقال هذا .

(٥) أي : لازم وجوده وهو الله عز وجل لأن المخلوق لا بد له من خالق وأول من أطلق هذه التسمية على الله عز وجل هو ابن سيناء لا رحمه الله تعالى فكان الأولى العدول إلى لفظ آخر والله أعلم .

(٦) وهو المخلوق فوجوده ممكن وعدمه ممكن وهذا أيضاً من ذاك .

(٧) الذي يقوم بنفسه هو ما له ذات مستقلة عن غيرها مثال " الإنسان ، القلم ، الجبل وغيرها وهو عكس الوصف فإنه لا يقوم إلا بغيره فلا يمكن أن توجد صفة بلا موصوف "

فائدة :المضاف إلى الله قسمان

(أ) إضافة عين قائمة بنفسها وتسمى إضافة مخلوق إلى الخالق ونحوها مثال " روح الله " " بيت الله " " عبد الله " ونحوها وتكون للتشريف نحو " رسول الله " أو لغيره مثل " أرض الله "

(ب) إضافة وصف إليه سبحانه وتعالى وتسمى إضافة صفة إلى الموصوف مثال " يد الله " " علم الله " " نزول الله " ونحوها.

وبهذا أيضاً علم أن "الدهر" ليس من أسماء الله تعالى؛ لأنه اسم جامد لا يتضمن معنى[١] يلحقه بالأسماء الحسنى، ولأنه اسم للوقت والزمن، قال الله تعالى عن منكري البعث﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ[٢]﴾ يريدون مرور الليالي والأيام.

فأما قوله صلى الله عليه وسلم: (قال الله –عز وجل :-يؤذيني ابن آدم يسب الدهر[٣]، وأنا الدهر، بيدي الأمر أقلب الليل والنهار) [٤] فلا يدل على أن الدهر من أسماء الله تعالى؛ وذلك أن الذين يسبون الدهر إنما يريدون الزمان الذي هو محل الحوادث، لا يريدون الله تعالى، فيكون معنى قوله" :وأنا الدهر"ما فسره بقوله: (بيدي الأمر أقلب الليل والنهار)، فهو سبحانه خالق الدهر وما فيه، وقد بين أنه يقلب الليل والنهار، وهما الدهر، ولا يمكن أن يكون المقلِّب)بكسر اللام (هو المقلَّب) بفتحها وبهذا تبين أنه يمتنع أن يكون الدهر في هذا الحديث مراداً به الله تعالى[٥].

---

(١) أي : صفة لأن الجامد لا تشتق منه صفة

(٢) سورة الجاثية، الآية: ٢٤.

(٣) ذكر ابن القيم رحمه الله تعالى مفاسد سب الدهر

١ – سب من ليس يستحق السب.

٢– أن سبه متضمن للشرك فإنما سبه لأنه ظن أنه يضر وينفع من دون الله سبحانه وتعالى.

٣– أن السب ربما يقصدون به من فعل تلك الأمور – وهو الله عز وجل – وهذا من عظيم الإلحاد. أ . هـ بتصرف الزاد ٢/ ٣٥٤ / الفتاوى ٢/ ٤٩٤.

(٤) (خ ٧٤٩١) (م ٢٢٤٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٥) ويضاف إلى ما سبق أن الدهر عين قائم بذاته فتكون إضافته إلى الله عز وجل من باب إضافة المخلوق إلى الخالق أو بمعنى : إضافة ملك وتصرف . وشذ ابن حزم وغيره فعده من أسماء الله تعالى كما في المحلى في كتاب

القاعدة الثالثة[١] :أسماء الله تعالى إن دلت على وصف متعد[٢]، تضمنت ثلاثة أمور:

أحدها :ثبوت ذلك الاسم لله عز وجل. الثاني :ثبوت الصفة التي تضمنها لله عز وجل.

الثالث :ثبوت حكمها ومقتضاها.

ولهذا استدل أهل العلم على سقوط الحد عن قطاع الطريق بالتوبة، استدلوا على ذلك بقوله تعالى: ﴿إِلا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ[٣]﴾؛ لأن مقتضى هذين الاسمين أن يكون الله تعالى قد غفر لهم ذنوبهم، ورحمهم بإسقاط الحد عنهم.

مثال ذلك: "السميع" يتضمن إثبات السميع اسماً لله تعالى، وإثبات السمع صفة لهن وإثبات حكم ذلك ومقتضاه وهو أنه يسمع السر والنجوى كما قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ[٤]﴾

وإن دلت على وصف غير متعد[٥] تضمنت أمرين:

أحدهما :ثبوت ذلك الاسم لله عز وجل.

الثاني :ثبوت الصفة التي تضمنها لله عز وجل.

مثال ذلك: "الحي" يتضمن إثبات الحي اسماً لله – عز وجل – وإثبات الحياة صفة له.

الأيمان والنذور المجلد الثامن (٨/ ٣١) وارجع للباب: الفتاوى ٩/ ٢٩١ ، ٢/ ٤٩١ – ٤٩٥ / الفتح ٢/ ٥٧٥ مختصر الصواعق / ٢٥١ . وغيرها

(١) انظرها في البدائع (١/ ١٦٢)

(٢) أي متعدٍ إلى الخلق وهو أن يكون الاسم مشتمل على صفة لها أثر في الخلق.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٣٤.

(٤) سورة المجادلة، الآية: ١ .

(٥) أي لازم لا يشتق منه فعل قال ابن القيم رحمه الله تعالى : وإن كان لازماً (غير متعدٍ) لم يخبر عنه به نحو الحي بل يطلق عليه الاسم والمصدر دون الفعل .البدائع / (١/ ١٦٢)

القاعدة الرابعة[١]: دلالة[٢] أسماء الله تعالى على ذاته وصفاته تكون بالمطابقة[٣] وبالتضمن[٤] وبالالتزام[٥].

مثال ذلك: "الخالق" يدل على ذات الله، وعلى صفة الخلق بالمطابقة، ويدل على الذات وحدها وعلى صفة الخلق وحدها بالتضمن، ويدل على صفتي العلم والقدرة بالالتزام[٦].

ولهذا لما ذكر الله خلق السموات والأرض قال: ﴿لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً[٧]﴾ ودلالة الالتزام مفيدة جداً لطالب العلم إذا تدبر المعنى[٨] ووفقه الله تعالى فهماً للتلازم، فإنه بذلك يحصل من الدليل الواحد على مسائل كثيرة[١].

---

(١) انظرها بتوسع القواعد الكلية ص ٢٤٠

(٢) ويقال الدليل وهو ما يستدل به ، والمعنى أنه يستدل بالاسم على الذات والصفات بهذه الطرق الآتية

(٣) وهي انطباق اللفظ على المعنى – أو هي دلالة اللفظ على تمام ما وضع له من معنى - ويعرف ذلك بأن يستغرق جميع أجزاء اللفظ الداخلة تحته .

(٤) التضمن: دلالة اللفظ على جزء مما وضع له.

(٥) دلالة اللفظ على ما يلزم عليه من خارج اللفظ ـ اعلم رحمك الله تعالى أن مسألة اللازم ليست على إطلاقها فلا بد أن يقيد اللازم بما ذكره الشيخ وبما لا يخالف الشرع؛ حتى لا تؤدي به دلالة الالتزام إلى الباطل، كأن يقول: الله سميع يلزم منه أن تكون له أذن ... ونحو ذلك ، فهذا لازم باطل.

(٦) لا يستطيع أن يخلق إلا من عنده علم بكيفية الخلق وكذا قدره عليها، فإذا قلنا الله عز وجل خالق : يلزم منه أن يكون حياً وعالماً وقادراً ومريداً .

(٧) سورة الطلاق، الآية: ١٢.

(٨) من فوائدها:

١- الاستدلال على عدة مسائل بدليل واحد

٢- استنباط الأحكام من الأدلة

واعلم أن اللازم من قول الله تعالى، وقول رسول صلى الله عليه وسلم، إذا صح أن يكون لازماً فهو حق؛ وذلك لأن كلام الله ورسوله حق، ولازم الحق حق، ولأن الله تعالى عالم بما يكون لازماً من كلامه وكلام رسوله فيكون مراداً.

وأما اللازم من قول أحدٍ سوى قول الله ورسوله، فله ثلاث حالات:

الأولى :أن يذكر للقائل ويلتزم به، مثل أن يقول من ينفي الصفات الفعلية لمن يثبتها: يلزم من إثباتك الصفات الفعلية لله – عز وجل – أن يكون من أفعاله ما هو حادث(٢). فيقول المثبت: نعم، وأنا ألتزم بذلك فإن الله تعالى لم يزل ولا يزال فعالاً لما يريد، ولا نفاد لأقواله وأفعاله كما قال تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً(٣)﴾ وقال: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ(٤)﴾ وحدوث آحاد فعله تعالى لا يستلزم نقصاً في حقه.

٣- رد اللوازم الباطلة من أقوال المبتدعة وغيرهم .

٤- قوة إفحام الخصم عند المناظرة . والله أعلم.

(١) قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى : أسماء الله كلها متفقة في الدلالة على نفسه المقدسة ثم كل اسم يدل على معنى من صفاته ليس هو المعنى الذي دل عليه الاسم الآخر فالعزيز يدل على نفسه مع عزته ... ونفسه تستلزم جميع صفاته فصار كل اسم يدل على ذاته والصفة المختصة به بالمطابقة وعلى أحدهما بالتضمن وعلى الصفة الأخرى بطريق اللزوم . أ.هـ الإيمان/ ١٧٥ .

(٢) الأولى لكل من جيء إليه بكلام محتمل للحق والباطل أن يطلب التفصيل كما هنا يقول : إن كنت تريد بـ(حادث) مخلوق فهذا اللازم باطل لمخالفته للكتاب والسنة وسلف الأمة، وإن تريد أنه متجدد فهذا حق .والله أعلم .

(٣) ـ سورة الكهف، الآية: ١٠٩.

(٤) سورة لقمان، الآية: ٢٧.

الحال الثانية :أن يذكر له ويمنع اللازم بينه وبين قوله، مثل أن يقول النافي للصفات لمن يثبتها: يلزم من إثباتك أن يكون الله تعالى مشابهاً للخلق(١) في صفاته .فيقول المثبت :لا يلزم ذلك، لأن صفات الخالق مضافة إليه لم تذكر مطلقة حتى يمكن ما ألزمت به، وعلى هذا فتكون مختصة به لائقة به، كما أنك أيها النافي للصفات تثبت لله تعالى ذاتاً وتمنع أن يكون مشابهاً للخلق في ذاته، فأي فرق بين الذات والصفات(٢)

وحكم اللازم في هاتين الحالتين ظاهر.

الحال الثالثة :أن يكون اللازم مسكوتاً عنه، فلا يذكر بالتزام ولا منع، فحكمه في هذه الحال ألا ينسب إلى القائل، لأنه يحتمل لو ذكر له أن يلتزم به أو يمنع التلازم، ويحتمل لو ذكر له فتبين له لزومه وبطلانه أن يرجع عن قوله؛ لأن فساد اللازم يدل على فساد الملزوم.ولورود هذين الاحتمالين لا يمكن الحكم بأن لازم القول قول.

فإن قيل: إذا كان هذا اللازم لازماً من قوله، لزم أن يكون قولاً له، لأن ذلك هو الأصل، لاسيما مع قرب التلازم.

قلنا: هذا مدفوع بأن الإنسان بشر، وله حالات نفسية وخارجية توجب الذهول عن اللازم، فقد يغفل، أو يسهو، أو ينغلق فكره، أو يقول القول في مضايق المناظرات من غير تفكير في لوازمه، ونحو ذلك.



(١) كان الأولى أن يعبِّر بالمماثلة لأنها الواردة في القرآن كما بينه رحمه الله تعالى في الواسطية عند قوله " ولا تمثيل " فراجعه.

(٢) وسيأتي إشباع هذا الموضوع في قواعد الاستدلال القاعدة الرابعة.

القاعدة الخامسة[١] **:أسماء الله تعالى توقيفية**[٢]**، لا مجال للعقل فيها**[٣]:

وعلى هذا فيجب الوقوف فيها على ما جاء به الكتاب والسنة، فلا يزاد فيها ولا ينقص؛ لأن العقل لا يمكنه إدراك ما يستحقه تعالى من الأسماء، فوجب الوقوف في ذلك على النص لقوله تعالى: ﴿ :وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً[٤]﴾، وقوله: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾ ولأن تسميته تعالى بما لم يسم به نفسه، أو إنكار ما سمى به نفسه، جناية في حقه تعالى، فوجب سلوك الأدب في ذلك والاقتصار على ما جاء به النص.

****

---

(١) انظر البدائع (١/ ١٦٢) القواعد الكلية ص ١٢٩

(٢) أي: نتوقف عن إثباتها حتى ينص على ثبوتها دليل صحيح واتفق أهل السنة والجماعة على أن الأسماء والصفات لا تثبت إلا بالكتاب والسنة. التمهيد (٧/ ١٤٥) وسيأتي تفصيل هذا في القاعدة الأولى من قواعد الاستدلال.

(٣) قال اللالكائي رحمه الله تعالى : وجوب معرفة الله تعالى وصفاته بالسمع لا بالعقل. شرح أصول أهل السنة ٢/ ١٩٣

(٤) سورة الإسراء، الآية: ٣٦.

القاعدة السادسة :أسماء الله تعالى غير محصورة بعدد معين[١]:

لقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث المشهور : "أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك ".الحديث رواه أحمد وابن حبان والحاكم، وهو صحيح[٢].

وما استأثر الله تعالى به في علم الغيب لا يمكن لأحدٍ حصره، ولا الإحاطة به.

فأما قوله صلى الله عليه وسلم : "إن لله تسعة وتسعين اسماً مائة إلا واحداً من أحصاها [٣]دخل الجنة[٤]"، فلا يدل على حصر الأسماء بهذا العدد، ولو كان المراد الحصر لكانت العبارة" إن أسماء الله تسعة وتسعون اسماً من أحصاها دخل الجنة" أو نحو ذلك.

---

(١) قال ابن القيم رحمه الله تعالى: الأسماء الحسنى لا تدخل تحت حصر ولا تحد بعدد فإن الله عز وجل له أسماء وصفات استأثر بها في علم الغيب عنده لا يعلمها نبي مرسل ولا ملك مقرب. البدائع ١/ ١٦٦ .

(٢) (حسن) المسند (١/ ٣٩١/ ٤٥٢) والمستدرك (١/ ٥٠٩) وابن حبان (٩٧٢) وأبو يعلى (٥٢٩٧) . وغيره من طريق فضيل بن مرزوق حدثنا أبو سلمه الجهني عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبيه عن عبد الله بن مسعود به مطولاً . قال الذهبي : أبو سلمه لا يدري من هو ، وقال الحسيني : مجهول وعبد الرحمن أثبت سماعه من أبيه الثوري وابن المديني والمثبت مقدم على النافي وتوبع أبو سلمه بمن لا يفرح به وهو عبد الرحمن بن إسحاق وهو منكر الحديث (كشف الأستار / ٣١٢٢) وله شاهد عن أبي موسى رضي الله عنه عند ابن السني (٣٣٩) من طريق عبد الله بن زيد – أو زبيد – وهو مجهول حال، فالحديث حسن لغيره وصححه العلامة الألباني (الصحيحة / ١٩٩) وغيره.

(٣) ـ أي حفظها وفهم معانيها وعمل بمقتضاها ودعا الله عز وجل بها / البدائع ١/ ١٦٤ / شرح السنة ١/ ٣١.

(٤) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه (خ ٢٧٣٦/ ٦٤١٠) (م ٢٦٧٧).

إذن فمعنى الحديث :أن هذا العدد من شأنه أن من أحصاه دخل الجنة، وعلى هذا فيكون قوله: "من أحصاها دخل الجنة" جملة مكملة لما قبلها، وليست مستقلة، ونظير هذا أن تقول : عندي مائة درهم أعددتها للصدقة، فإنه لا يمنع أن يكون عندك دراهم أخرى لم تعدها للصدقة.

ولم يصح عن النبي صلى الله عليه وسلم تعيين هذه الأسماء، والحديث المروي عنه في تعيينها ضعيف(١).

قال شيخ الإسلام ابن تيميه في "الفتاوى" ص 383 جـ 6 من "مجموع ابن قاسم" :تعيينها ليس من كلام النبي صلى الله عليه وسلم باتفاق أهل المعرفة بحديثه، وقال قبل ذلك ص 379: إن الوليد ذكرها عن بعض شيوخه الشاميين كما جاء مفسراً في بعض طرق حديثه .أهـ. وقال ابن حجر في "فتح الباري" ص 215 جـ 11 ط السلفية: ليست العلة عند الشيخين البخاري ومسلم، تفرد الوليد فقط، بل الاختلاف فيه والاضطراب، وتدليسه واحتمال الإدراج .أهـ.

ولما لم يصح تعيينها عن النبي صلى الله عليه وسلم اختلف السلف فيه، وروي عنهم في ذلك أنواع . وقد جمعت تسعة وتسعين اسماً مما ظهر لي من كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

فمن كتاب الله تعالى:

الله	الأحد	الأعلى	الأكرم	الإله	الأول
والآخر	والظاهر	والباطن	البارئ	البر	البصير

فائدة: قال النووي في شرح مسلم: اتفق العلماء على أن هذا الحديث ليس فيه حصر لأسمائه سبحانه وتعالى فليس معناه أنه ليس له أسماء غير هذه التسعة والتسعين وإنما مقصود الحديث: أن هذه التسعة والتسعين من أحصاها دخل الجنة فالمراد الإخبار عن دخول الجنة بإحصائها لا الإخبار بحصر الأسماء أ.هـ.

(١) رواه الترمذي (ت ٣٥٠٧) وغيره وضعفه الشيخ الألباني والشيخ مقبل رحمهما الله تعالى.

التواب	الجبار	الحافظ	الحسيب	الحفيظ	الحفي[١]
الحق	المبين	الحكيم	الحليم	الحميد	الحي
القيوم	الخبير	الخالق	الخلاق	الرؤوف	الرحمن
الرحيم	الرزاق	الرقيب	السلام	السميع	الشاكر
الشكور	الشهيد	الصمد	العالم/ العلام[٢]	العزيز	العظيم
العفو	العليم	العلي	الغفار	الغفور	الغني
الفاتح	القادر	القاهر[٣]	القدوس	القدير	القريب
القوي	القهار	الكبير	الكريم	اللطيف	المؤمن
المتعالي	المتكبر	المتين	المجيب	المجيد	المحيط[٤]
المصور	المقتدر	المقيت[٥]	الملك	المليك	المولى

(١) استدل الشيخ بقوله تعالى عن إبراهيم ﴿إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾ وقال : وهذا في الحقيقة فيه شيء من التردد لأنه قد يقال إنه من الأفعال وليس من الأسماء.

(٢) يستدل على الأول بقوله تعالى: ﴿وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ﴾ وعلى الثاني بقوله عز وجل: ﴿إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾.

(٣) استدل بالآية: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ وليس صريحا كسابقه (العالم).

(٤) استدل بقوله سبحانه: ﴿وَكَانَ اللهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾ وهذا غير صريح كما سبق فيما مضى.

(٥) دليله: ﴿وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيتًا﴾ وهذا غير صريح كما سبق.

المهيمن النصير الواحد الوارث[١] الواسع الودود

الوكيل الولي الوهاب

ومن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم[٢]:

الجميل، الجواد، الحكم ،الحيي ، الرب ، الرفيق، السبوح، السيد الشافي الطيب القابض الباسط المقدم المؤخر المحسن المعطي المنان الوتر[٣].

هذا ما اخترناه بالتتبع، واحد وثمانون اسماً في كتاب الله تعالى وثمانية عشر اسماً في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإن كان عندنا تردد في إدخال (الحفي)؛ لأنه إنما ورد مقيداً في قوله تعالى عن إبراهيم﴿إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيّا[٤]﴾ وما اخترناه فهو حسب علمنا وفهمنا وفوق كل ذي علم عليم حتى يصل ذلك إلى عالم الغيب والشهادة ومن هو بكل شيء عليم[٥].

---

(١) دليله: ﴿وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ﴾ وهذا غير صريح كما سبق.

(٢) ومن أسماء الله عز وجل الثابتة : الرازق وذو الجلال والإكرام.

(٣) سيأتي ذكر الأدلة.

(٤) سورة مريم، الآية: ٤٧ .

(٥) قد أفردناها بكتاب مستقل .

الأسماء من السنة:

- الجميل : قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم (إن الله جميل يحب الجمال) رواه مسلم (٩١) عن ابن مسعود رضي الله عنه .

معناه : الجميل كثير الحسن

(فهو الجميل في ذاته سبحانه وأسمائه وصفاته وأفعاله فله الجمال المطلق .)

- الجواد : قال صلى الله عليه وسلم (إن الله جواد يحب الجود) .

معناه : الكريم الموصوف بالجود الذي عم جوده ونعمة ورحمته جميع الوجود وخص المؤمنين بالعطاء الأوفر والصلاح والإيمان بحسب ما تقتضيه حكمته سبحانه .

- الحيي : لحديث (إن الله حيي كريم ..(٥).

- الرب : وقد ورد في القرآن: ﴿ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا ﴾ وقال صلى الله عليه وسلم (فأما الركوع فعظموا فيه الرب ...) رواه مسلم عن ابن عباس (٤٧٩) .

معناه: هو الخالق المالك السيد الذي ليس له مثيل ولا نظير المربي جميع (عباده بالتدبير وأصناف النعم وربى أولياءه بإصلاح قلوبهم ودينهم وآخرتهم .

((- الرفيق : قال صلى الله عليه وسلم **(إن الله رفيق يحب الرفق)٥)** .

(معناه : هو الذي يرفق بعباده ويلطف بهم وييسر أمورهم ويصلح أحوالهم .

- السبوح : كان صلى الله عليه وسلم يقول في ركوعه وسجوده (سبوح قدوس رب الملائكة والروح) . رواه مسلم من حديث عائشة (م ٤٨٧) .

معناه : المنزه المبرأ عن كل عيب ونقص لما له من الكمال التام (والغنى المطلق والعظمة والجلال سبحانه .

- السيد : قال صلى الله عليه وسلم (السيد الله تعالى) من حديث عبدالله بن الشخير

(معناه : الذي له السيادة والملك الكامل والرفعة والفضل .

- الطيب : قال عليه الصلاة والسلام (إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً) رواه مسلم (١٠١٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه .

معناه : هو المنزه عن النقائص والشوائب يحب الطيب الطاهر ولا يقبل إلا طيباً

- الشافي : قال صلى الله عليه وسلم : اللهم اذهب البأس رب الناس اشف أنت الشافي) متفق عليه . (خ ٥٦٧٥) (م ٢١٩١) عن عائشة رضي الله عنها .

معناه : الذي يعافي ويبرأ عباده من الأمراض والأسقام بقدرته سبحانه ويعافي المؤمنين من الخطايا والذنوب بحسب ما تقتضيه حكمته سبحانه .

القاعدة السابعة(١) :الإلحاد(٢) في أسماء الله تعالى هو الميل بها عما يجب فيها .وهو أنواع:

-القابض الباسط : قال صلى الله عليه وسلم (إن الله هو المسعر القابض الباسط الرازق..

معناه : الذي يمسك وينشر الرزق وغيره على العباد فيوسع على من يشاء ويقدر (على من يشاء بعدله وحكمته .

– المقدم المؤخر : قال صلى الله عليه وسلم (أنت المقدم وأنت المؤخر لا اله (إلا أنت) رواه مسلم من حديث علي (٧٧١)

– المحسن : قال صلى الله عليه وسلم (إن الله محسن يحب المحسنين) رواه أبو نعيم وغيره عن أنس رضي الله عنه

ومعناه : ذو الإحسان التام فهو بمعنى الكريم والمعطي .

– المعطي : لحديث معاوية عند البخاري (٣١١٦) مرفوعا (والله المعطي وأنا قاسم) .

معناه : الذي يمن على عباده بالعطاء والرزق وأعطى المؤمنين الصلاح والإيمان وهو الكريم الجواد .

– المنان : لحديث (إن رجلاً دعا فقال : اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا اله إلا أنت المنان بديع السموات والأرض يا ذا الجلال والإكرام ...) فقال صلى الله عليه وسلم: (لقد دعا الله باسمه الأعظم...) من حديث أنس رضي الله عنه.

معناه: الذي مَنّ على عباده بالرزق والحياة والنعم الكثيرة من غير طلب عوض (منهم ومن على المؤمنين بالإيمان والخير والصلاح)

– الوتر: قال صلى الله عليه وسلم (إن الله وتر يحب الوتر...) متفق عليه (٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(معناه: الذي لا ثاني له الأحد الذي لا شريك له ولا نظير ولا مثيل سبحانه).

تم ولله الحمد والمنة.

(١) انظر البدائع (١/ ١٦٩)

(٢) لغة : الميل ومنه اللحد وهو الشق المائل في القبر اصطلاحاً : الإلحاد في أسمائه هو العدول بها وبحقائقها ومعانيها عن الحق الثابت لها / البدائع (١/ ١٦٩)

الأول: أن ينكر شيئاً منها أو مما دلت عليه من الصفات والأحكام، كما فعل أهل التعطيل من الجهمية[١] وغيرهم .وإنما كان ذلك إلحاداً لوجوب الإيمان بها وبما دلت عليه من الأحكام والصفات اللائقة بالله، فإنكار شيء من ذلك ميل بها عما يجب فيها.

الثاني : أن يجعلها دالة على صفات تشابه صفات المخلوقين كما فعل أهل التشبيه[٢]، وذلك لأن التشبيه معنى باطل لا يمكن أن تدل عليه النصوص، بل هي دالة على بطلانه، فجعلها دالة عليه ميل بها عما يجب فيها.

الثالث : أن يسمى الله تعالى بما لم يسم به نفسه، كتسمية النصارى له : الأب، وتسمية الفلاسفة إياه: العلة الفاعلة، وذلك لأن أسماء الله تعالى توقيفية، فتسمية الله تعالى بما لم يسم به نفسه ميل بها عما يجب فيها، كما أن هذه الأسماء التي سموه بها نفسها باطلة ينزه الله تعالى عنها.

الرابع : أن يشتق من أسمائه أسماء للأصنام، كما فعل المشركون في اشتقاق العزى من العزيز، واشتقاق اللات من الإله، على أحد القولين، فسموا بها أصنامهم؛ وذلك لأن أسماء الله تعالى مختصة به، لقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا[٣]﴾ وقوله: ﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَ[٤] ﴾ وقوله: ﴿ لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ[٥] ﴾فكما

(١) قال ابن القيم رحمه الله تعالى : ومن أعظم الإلحاد في أسمائه إنكار حقائقها ومعانيها والتصريح بأنها مجازات أ .هـ مختصر الصواعق / ٢٩٧

(٢) وقال ابن تيمية رحمه الله تعالى : فمن شبه الله تعالى بخلقه فقد ألحد في أسمائه وآياته أ .هـ الفتاوى ١٢/ ٢٤٤

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٨٠.

(٤) سورة طه، الآية: ٨.

(٥) سورة الحشر، الآية: ٢٤.

اختص بالعبادة وبالألوهية الحق، وبأنه يسبح له ما في السموات والأرض فهو مختص بالأسماء الحسنى، فتسمية غيره بها على الوجه الذي يختص بالله -عز وجل[١] -ميل بها عما يجب فيها.

والإلحاد بجميع أنواعه محرم؛ لأن الله تعالى هدد الملحدين بقوله: ﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ[٢]﴾

ومنه ما يكون شركاً أو كفراً[٣] حسبما تقتضيه الأدلة الشرعية.

****

(١) لا يجوز التسمي بأسماء الله عز وجل في حالات منها ما ذكره الشيخ ومنها:

أ- لفظ الجلالة "الله" وكذا " الرحمن ".

ب- ما كان مركباً نحو " أرحم الرحمين " والله أعلم.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٨٠.

(٣) قال الشيخ صالح آل الشيخ حفظه الله تعالى : الإلحاد منه ما هو كفر ومنه ما هو بدعة بحسب ما ذكرنا فالحالة الأخيرة وهي ادعاء المجاز في الأسماء والصفات بدعة والإلحاد لا يصل بأصحابه إلى الكفر، أما نفي وإنكار وجحد الأسماء والصفات فهذا كفر كحال الجهمية والنصارى ومشركي العرب أ . هـ التمهيد شرح كتاب التوحيد ص ٥٠٨ وانظر النونية ٢/ ٢٥١ / المدارج ١/ ٣١/ الصواعق / ٢٩٧ .

قواعد في صفات الله تعالى

القاعدة الأولى :صفات الله تعالى كلها صفات كمال، لا نقص فيها بوجه من الوجوه،

كالحياة، والعلم، والقدرة، والسمع، والبصر، والرحمة، والعزة، والحكمة، والعلو، والعظمة، وغير ذلك .وقد دل على هذا السمع، والعقل، والفطرة.

أما السمع : فمنه قوله تعالى: ﴿ :لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الأَعْلَى وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ[١]﴾ والمثل الأعلى هو الوصف الأعلى[٢].

وأما العقل : فوجهه أن كل موجود حقيقة، فلابد أن تكون له صفة . إما صفة كمال، وإما صفة نقص . والثاني باطل بالنسبة إلى الرب الكامل المستحق للعبادة[٣]؛ ولهذا أظهر الله تعالى بطلان ألوهية الأصنام باتصافها بالنقص والعجز فقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ[٤] ﴾ وقال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ *أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ وقال عن

---

(١) سورة النحل، الآية: ٦٠.

(٢) والمثل الأعلى أعم فلله عز وجل الكمال المطلق في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته. انظر الصواعق (١٠٣٠- ١٠٣٦) الطحاوية / ١٣٨ .

(٣) قال ابن القيم رحمه الله تعالى : وهل كان الله رب العالمين أهل الثناء والمجد إلا بأوصاف كماله ونعوت جلاله و أفعاله وأسمائه الحسنى

قال عليه الصلاة والسلام (لا أحصى ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك) أ . هـ

مختصر الصواعق / ١٣٠

(٤) سورة الأحقاف، الآية: ٥.

إبراهيم وهو يحتج على أبيه: ﴿يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لا يَسْمَعُ وَلا يُبْصِرُ وَلا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئاً﴾، وعلى قومه: ﴿أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنْفَعُكُمْ شَيْئاً وَلا يَضُرُّكُمْ * أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ(١)﴾

ثم إنه قد ثبت بالحس والمشاهدة أن للمخلوق صفات كمال، وهي من الله تعالى، فمعطي الكمال أولى به(٢).

وأما الفطرة(٣) : فلأن النفوس السليمة مجبولة مفطورة على محبة الله وتعظيمه وعبادته، وهل تحب وتعظم وتعبد إلا من علمت أنه متصف بصفات الكمال اللائقة بربوبيته وألوهيته(٤)؟

وإذا كانت الصفة نقصاً لا كمال فيها فهي ممتنعة في حق الله تعالى كالموت والجهل، والنسيان(٥)، والعجز، والعمى، والصمم ونحوها؛؛لقوله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ(٦)﴾ وقوله عن موسى: ﴿فِي كِتَابٍ لا يَضِلُّ رَبِّي وَلا يَنْسَى(٧)﴾ وقوله: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ

---

(١) سورة الأنبياء، الآيتان: ٦٦، ٦٧.

(٢) ويسمى هذا قياس الأولى ، والحق أنه ثابت.

(٣) قال ابن تيمية رحمه الله تعالى : الفطرة هي : السلامة من الاعتقادات الباطلة والقبول للعقائد الصحيحة / الفتاوى ٤/ ٢٤٥

(٤) قال ابن تيمية رحمه الله تعالى : هؤلاء – يعني المعطلة والممثلة – يُكرهون فطرهم وعقولهم على قبول المحال المتناقض أ . هـ الفتاوى (٤/ ٦١)

(٥) النسيان بمعنى الترك ثابت لله تعالى قال سبحانه: ﴿وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنْسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾ والنسيان بمعنى الذهول والغفلة منفي عن الله عز وجل وهذا مراد الشيخ. وانظر مجموع فتاواه ١/ ١٧١ – ١٧٤

(٦) سورة الفرقان، الآية: ٥٨.

(٧) سورة طه، الآية: ٥٢.

شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ[١]﴾ قوله: ﴿أَم يَحْسَبُونَ أَنَّا لا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ[٢]﴾ وقال النبي صلى الله عليه وسلم في الدجال":إنه أعور وإن ربكم ليس بأعور ."وقال" :أيها الناس، اربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصماً، ولا غائبا

وقد عاقب الله تعالى الواصفين له بالنقص، كما في قوله تعالى: ﴿ وقالت الْيهودُ يَدُ اللهَّ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاء[٣]﴾ قوله: ﴿قَدْ سَمِعَ اللهُّ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَّ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾

ونزه نفسه عما يصفونه به من النقائض، فقال سبحانه: ﴿سبحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ * وَسَلامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ *وَالْحَمْدُ للهَّ رَبِّ الْعَالَمِينَ[٤]﴾ وقال تعالى: ﴿ما اتَّخَذَ اللهُّ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذاً لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللهَّ عَمَّا يَصِفُونَ[٥]﴾

وإذا كانت الصفة كمالاً في حال، ونقصاً في حال، لم تكن جائزة في حق الله ولا ممتنعة على سبيل الإطلاق، فلا تثبت له إثباتاً مطلقاً، ولا تنفى عنه نفياً مطلقاً بل لابد من التفصيل: فتجوز في الحال التي تكون كمالاً، وتمتنع في الحال التي تكون نقصاً وذلك كالمكر، والكيد، والخداع، ونحوها . فهذه الصفات تكون كمالاً إذا كانت في مقابلة من يعاملون الفاعل بمثلها؛ لأنها حينئذ

(١) سورة فاطر، الآية: ٤٤.

(٢) سورة الزخرف، الآية: ٨٠.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٦٤.

(٤) سورة الصافات، الآيات: ١٨٠ – ١٨٢.

(٥) سورة المؤمنون، الآية: ٩١.

تدل على أن فاعلها قادر على مقابلة عدوه بمثل فعله[١] أو أشد، وتكون نقصاً في غير هذه الحال، ولهذا لم يذكرها الله تعالى من صفاته على سبيل الإطلاق وإنما ذكرها في مقابلة من يعاملونه ورسله بمثلها، كقوله تعالى: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ[٢]﴾ وقوله: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْداً *وَأَكِيدُ كَيْداً[٣]﴾ وقوله: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ*وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ[٤]﴾ وقوله: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ[٥]﴾ وقوله: ﴿قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ *اللهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ[٦]﴾

ولهذا لم يذكر الله أنه خان من خانوه فقال تعالى: ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ[٧]﴾ فقال : ﴿فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ﴾، ولم يقل :فخانهم؛ لأن الخيانة خدعة في مقام الائتمان، وهي صفة ذم مطلقاً.

وبذا عرف أن قول بعض العوام " خان الله من يخون" منكر فاحش، يجب النهي عنه.

****

القاعدة الثانية :باب الصفات أوسع من باب الأسماء[١]:

---

(١) انظر مختصر الصواعق (٢/ ٣٠-٣٥) البدائع (١/ ١٦٢) المدارج ٣/ ٤١٥/ الفتاوى ٧/ ١١١ وغيرها .

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٣٠.

(٣) سورة الطارق، الآيتان: ١٥، ١٦.

(٤) سورة الأعراف، الآيتان: ١٨٢، ١٨٣.

(٥) سورة النساء، الآية: ١٤٢.

(٦) سورة البقرة، الآيتان: ١٤، ١٥.

(٧) سورة الأنفال، الآية: ٧١.

وذلك لأن كل اسم متضمن لصفة كما سبق في القاعدة الثالثة من قواعد الأسماء، ولأن من الصفات ما يتعلق بأفعال الله تعالى، وأفعاله لا منتهى لها، كما أن أقواله لا منتهى لها، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ(٢)﴾

ومن أمثلة ذلك : أن من صفات الله تعالى المجيء، والإتيان، والأخذ والإمساك، والبطش، إلى غير ذلك من الصفات التي لا تحصى كما قال تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ (٣) وقال: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ(٤)﴾ وقال: ﴿فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ(٥)﴾ وقال: ﴿وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ(٦)﴾ وقال: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ(٧) وقال: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ(٨) ﴾ وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "ينزل ربنا إلى السماء الدنيا".

---

(١) أي الصفات أكثر من الأسماء لأمور:

١- لأن كل اسم تشتق منه صفة ولا عكس -٢- لأن الصفات تأتي مصرح بها دون اسم نحو " يد الله ".

٣- لأنها تشتق من الأفعال والأسماء لا تشتق منها . البدائع (١/ ٢٤) المدارج (٣/ ٤١٥) وانظر القاعدة السابعة الآتية.

(٢) سورة لقمان، الآية: ٢٧.

(٣) سورة الفجر، الآية: ٢٢.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٢١٠.

(٥) سورة آل عمران، الآية: ١١.

(٦) سورة الحج، الآية: ٦٥.

(٧) سورة البروج، الآية: ١٢.

(٨) ـ سورة البقرة، الآية: ١٨٥.

فنَصِفُ الله تعالى بهذه الصفات على الوجه الوارد، ولا نسميه بها[١]، فلا نقول إن من أسمائه الجائي، والآتي، والآخذ، والممسك، والباطش، والمريد، والنازل، ونحو ذلك، وإن كنا نخبر بذلك عنه ونصفه به[٢].



(١) ـ لأنها تحتمل النقص تقديراً كما تقدم في القاعدة الأولى من الأسماء وانظر البدائع (١/ ١٦٢) القواعد الكلية ص ٢٥١- ٢٥٨

(٢) ـ قال ابن القيم رحمه الله تعالى : ولا يلزم من الإخبار عنه بالفعل مقيداً أن يشتق منه اسماً كما فعل بعض المتأخرين فجعل من أسماء الله المضل والقانت .. البدائع / ١/ ١٦٢ ومما ينبغي التنبيه عليه أن باب الإخبار توقيفي ومن قال بغير هذا لم يأت بدليل .

القاعدة الثالثة[١] :صفات الله تعالى تنقسم إلى قسمين :ثبوتية، وسلبية:

فالثبوتية : ما أثبته الله تعالى لنفسه في كتابه، أو على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم، وكلها صفات كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه[٢]، كالحياة والعلم، والقدرة، والاستواء على العرش، والنزول إلى السماء الدنيا، والوجه، واليدين، ونحو ذلك.

فيجب إثباتها لله تعالى حقيقة[٣] على الوجه اللائق به بدليل السمع والعقل.

أما السمع : فمنه قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللهِّ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللهِّ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالا بَعِيدا[٤]﴾

فالإيمان بالله يتضمن : الإيمان بصفاته . والإيمان بالكتاب الذي نزل على رسوله يتضمن: الإيمان بكل ما جاء فيه من صفات الله . وكون محمد صلى الله عليه وسلم رسوله يتضمن :الإيمان بكل ما أخبر به عن مرسله، وهو الله –عز وجل.

وأما العقل : فلأن الله تعالى أخبر بها عن نفسه، وهو أعلم بها من غيره، وأصدق قيلاً، وأحسن حديثاً من غيره، فوجب إثباتها له كما أخبر بها من غير تردد، فإن التردد في الخبر إنما يتأتي حين

---

(١) وانظر القواعد الكلية ص ١٥٩ والتدمرية ص ٢٣ البدائع ١/ ١٦٦

(٢) قال ابن تيمية رحمه الله تعالى " الكمال ثابت لله عز وجل بل الثابت له هو أقصى ما يمكن من الأكملية / الفتاوى (٦/ ٧١) البدائع (١/ ١٦٧-١٦٨)

(٣) أخرج المجاز وقال ابن تيمية رحمه الله تعالى : وقد اتفق أهل الإثبات على أن الله حي حقيقة عليم حقيقة قدير حقيقة ... الخ الفتاوى ٥/ ١٩٦

(٤) سورة النساء، الآية: ١٣٦.

يكون الخبر صادراً ممن يجوز عليه الجهل، أو الكذب، أو العي بحيث لا يفصح بـما يريـد، وكـل هذه العيوب الثلاثة ممتنعة في حق الله –عز وجل –فوجب قبول خبره على ما أخبر به(١).

وهكذا نقول فيما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم عن الله تعالى، فإن النبي صلى الله عليه وسلم أعلم الناس بربه وأصدقهم خبراً وأنصحهم إرادة، وأفصحهم بياناً، فوجب قبول مـا أخـبر بـه على ما هو عليه.

والصفات السلبية : ما نفاها الله –سبحانه – عن نفسه في كتابه، أو على لسان رسـوله صـلى الله عليه وسلم، وكلها صـفات نقـص في حقـه كـالموت، والنـوم، والجهـل، والنسـيان، والعجـز، والتعب.

فيجب نفيها عن الله تعالى –لما سبق –مع إثبات ضدها على الوجه الأكمل، وذلك لأن مـا نفـاه الله تعالى عن نفسه فالمراد به بيان انتفائه لثبوت كمال ضده، لا لمجرد نفيه؛ لأن النفي ليس بكمال، إلا أن يتضمن ما يدل على الكمال، وذلك لأن النفي عدم(٢)، والعدم ليس بشيء، فضلاً عـن أن يكون كمالاً، ولأن النفي قد يكون لعدم قابلية المحل له، فلا يكون كمالاً(٣) كما لو قلت : الجدار لا يظلم .وقد يكون للعجز عن القيام به فيكون نقصاً، كما في قول الشاعر:

---

(١) وسيأتي مزيد بيان في قواعد الاستدلال .

(٢) النفي نوعان – أ – نفي محض : وهو ما لا يتضمن إثبات ضده – ب- نفي غير محض : وهو ما تضمن إثبات ضده بدلالة منه.

فالأول لا يوصف الله تعالى به مطلقاً ولا يصح وصفه به، والثاني هو الذي يصح استخدامه في نفي النقائص عن الله عز وجل. وقال ابن القيم رحمه الله تعالى : فكل سلب في القرآن حمد الله به نفسه فلمضادته لثبوت ضده ولتضمنه كمال ثبوت ضده. المدارج ١/ ٢٧

(٣) وقال ابن تيمية رحمه الله تعالى: وإذا تأملت كل نفي لا يستلزم ثبوتاً هو مما لم يصف الله تعالى به نفسه، فالذين لا يصفون الله إلا بالسلب لم يثبتوا في الحقيقة إلها محموداً بل ولا موجوداً. التدمرية / ٥٩

قبيلة لا يغدرون بذمة ولا يظلمون الناس حبة خردل

وقول الآخر:

لكن قومي وإن كانوا ذوى حسب ليسوا من الشر في شيء وإن هانا

* مثال ذلك :قوله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ﴾ (١).

فنفي الموت عنه يتضمن كمال حياته.

مثال آخر : قوله تعالى: ﴿وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً﴾ نفي الظلم عنه يتضمن كمال عدله.

مثال ثالث : قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلا فِي الْأَرْضِ(٢)﴾ نفي العجز عنه يتضمن كمال علمه وقدرته .ولهذا قال بعده: ﴿إِنَّهُ كَانَ عَلِيماً قَدِيراً(٣)﴾ لأن العجز سببه إما الجهل بأسباب الإيجاد، وإما قصور القدرة عنهن فلكمال علم الله تعالى وقدرته لم يكن ليعجزه شيء في السموات ولا في الأرض.

وبهذا المثال علمنا أن الصفة السلبية قد تتضمن أكثر من كمال.

****

القاعدة الرابعة: الصفات الثبوتية صفات مدح وكمال(٤)، فكلما كثرت(٥)

(١) سورة الفرقان، الآية: ٥٨.

(٢) سورة الكهف، الآية: ٤٩.

(٣) سورة فاطر، الآية: ٤٤.

(٤) كل صفة بمفردها تعتبر مدحاً وكمالاً

(٥) وصفات الله عز وجل لا تحصر بعدد معين كما تقدم آنفاً في القاعدة الثانية وبهذا نعلم أننا لن نستطيع الإحاطة بكمال الله عز وجل وصفاته كما قال صلى الله عليه وسلم " لا أحصي ثناءً عليك " واعلم أن الصفات إذا جمعت في مكان واحد دلت على كمال فوق الكمال الحاصل لكل واحدة بمفردها والله اعلم .

وتنوعت دلالتها(١) ظهر من كمال الموصوف بها(٢) ما هو أكثر.

ولهذا كانت الصفات الثبوتية التي أخبر الله بها عن نفسه أكثر بكثير من الصفات السلبية، كما هو معلوم(٣).

أما الصفات السلبية فلم تذكر غالباً إلا في الأحوال التالية:

الأولى: بيان عموم كماله كما في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾(٤)﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ(٥)﴾

الثانية: نفي ما ادعاه في حقه الكاذبون، كما في قوله: ﴿أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَداً *وَمَا يَنْبَغِي لِلـرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَداً(٦)﴾

---

(١) أي ما دلت عليه من المعاني

(٢) قال الشيخ في شرحه: انتبه لكلمة (ظهر من كمال الموصوف) ولم نقـل : حصـل للموصـوف لأن هـذا حاصل فكمال الله عز وجل حاصل سواءً علمناه أم لم نعلمه لكن كلما تعددت ظهر لنا من صفات كمالـه مـا لم يكن من قبل لكن لو قلت : لأنه كلما كثرت وتنوعت حصل للموصوف من الكمال ما لم يحصل من قبل صار هذا بالنسبة لصفات الله عز وجل غير سديد بل نقول : ظهر .. أ . هـ لأن صفات الله عز وجـل أوليـة كذاتـه تعالى.

(٣) وذلك لأن الصفات الثبوتية تذكر مفصلة في الغالب لما فيها من المدح ، وقد تذكر مجملة نحو قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾ وذلك لتعميم كماله سبحان في جميع صفاته وأفعاله ونفي النقص بجميع أشكاله. أما النفي لصفات النقص فالأصل أنه يأتي مجمل نحو قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ أي: في ذاته وصفاته وأفعاله، وقد يأتي مفصلاً لأمرين قد ذكرهما الشيخ (في الثانية والثالثة).

وانظر: الفتاوى ٥/ ١٩٧ مختصر الصواعق ١/ ١٥٦-١٥٧، القواعد الكلية / ١٥٢/ أصول الدين عند أبي حنيفة / ٢٩٦ وغيرها

(٤) ـ سورة الشورى، الآية: ١١.

(٥) ـ سورة الإخلاص، الآية: ٤.

(٦) ـ سورة مريم، الآيتان: ٩١، ٩٢.

الثالثة : دفع توهم نقص من كماله فيما يتعلق بهذا الأمر المعين، كما في قوله: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاعِبِينَ[١]﴾ وقوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ[٢]﴾.

****

(١) ـ سورة الأنبياء، الآية: ١٦.

(٢) ـ سورة ق، الآية: ٣٨.

القاعدة الخامسة : الصفات الثبوتية[١] تنقسم إلى قسمين : ذاتية وفعلية.

فالذاتية[٢] :هي التي لم يزل ولا يزال متصفاً بها، كالعلم، والقدرة، والسمع، والبصر، والعزة، والحكمة، والعلو، والعظمة، ومنها الصفات الخبرية، كالوجه، واليدين، والعينين.

والفعلية[٣] : هي التي تتعلق بمشيئته، إن شاء فعلها، وإن شاء لم يفعلها، كالاستواء على العرش، والنزول إلى السماء الدنيا.

وقد تكون الصفة ذاتية فعلية باعتبارين، كالكلام، فإنه باعتبار أصله صفة ذاتية؛ لأن الله تعالى لم يزل ولا يزال متكلماً . وباعتبار آحاد الكلام صفة فعلية؛ لأن الكلام يتعلق بمشيئته، يتكلم متى شاء بما شاء[٤] كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ[٥] ﴾وكل صفة

---

(١) أي الثابتة لله عز وجل بالكتاب والسنة

(٢) وهي: نوعان ١) معنوية كالعلم والقدرة والحكمة ونحوها، ٢) خبرية كالوجه واليدّ والساق والعينين والأصابع والحقو والساعد والقدم، هذه هي الصفات الخبرية الواردة في الكتاب والسنة فيما يحضرني الآن وسميت خبرية لأنه لا يمكن إثباتها لله عز وجل إلا بالوحي (الخبر) ولا مدخل للعقل في إثباتها.

(٣) وهي نوعان (١) متعدية : أي : تشتمل على فعل يعامل به الخلق كالرحمة. (٢) غير متعدية كالنزول والاستواء ونحوها والاستواء غير متعلق بالمشيئة.

فائدة : الفرق بين الذاتية والفعلية أمران:

١- الذاتية لا تتعلق بالمشيئة، والفعلية منها ما يتعلق بها كالنزول والإتيان ومنها ما ليس متعلقاً بالمشيئة كالاستواء.

٢- الذاتية لازمة للذات، والفعلية ذاتية يفعلها متى شاء ولا يفعلها متى شاء سبحانه

(٤) وهكذا سائر الصفات الفعلية الذاتية كالضحك والغضب والرضا والحب والسخط والرحمة ونحوها والله أعلم .

(٥) سورة يس، الآية: ٨٢.

تعلقت بمشيئته تعالى فإنها تابعة لحكمته، وقد تكون الحكمة معلومة لنا، وقد نعجز عن إدراكها لكننا نعلم علم اليقين أنه – سبحانه – لا يشاء شيئاً إلا وهو موافق للحكمة ، كما يشير إليه قوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً(١)﴾.

****

(١) سورة الإنسان، الآية: ٣٠.

القاعدة السادسة[١] : يلزم في إثبات الصفات التخلي عن محذورين عظيمين :أحدهما :التمثيل . والثاني :التكييف.

فأما التمثيل : فهو اعتقاد المثبت أن ما أثبته من صفات الله تعالى مماثل لصفات المخلوقين، وهذا اعتقاد باطل بدليل السمع والعقل.

أما السمع: فمنه قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ[٢]﴾ وقوله: ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لا يَخْلُقُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ[٣]﴾ وقوله: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيّاً[٤]﴾ وقوله: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ[٥]﴾

وأما العقل فمن وجوه:

الأول: أنه قد علم بالضرورة أن بين الخالق والمخلوق تبياناً في الذات، وهذا ستلزم أن يكون بينهما تباين في الصفات؛ لأن صفة كل موصوف تليق به، كما هو ظاهر في صفات المخلوقات المتباينة في الذوات، فقوة البعير مثلاً غير قوة الذرة، فإذا ظهر التباين بين المخلوقات مع اشتراكها في الإمكان والحدوث، فظهور التباين بينها وبين الخالق أجلى وأقوى.

الثاني : أن يقال :كيف يكون الرب الخالق الكامل من جميع الوجوه مشابهاً في صفاته للمخلوق المربوب الناقص المفتقر إلى من يكمله، وهل اعتقاد ذلك إلا تنقص لحق الخالق؟ !فإن تشبيه الكامل بالناقص يجعله ناقصاً[١].

---

(١) ـ البدائع ١/ ١٦٥-١٦٦

(٢) سورة الشورى، الآية: ١١.

(٣) سورة النحل، الآية: ١٧.

(٤) سورة مريم، الآية: ٦٥.

(٥) سورة الإخلاص، الآية: ٤.

الثالث : أننا نشاهد في المخلوقات ما يتفق في الأسماء ويختلق في الحقيقة والكيفية، فنشاهد أن للإنسان يداً ليست كيد الفيل، وله قوة ليست كقوة الجمل، مع الاتفاق في الاسم، فهذه يد وهذه يد، وهذه قوة وهذه قوة، وبينهما تباين في الكيفية والوصف، فعلم بذلك أن الاتفاق في الاسم لا يلزم منه الاتفاق في الحقيقة(٢).

والتشبيه كالتمثيل، وقد يفرق بينهما بأن التمثيل التسوية في كل الصفات، والتشبيه التسوية في أكثر الصفات، لكن التعبير بنفي التمثيل أولى لموافقة القرآن (٣) ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾.

---

(١) قال الله عز وجل: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ ولعن الله اليهود والنصارى الذين مثلوا الخالق بالمخلوق كما قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ والآيات في ذم من مثّل الخالق بالمخلوق كثيرة.

(٢) وسيأتي أيضاً ردود في القاعدة الرابعة من قواعد الاستدلال.

وقال ابن تيمية رحمه الله تعالى: فمن ظن أن أسماء الله تعالى وصفاته إذا كانت حقيقية لزم أن يكون مماثلاً للمخلوقين وأن صفاته مماثلة لصفاتهم كان من أجهل الناس وكان أول كلامه سفسطة وآخره زندقة .. أهـ الفتاوى ٥/ ٢١٢

(٣) وقال شيخ الإسلام: ذكرت في النفي التمثيل ولم أذكر التشبيه لأن التمثيل نفاه الله تعالى بنص كتابه حيث قال : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ وكان أحب إلي من لفظ ليس في كتاب الله ولا في سنة رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وإن كان قد يعني به معنى صحيحاً كما قد يعني به معنى فاسداً. أ . هـ المراد / الفتاوى ٣/ ١٦٦/ (٦/ ١١٣) البدائع ١/ ١٧٠.

وأما التكييف : فهو أن يعتقد المثبت أن كيفية صفات الله تعالى كذا وكذا، من غير أن يقيدها بمماثل

وهذا اعتقاد باطل بدليل السمع والعقل.

أما السمع :فمنه قوله تعالى: ﴿وَلا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً[(١)]﴾ وقوله: ﴿وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً[(٢)]﴾ ومن المعلوم أنه لا علم لنا بكيفية صفات ربنا؛ لأنه تعالى أخبرنا عنها ولم يخبرنا عن كيفيتها، فيكون تكييفنا قفواً لما ليس لنا به علم، وقولاً بما لا يمكننا الإحاطة به.

وأما العقل : فلأن الشيء لا تعرف كيفية صفاته إلا بعد العلم بكيفية ذاته أو العلم بنظيره المساوي له،أو بالخبر الصادق عنه، وكل هذه الطرق منتفية في كيفية صفات الله –عز وجل – فوجب بطلان تكييفها.

وأيضاً فإننا نقول :أي كيفية تقدرها لصفات الله تعالى؟

إن أي كيفية تقدرها في ذهنك، فالله أعظم وأجل من ذلك.

وأي كيفية تقدرها لصفات الله تعالى فإنك ستكون كاذباً فيها؛ لأنه لا علم لك بذلك.

---

(١) سورة طه، الآية: ١١٠.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٣٦.

وحينئذ يجب الكف عن التكييف تقديراً بالجنان، أو تقديراً باللسان، أو تحريراً بالبنان[١]. ولهذا لما سئل مالك –رحمه الله تعالى – قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى[٢]﴾ كيف استوى؟ أطرق[٣] رحمه الله برأسه حتى علاه الرحضاء[٤]) العرق (ثم قال" : الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول[٥]، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة) [٦].

روى عن شيخه ربيعة أيضاً (الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول)[٧].

وقد مشى أهل العلم بعدهما على هذا الميزان[٨] .وإذا كان الكيف غير معقول ولم يرد به الشرع فقد انتفى عنه الدليلان العقلي والشرعي فوجب الكف عنه.

---

(١) أي إشارة، وقد ناقش مسألة الإشارة ابن القيم بتوسع في البدائع. والذي يظهر هو الجواز إذا أمنت الفتنة أو توهم التمثيل من الناظر والله أعلم.

(٢) سورة طه، الآية: ٥.

(٣) أي: نظر إلى الأرض.

(٤) العرق ، هيبة لله عز وجل . والله أعلم .

(٥) قال ابن القيم رحمه الله تعالى معنى قول السلف (بلا كيف) أي بلا كيف يعقله البشر فإنه من لا تعلم كيفية ذاته كيف تعرف كيفية نعوته وصفاته ؟ .. المدارج / ٣/ ٣٧٦

(٦) رواه اللاكائي (٦٦٤) والدارمي في الرد على الجهمية (٣٣) وغيرها وسنده صحيح .

(٧) أخرجه اللالكائي (٦٦٥) وابن قدامة في صفة العلو (٩٠) والبيهقي في الأسماء والصفات (٤٠٨) وغيرهم وهو صحيح عنه وقد جاء عن أم سلمه موقوفاً ومرفوعاً . ولا يثبت ذلك

(٨) قال شيخ الإسلام : وجميع أئمة الدين كابن الماجشون والأوزاعي والليث وحماد بن زيد والشافعي واحمد بن حنبل وغيرهم كلامهم يدل على ما دل عليه كلام مالك من أن العلم بكيفية الصفات ليس بحاصل لنا لأن

فالحذر الحذر من التكييف أو محاولته، فإنك إن فعلت وقعت في مفاوز لا تستطيع الخلاص منها، وإن ألقاه الشيطان في قلبك فاعلم أنه من نزغاته، فالجأ إلى ربك فإنه معاذك، وافعل ما أمرك به فإنه طبيبك[(١)]، قال الله تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ[(٢)]﴾.

****

العلم بكيفية الصفات فرع عن العلم بكيفية الموصوف فإذا كان الموصوف لا تعلم كيفيته أمتنع أن تعلم كيفية الصفة / الفتاوى (٦/ ٣٩٩)

(١) ورد في إثبات اسم الطبيب لله تعالى عند أبي داود (٤٢٠٧) وغيره عن أبي رمثة رضي الله عنه وصححه الألباني والوادعي، وانظر الجامع للوادعي (٦/ ٣٥٢).

(٢) ـ سورة فصلت، الآية: ٣٦.

القاعدة السابعة : صفات الله تعالى توقيفية لا مجال للعقل فيها[١].

فلا نثبت لله تعالى من الصفات إلا ما دل الكتاب والسنة على ثبوته، قال الإمام أحمد رحمه الله تعالى: "لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله، لا يتجاوز القرآن والحديث"[٢] انظر القاعدة الخامسة في الأسماء.

ولدلالة الكتاب والسنة على ثبوت الصفة ثلاثة أوجه:

الأول: التصريح بالصفة كالعزة، والقوة، والرحمة، والبطش، والوجه، واليدين ونحوها.

الثاني : تضمن الاسم لها مثل :الغفور متضمن للمغفرة، والسميع متضمن للسمع، ونحو ذلك (انظر القاعدة الثالثة في الأسماء).

الثالث : التصريح بفعل أو وصف دال عليها كالاستواء على العرش، والنزول إلى السماء الدنيا، والمجيء للفصل بين العباد يوم القيامة، والانتقام من المجرمين، الدال عليها – على الترتيب – قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى[٣]﴾ وقول النبي صلى الله عليه وسلم" :ينزل ربنا إلى السماء الدنيا ." الحديث[٤] وقول الله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفّاً صَفّاً[٥]﴾ وقوله: ﴿إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ﴾.

---

(١) (القاعدة السابعة) البدائع ١/ ١٦٢.

(٢) ذكره ابن قدامه في كتابه ذم التأويل (٣٣/ ص٢٢) وعزاه للخلال

(٣) سورة طه، الآية: ٥.

(٤) متفق عليه ، وسيأتي.

(٥) سورة الفجر، الآية: ٢٢.

****

قواعد في أدلة الأسماء والصفات

القاعدة الأولى[١] :الأدلة التي تثبت بها أسماء الله تعالى وصفاته، هي :كتاب الله تعالى، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، فلا تثبت أسماء الله وصفاته بغيرهما.

وعلى هذا فما ورد إثباته لله تعالى من ذلك في الكتاب أو السنة وجب إثباته، وما ورد نفيه فيهما وجب نفيه، مع إثبات كمال ضده[٢]، وما لم يرد إثباته ولا نفيه فيهما وجب التوقف في لفظه فلا يثبت ولا ينفى لعدم ورود الإثبات والنفي فيه.

وأما معناه فيفصل فيه، فإن أريد به حق يليق بالله تعالى فهو مقبول . وإن أريد به معنى لا يليق بالله عز وجل وجب رده.

فمما ورد إثباته لله تعالى : كل صفة دل عليها اسم من أسماء الله تعالى دلالة مطابقة، أو تضمن، أو التزام.

ومنه كل صفة دل عليها فعل من أفعاله كالاستواء على العرش، والنزول إلى السماء الدنيا، والمجيء للفصل بين عباده يوم القيامة، ونحو ذلك من أفعاله التي لا تحصى أنواعها فضلاً عن أفرادها ﴿وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾[٣]

ومنه :الوجه، والعينان، واليدان ونحوها.

---

(١) تقدم ذكر القاعدة بلفظ أسماء الله تعالى توقيفية ، وكذا صفات الله عز وجل توقيفية.

(٢) انظر نحو هذا الكلام في الفتاوى (٣/ ٣) وانظر معارج القبول ١/ ٣٣٠-٣٣١ / منهج أهل السنة ومنهج الأشاعرة ٢/ ٤٥٣ / القواعد الكلية / ١٢٩ - ١٣٧ وغيرها.

(٣) سورة إبراهيم، الآية: ٢٧.

ومنه الكلام، والمشيئة، والإرادة بقسميها :الكوني، والشرعي . فالكونية بمعنى المشيئة، والشرعية بمعنى المحبة(١).

ومنه الرضا، والمحبة، والغضب، والكراهة ونحوها.

ومما ورد نفيه عن الله سبحانه لانتفائه وثبوت كمال ضده :الموت، والنوم، والسنة، والعجز، والإعياء، والظلم، والغفلة عن أعمال العباد، وأن يكون له مثيل أو كفؤ ونحو ذلك.

ومما لم يرد إثباته ولا نفيه لفظ (الجهة)(٢) فلو سأل سائل هل نثبت لله تعالى جهة؟

---

(١) الفرق بين الإرادتين:

الشرعية تكون فيما يحبه الله عز وجل – والكونية أعم من ذلك فتكون فيما يحبه وفيما لا يحبه سبحانه.

الشرعية قد تقع كإسلام المسلم وقد لا تقع كإسلام أبي لهب مثلاً- الكونية لا بد أن تقع ولا تتخلف عن الوقوع. والله أعلم

(٢) اعلم رحمك الله تعالى أن الألفاظ التي لم ترد في الكتاب والسنة قسمان:

– نقص محض فهذه تنفي عن الله عز وجل مع إثبات كمال ضدها (كالعرَج) لم يرد نفيه ولا إثباته لكننا ننفيه عن الله عز وجل لثبوت كمال حياته وقيوميته سبحانه.

– لفظ مجمل للحق والباطل كالجهة والجسم والمكان ونحوها فهذه الألفاظ يجب التفصيل فيها قبل نفيها وإثباتها كما ذكر الشيخ رحمه الله تعالى. وانظر الطحاوية / ٢٣٩ ، ٢١٨ .

ونعرف أن معناها " حق " إذا كان قد ثبت بصفة أخرى كالجهة إذا كانت بمعنى العلو فالعلو ثابت بعشرات الأدلة فإقرارنا بالمعنى استناداً إلى الأدلة لا إلى هذا اللفظ المجمل.

وانظر / الفتاوى ٥/ ٢٩٨ مختصر العلو / ٦٨

(فائدة) اعلم وفقك الله عز وجل إن منشأ هذه الألفاظ المجملة علم الكلام، وأن مستخدميها هم أهل البدع فكن على يقظة وحذر ، وهكذا يصنع المبتدعة والمتحزبة في عصرنا والله المعين على كشف عوارهم

قلنا له : لفظ الجهة لم يرد في الكتاب والسنة إثباتاً ولا نفياً، ويغني عنه ما ثبت فيهما من أن الله تعالى في السماء . وأما معناه فإما أن يراد به جهة سفل أو جهة علو تحيط بالله أو جهة علو لا تحيط به.

فالأول باطل لمنافاته لعلو الله تعالى الثابت بالكتاب والسنة، والعقل والفطرة، والإجماع.

والثاني باطل أيضاً؛ لأن الله تعالى أعظم من أن يحيط به شيء من مخلوقاته.

والثالث حق؛ لأن الله تعالى العلي فوق خلقه ولا يحيط به شيء من مخلوقاته.

ودليل هذه القاعدة السمع والعقل.

فأما السمع فمنه قوله تعالى: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ(١)﴾، وقوله: ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ(٢)﴾، وقوله: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا(٣)﴾ وقوله: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً(٤)﴾، وقوله: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً(٥)﴾، وقوله: ﴿وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ(٦)﴾

إلى غير ذلك من النصوص الدالة على وجوب الإيمان بما جاء في القرآن والسنة.

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٥٥.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٥٨.

(٣) سورة الحشر، الآية: ٧.

(٤) سورة النساء، الآية: ٨٠.

(٥) سورة النساء، الآية: ٥٩.

(٦) سورة المائدة، الآية: ٤٩.

وكل نص يدل على وجوب الإيمان بما جاء في القرآن فهو دال على وجوب الإيمان بما جاء في السنة؛ لأن مما جاء في القرآن الأمر باتباع النبي صلى الله عليه وسلم والرد إليه عند التنازع .والرد إليه يكون إليه نفسه في حياته وإلى سنته بعد وفاته[١].

فأين الإيمان بالقرآن لمن استكبر عن اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم المأمور به في القرآن؟

وأين الإيمان بالقرآن لمن لم يرد النزاع إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقد أمر الله به في القرآن؟

وأين الإيمان بالرسول الذي أمر به القرآن لمن لم يقبل ما جاء في سنته؟

ولقد قال الله تعالى﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ[٢]﴾ ومن المعلوم أن كثيراً من أمور الشريعة العلمية والعملية جاء بيانها بالسنة، فيكون بيانها بالسنة من تبيان القرآن.

وأما العقل فنقول : إن تفصيل القول فيما يجب[٣] أو يمتنع[٤] أو يجوز[٥] في حق الله تعالى من أمور الغيب التي لا يمكن إدراكها بالعقل، فوجب الرجوع فيه إلى ما جاء في الكتاب والسنة.

---

(١) أهل السنة والجماعة يؤمنون بكل ما ورد في القرآن والسنة الصحيحة سواءً ما صح بسند واحد أو أكثر وضل في ذلك المعتزلة فردوا خبر الآحاد وبطلان حجتهم هذه بأنهم قد ردوا ما جاء في القرآن دل على أنهم ليسوا حول الدين ومن الردود عليهم أن جبريل واحد والرسول واحد فإن صدقوا بهما بطل قولهم وإن كذبوهما كفروا، وأيضاً عرف بهذا ضلال الطائفة القرآنية التي ترد السنة ولا تؤمن بها وهؤلاء أشد كفراً وضلالاً.

إعلام الموقعين ١/ ٤٩-٥٠ وانظر مناهج الاستدلال ١/ ١٢٠/ ١٢٥/ ١٢٨ / مختصر الصواعق ٢/ ٣٥٩ موقف المتكلمة من الاستدلال بنصوص الصفات (١/ ٦١) وغيرها

(٢) سورة النحل، الآية: ٨٩.

(٣) وهي صفات الكمال المطلق.

(٤) وهي صفات النقص المحض.

(٥) وهي الصفات الفعلية التي يفعلها متى شاء ولا يفعلها متى شاء . والله أعلم.

القاعدة الثانية :الواجب في نصوص القرآن والسنة إجراؤها على ظاهرها دون تحريف[١] لاسيما نصوص الصفات حيث لا مجال للرأي فيها.

ودليل ذلك :السمع، والعقل.

أما السمع :فقوله تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ *عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ *بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ[٢]﴾ وقوله: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ[٣]﴾ وقوله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ[٤] ﴾، وهذا يدل على وجوب فهمه على ما يقتضيه ظاهره باللسان العربي إلا أن يمنع منه دليل شرعي.

وقد ذم الله تعالى اليهود على تحريفهم، وبين أنهم بتحريفهم من أبعد الناس عن الإيمان .فقال: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلامَ اللهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ[٥]﴾ وقال تعالى: ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا[٦]﴾ الآية.

---

(١) لغة : الإمالة ، اصطلاحاً : إمالة الكلام عن الحق الثابت فيه إلى غيره وهو قريب من معنى الإلحاد.

(٢) سورة الشعراء، الآيات: ١٩٣ – ١٩٥.

(٣) سورة يوسف، الآية: ٢.

(٤) سورة الزخرف، الآية: ٣.

(٥) سورة البقرة، الآية: ٧٥.

(٦) سورة النساء، الآية: ٤٦.

وأما العقل : فلأن المتكلم بهذه النصوص أعلم بمراده من غيره، وقد خاطبنا باللسان العربي المبين فوجب قبوله على ظاهره وإلا لاختلفت الآراء وتفرقت الأمة(١).

****

(١) ولأن الكلام الشرعي لا يخشى عليه الخطأ ولا الجهل ولا التقصير في البيان كما قال تعالى: ﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾، وقوله: ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾، وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ حَدِيثًا ﴾.

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى " (لو أراد الله ورسوله خلاف ظاهر كلامهما لكان قد كلف العباد فوق قدرتهم أ . هـ / الصواعق ١/ ٣١٠ وهذا محال لقوله تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾.

القاعدة الثالثة[١] : ظواهر نصوص الصفات معلومة لنا باعتبار ومجهولة لنا باعتبار آخر، فباعتبار المعنى هي معلومة، وباعتبار الكيفية التي هي عليها مجهولة.

وقد دل على ذلك :السمع والعقل.

أما السمع : فمنه قوله تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ[٢]﴾ وقوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ[٣]﴾ وقوله –جل ذكره: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ[٤]﴾

والتدبر لا يكون إلا فيما يمكن الوصول إلى فهمه، ليتذكر الإنسان بما فهمه منه. وكون القرآن عربياً ليعقله من يفهم العربية يدل على أن معناه معلوم وإلا لما كان فرق بين أن يكون باللغة العربية أو غيرها.

وبيان النبي صلى الله عليه وسلم القرآن للناس شامل لبيان لفظه وبيان معناه.

وأما العقل : فلأن من المحال أن ينزل الله تعالى كتاباً أو يتكلم رسوله صلى الله عليه وسلم بكلام يقصد بهذا الكتاب وهذا الكلام أن يكون هداية للخلق، ويبقى في أعظم الأمور وأشدها ضرورة مجهول المعنى، بمنزلة الحروف الهجائية التي لا يفهم منها شيء؛ لأن ذلك من السفه الذي تأباه حكمة الله تعالى، وقد قال الله تعالى عن كتابه : ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾[٥]

---

(١) تقدم بعض الكلام عليها في القاعدة السادسة للصفات وتقدم أيضاً آنفاً في القاعدة الثانية .

(٢) سورة ص، الآية: ٢٩.

(٣) سورة الزخرف، الآية: ٣.

(٤) سورة النحل، الآية: ٤٤.

(٥) سورة هود، الآية: ١.

هذه دلالة السمع والعقل على علمنا بمعاني نصوص الصفات.

وأما دلالتها على جهلنا لها باعتبار الكيفية، فقد سبقت في القاعدة السادسة من قواعد الصفات(١).

وبهذا علم بطلان مذهب المفوضة(٢) الذين يفوضون علم معاني نصوص الصفات، ويدعون أن هذا مذهب السلف. والسلف بريئون من هذا المذهب، وقد تواترت الأقوال عنهم بإثبات المعاني لهذه النصوص إجمالاً أحياناً وتفصيلاً أحياناً، وتفويضهم الكيفية إلى علم الله –عز وجل.

قال شيخ الإسلام ابن تيميه(٣) في كتابه المعروف بـ"العقل والنقل" ص 116 جـ 1 المطبوع على هامش (منهاج السنة): وأما التفويض فمن المعلوم أن الله أمرنا بتدبر القرآن وحضنا على عقله وفهمه، فكيف يجوز مع ذلك أن يراد منا الإعراض عن فهمه ومعرفته وعقله.

– إلى أن قال ص 118 : وحينئذٍ فيكون ما وصف الله به نفسه في القرآن أو كثير مما وصف الله به نفسه لا يعلم الأنبياء معناه .بل يقولون كلاماً لا يعقلون معناه، قال :ومعلوم أن هذا قدح في القرآن والأنبياء إذ كان الله أنزل القرآن وأخبر أنه جعله هدىً وبياناً للناس، وأمر الرسول أن

---

(١) ـ وأيضاً – أ- لأن الله عز وجل أخبرنا بصفاته ولم يخبرنا بكيفيتها . – ب- لأن الصفات فرع عن الذات والله عز وجل يقول " ولا يحيطون به علماً " فكما أننا لا نعرف كيفية ذاته كذا لا نعرف كيفية صفاته – ج- لأن الله عز وجل لم يتعبدنا بمعرفة الكيفية – د – قصور عقولنا عن معرفة ذلك – و – لأن هذه طريقة السلف الصالح . القواعد الكلية / ٣٠٥-٣٠٦/ المدارج ٣/ ٣٥٩ / منهج الاستدلال ٢/ ٤٨٢ وغيرها

(٢) التفويض لغة : الرد إلى الشيء والتوكيل إليه / اللسان / ٣٤٨ / واصطلاحاً : صرف اللفظ عن ظاهره مع عدم التعرض لبيان المعنى المراد منه بل يقولون : الله أعلم بمراده فيقولون : الله عليم ، فإذا قيل لهم ما معنى عليم : قالوا : الله أعلم بمراده . أ .هـ وهؤلاء أضل من الجهمية انظر مذهب أهل التفويض / ١٥٢/ منهج الاستدلال ٢/ ٥٨٠ الصواعق ٢/ ٤٣٣

(٣) انظر درئ تعارض العقل والنقل (١/ ٢٠٤) وانظر موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول (١/ ١٥٩)

يبلغ البلاغ المبين، وأن يبين للناس ما نزل إليهم وأمر بتدبر القرآن وعقلهن ومع هذا فأشرف ما فيه وهو ما أخبر به الرب عن صفاته ...لا يعلم أحد معناه فلا يعقل ولا يتدبر، ولا يكون الرسول بين للناس ما نزل إليهم، ولا بلغ البلاغ المبين، وعلى هذا التقدير فيقول كل ملحد ومبتدع الحق في نفس الأمر ما علمته برأيي وعقلي، وليس في النصوص ما يناقض ذلك؛ لأن تلك النصوص مشكلة متشابهة، ولا يعلم أحد معناها، وما لا يعلم أحد معناه لا يجوز أن يستدل به، فيبقى هذا الكلام سداً لباب الهدى والبيان من جهة الأنبياء، وفتحاً لباب من يعارضهم ويقول :إن الهدى والبيان في طريقنا لا في طريق الأنبياء؛ لأننا نحن نعلم ما نقول ونبينه بالأدلة العقلية، والأنبياء لم يعلموا ما يقولون فضلاً عن أن يبينوا مرادهم، فتبين أن قول أهل التفويض الذين يزعمون أنهم متبعون للسنة والسلف[(١)] من شر أقوال أهل البدع

(١) أسباب ظهور التفويض أمور – ١- الفهم الخاطئ لطريقة السلف كما سيأتي – ٢- الوقوع في الأصول العقلية والكلامية – ٣- دعوى الخوف على عقيدة العوام.

ودعوى أن هذا فهم السلف كذب، فالسلف كتبهم طافحة ببيان الصفات كما قال مالك (الاستواء معلوم) أي معلوم المعنى وكذا ردود السلف على المفوضة ويقال لهم الواقفة حتى قال الإمام أحمد : الواقفة أكفر من الجهمية.

وقال ابن تيمية رحمه الله تعالى : فإن هؤلاء المبتدعة كذبوا على طريق السلف ... الفتاوى (٥/ ٩-١٠).

وقدا سترسل الشيخ رحمه الله تعالى في رد مذهبهم في الواسطية عند قوله (ولا تكييف) فراجعه فإنه مفيد للغاية. وانظر مذهب أهل التفويض ٥٠٣/ الماتريدية ٢/ ١٣٣ الفتاوى ١٣/ ٣٠٧ ، ١٧/ ١٠٦ وغيرها

والإلحاد[١] .أهـ .كلام الشيخ وهو كلام سديد من ذي رأي رشيد، وما عليه مزيـد –رحمـه الله تعالى رحمة واسعة، وجمعنا به في جنات النعيم.

****

(١) وذلك لأمور – أ- لأن المفوض محرفٌ لظاهر النص - ب- لأنه عطل المعنى – ج – لأنه توقف في إثبات المعنى خوف التمثيل فهو ممثل – د – مخالف لمنهج السلف – و- عدم إثبات الصفات تشبيه لله عز وجل بالمعدومات – ز- التفويض إلحاد من حيث أنه مال بها عن معانيها الحقة إلى الباطل.

القاعدة الرابعة : ظاهر النصوص ما يتبادر منها إلى الذهن من المعاني، وهو يختلف بحسب السياق وما يضاف إليه الكلام، فالكلمة الواحدة يكون لها معنى في سياق، ومعنى آخر في سياق .وتركيب الكلام يفيد معنى على وجه ومعنى آخر على وجه.

فلفظ القرية، مثلاً يراد به القوم تارة، ومساكن القوم تارة أخرى.

فمن الأول قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَاباً شَدِيداً[(١)]﴾

ومن الثاني قوله تعالى عن الملائكة ضيف إبراهيم: ﴿إِنَّا مُهْلِكُو أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ[(٢)]﴾

وتقول : صنعت هذا بيدي، فلا تكون اليد كاليد في قوله تعالى: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ[(٣)]﴾؛ لأن اليد في المثال أضيفت إلى المخلوق فتكون مناسبة له، وفي الآية أضيفت إلى الخالق فتكون لائقة به، فلا أحد سليم الفطرة صريح العقل يعتقد أن يد الخالق كيد المخلوق أو بالعكس.

ونقول : ما عندك إلا زيد[(٤)]، وما زيد إلا عندك. فتفيد الجملة الثانية معنى غير ما تفيده الأولى مع اتحاد الكلمات، لكن اختلف التركيب فغير المعنى به.

إذا تقرر هذا فظاهر نصوص الصفات ما يتبادر منها إلى الذهن من المعاني.

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٥٨.

(٢) سورة العنكبوت، الآية: ٣١.

(٣) سورة ص، الآية: ٧٥.

(٤) حصرت الكائن (زيد) (ما زيد إلا عندك) حصرت المكان (عندك).

وقد انقسم الناس فيه إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول : من جعلوا الظاهر المتبادر منها معنى حقاً يليق بالله –عز وجل – وأبقوا دلالتها على ذلك، وهؤلاء هم السلف الذين اجتمعوا على ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، والذين لا يصدق لقب أهل السنة والجماعة إلا عليهم[١].

وقد أجمعوا على ذلك كما نقله ابن عبد البر[٢] فقال: أهل السنة مجمعون على الإقرار[٣] بالصفات الواردة كلها في القرآن الكريم والسنة، والإيمان بها، وحملها على الحقيقة لا على المجاز، إلا أنهم لا يكيفون شيئاً من ذلك، ولا يحدون فيه صفة محصورة" أهـ.

وقال القاضي أبو يعلى في كتاب "إبطال التأويل" : لا يجوز رد هذه الأخبار، ولا التشاغل بتأويلها، والواجب حملها على ظاهرها، وأنها صفات الله، لا تشبه صفات سائر الموصوفين بها من الخلق، ولا يعتقد التشبيه فيها، لكن على ما روي عن الإمام أحمد وسائر الأئمة" أهـ .نقل ذلك عن ابن عبد البر والقاضي شيخ الإسلام ابن تيميه في الفتوى الحموية ص 87-89 جـ 5 من مجموع الفتاوى لابن القاسم.

وهذا هو المذهب الصحيح، والطريق القويم الحكيم، وذلك لوجهين:

الأول : أنه تطبيق تام لما دل عليه الكتاب والسنة من وجوب الأخذ بما جاء فيهما من أسماء الله وصفاته كما يعلم ذلك من تتبعه بعلم وإنصاف.

---

(١) السلفيون الذين يؤمنون بالأسماء والصفات وسائر المعتقد من غير تحريف ولا تمثيل ولا تعطيل ولا تكييف ، وانظر مقدمة الواسطية لابن تيمية رحمه الله تعالى .

(٢) في التمهيد (٧/ ١٤٥) ونقله أيضاً ابن القيم إعلام الموقعين ١/ ٤٩ / الصواعق ١/ ٢١٠

(٣) أي: الإثبات .

الثاني : أن يقال :إن الحق إما أن يكون فيما قاله السلف أو فيما قاله غيرهم، والثاني باطل لأنه يلزم منه أن يكون السلف من الصحابة والتابعين لهم بإحسان تكلموا بالباطل تصريحاً أو ظاهراً، ولم يتكلموا مرة واحدة لا تصريحاً ولا ظاهراً بالحق الذي يجب اعتقاده .وهذا يستلزم أن يكونوا إما جاهلين بالحق وإما عالمين به لكن كتموه، وكلاهما باطل، وبطلان اللازم(١) يدل على بطلان الملزوم(٢)، فتعين أن يكون الحق فيما قاله السلف دون غيرهم.

القسم الثاني : من جعلوا الظاهر المتبادر من نصوص الصفات معنى باطلاً لا يليق بالله وهو : التشبيه(٣)، وأبقوا دلالتها على ذلك .وهؤلاء هم المشبهة(٤) ومذهبهم باطل محرم من عدة أوجه:

الأول : أنه جناية على النصوص وتعطيل لها عن المراد بها، فكيف يكون المراد بها التشبيه وقد قال الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ(٥)﴾

الثاني : أن العقل دل على مباينة الخالق للمخلوق في الذات والصفات، فكيف يحكم بدلالة النصوص على التشابه بينهما؟

الثالث : أن هذا المفهوم الذي فهمه المشبه من النصوص مخالف لما فهمه السلف منها فيكون باطلاً.

---

(١) وهو الجهل به أو كتمه.

(٢) وهو أن طريقة غير السلف هي الحق فهذا باطل.

(٣) وهو التمثيل كما تقدم مراراً.

(٤) هم الممثلة.

(٥) سورة الشورى، الآية: ١١.

فإن قال المشبه : أنا لا أعقل من نزول الله ويده إلا مثل ما للمخلوق من ذلك، والله تعالى لم يخاطبنا إلا بما نعرفه ونعقله فجوابه من ثلاثة أوجه:

أحدها : أن الذي خاطبنا بذلك هو الذي قال عن نفسه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ ونهى عباده أن يضربوا له الأمثال، أو يجعلوا له أنداداً فقال: ﴿فَلا تَضْرِبُوا للهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ[١]﴾ وقال: ﴿فَلا تَجْعَلُوا للهِ أَنْدَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ[٢]﴾ وكلامه -تعالى -كله حق يصدق بعضه بعضاً، ولا يتناقض.

ثانيها : أن يقال له :ألست تعقل لله ذاتاً لا تشبه الذوات؟

فسيقول :بلى !فيقال له :فلتعقل له صفات لا تشبه الصفات، فإن القول في الصفات كالقول في الذات[٣]، ومن فرق بينهما فقد تناقض.!

ثالثها : أن يقال : ألست تشاهد في المخلوقات ما يتفق في الأسماء ويختلف في الحقيقة والكيفية؟

فسيقول : بلى !فيقال له : إذا عقلت التباين بين المخلوقات في هذا، فلماذا لا تعقله بين الخالق والمخلوق، مع أن التباين بين الخالق والمخلوق أظهر وأعظم، بل التماثل مستحيل بين الخالق والمخلوق كما سبق في القاعدة السادسة من قواعد الصفات.

القسم الثالث : من جعلوا المعنى المتبادر من نصوص الصفات معنى باطلاً، لا يليق بالله وهو التشبيه، ثم إنهم من أجل ذلك أنكروا ما دلت عليه من المعنى اللائق بالله، وهم أهل التعطيل

---

(١) سورة النحل، الآية: ٧٤.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٢.

(٣) انظر نحو هذا الكلام / التدمرية / ٤٣ التحفة المهدية / ١٠٩ / الفتاوى ٣/ ٩-١١/ الحجة في إثبات المحجة ١/ ١٧٥/ منهج أهل السنة ومنهج الأشاعرة / ٢/ ٤١٣ وغيرها.

سواء كان تعطيلهم عاماً[١] في الأسماء والصفات، أم خاصاً[٢] فيهما، أو في أحدهما[٣]، فهؤلاء صرفوا النصوص عن ظاهرها إلى معاني عينوها بعقولهم، واضطربوا في تعيينها اضطراباً كثيراً، وسموا ذلك تأويلاً، وهو في الحقيقة تحريف[٤].

ومذهبهم باطل من وجوه:

أحدها : أنه جناية على النصوص حيث جعلوها دالة على معنى باطل غير لائق بالله ولا مراد له.

الثاني : أنه صرف لكلام الله تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم عن ظاهره، والله تعالى خاطب الناس بلسان عربي مبين، ليعقلوا الكلام ويفهموه على ما يقتضيه هذا اللسان العربي، والنبي صلى الله عليه وسلم خاطبهم بأفصح لسان البشر؛ فوجب حمل كلام الله ورسوله على ظاهره المفهوم بذلك اللسان العربي؛ غير أنه يجب أن يصان عن التكييف والتمثيل في حق الله عز وجل.

الثالث : أن صرف كلام الله ورسوله عن ظاهره إلى معنى يخالفه، قول على الله بلا علم وهو محرم ؛ لقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ

---

(١) من الجهمية والمعتزلة الذين ينكرون جميع الصفات وزاد الجهمية إنكار الأسماء.

(٢) كالأشاعرة عطلوا أكثر الصفات إلا النادر وكلهم أهل بدع وضلال.

(٣) كالمعتزلة والأشاعرة كما تقدم .

(٤) التأويل منه ما هو حق كالتفسير للألفاظ ويسمى تأويلاً أو صرف اللفظ عن ظاهره لقرينة صحيحة، ومنه ما هو باطل وهو التحريف، أما التحريف فكله باطل فكان التعبير به أولى لأنه الوارد في القرآن الكريم.
وانظر الواسطية لابن عثيمين عند قوله: (ولا تحريف).

تُشْرِكُوا بِاللهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللهِ مَا لا تَعْلَمُونَ[(١)]﴾ ولقوله سبحانه: ﴿وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً[(٢)]﴾

فالصارف لكلام الله –تعالى – ورسوله عن ظاهره إلى معنى يخالفه قد قفا ما ليس له به علم . وقال على الله ما لا يعلم من وجهين:

الأول : أنه زعم أنه ليس المراد بكلام الله تعالى ورسوله كذا، مع أنه ظاهر الكلام.

الثاني : أنه زعم أن المراد به كذا لمعنى آخر لا يدل عليه ظاهر الكلام.

وإذا كان من المعلوم أن تعيين أحد المعنيين المتساويين في الاحتمال[(٣)] قول بلا علم؛ فما ظنك بتعيين المعنى المرجوح المخالف لظاهر الكلام[(٤)]؟!

مثال ذلك :قوله تعالى لإبليس: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَي[(٥)]﴾ فإذا صرف الكلام عن ظاهره، وقال :لم يرد باليدين اليدين الحقيقيتين وإنما أراد كذا وكذا .قلنا له : ما دليلك على ما نفيت[(٦)]؟ ! وما دليلك على ما أثبت[(٧)]؟ ! فإن أتى بدليل –وأنى له ذلك –وإلا كان قائلاً على الله بلا علم في نفيه وإثباته.

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٣٣.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٣٦.

(٣) يعني لفظ واحد له معنيان مستويان في احتمال أن هذا مراد أو هذا مراد . فتعيين أحدهما بلا برهان قول بلا علم .

(٤) فهو من باب أولى قول بلا علم .

(٥) سورة ص، الآية: ٧٥.

(٦) للظاهر.

(٧) للمعنى الآخر .

الوجه الرابع : في إبطال مذهب أهل التعطيل : أن صرف نصوص الصفات عن ظاهرها مخالف لما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وسلف الأمة وأئمتها، فيكون باطلاً، لأن الحق بلا ريب فيما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، وسلف الأمة وأئمتها.

الوجه الخامس : أن يقال للمعطل:

هل أنت أعلم بالله من نفسه؟ فسيقول : لا.

ثم يقال له : هل ما أخبر الله به عن نفسه صدق وحق؟ فسيقول : نعم.

ثم يقال له : هل تعلم كلاماً أفصح وأبين من كلام الله –تعالى؟ فسيقول : لا.

ثم يقال له :هل تظن أن الله – سبحانه وتعالى – أراد أن يعمي الحق على الخلق في هذه النصوص ليستخرجوه بعقولهم؟ فسيقول :لا.

هذا ما يقال له باعتبار ما جاء في القرآن.

أما باعتبار ما جاء في السنة فيقال له:

هل أنت أعلم بالله من رسوله صلى الله عليه وسلم؟ فسيقول :لا.

ثم يقال له : هل ما أخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحق صدق وحق؟ فسيقول : نعم.

ثم يقال له : هل تعلم أن أحداً من الناس أفصح كلاماً، وأبين من رسول الله صلى الله عليه؟ فسيقول لا.

فيقال له : إذا كنت تقر بذلك فلماذا لا يكون عندك الإقدام والشجاعة في إثبات ما أثبته الله – تعالى –لنفسه، وأثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم على حقيقته وظاهره اللائق بالله؟ وكيف يكون عندك الإقدام والشجاعة في نفي حقيقته تلك، وصرفه إلى معنى يخالف ظاهره بغير علم؟ وماذا يضيرك إذا أثبت الله –تعالى –ما أثبته لنفسه في كتابه، أو سنة نبيه على الوجه اللائق به، فأخذت بما جاء في الكتاب والسنة إثباتاً ونفياً؟

أليس هذا أسلم لك وأقوم لجوابك إذا سئلت يوم القيامة: ﴿مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ[١]﴾

أوليس صرفك لهذه النصوص عن ظاهرها، وتعيين معنى آخر مخاطرة منك؟ !فلعل المراد يكون –على تقدير جواز صرفها –غير ما صرفتها إليه.

الوجه السادس في إبطال مذهب أهل التعطيل : أنه يلزم عليه لوازم باطلة؛ وبطلان اللازم يدل على بطلان الملزوم.

فمن هذه اللوازم:

أولاً : أن أهل التعطيل لم يصرفوا نصوص الصفات عن ظاهرها إلا حيث اعتقدوا أنه مستلزم أو موهم لتشبيه الله –تعالى –بخلقه، وتشبيه الله –تعالى –بخلقه كفر؛ لأنه تكذيب لقوله –تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ[٢]﴾ .

قال نعيم بن حماد الخزاعي أحد مشايخ البخاري رحمهما الله: من شبه الله بخلقه فقد كفر ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر، وليس ما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيهاً[٣] .أهـ.

ومن المعلوم أن من أبطل الباطل أن يجعل ظاهر كلام الله تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم تشبيهاً وكفراً أو موهماً لذلك.

ثانياً : أن كتاب الله –تعالى –الذي أنزله تبياناً لكل شيء، وهدى للناس، وشفاءً لما في الصدور، ونوراً مبيناً، وفرقاناً بين الحق والباطل لم يبين الله –تعالى –فيه ما يجب على العباد اعتقاده في أسمائه وصفاته، وإنما جعل ذلك موكلاً إلى عقولهم، ويثبتون لله ما يشاءون، وينكرون ما لا يريدون .وهذا ظاهر البطلان.

---

(١) سورة القصص، الآية: ٦٥.

(٢) سورة الشورى، الآية: ١١

(٣) أخرجه اللالكائي (٩٣٦) وسنده صحيح.

ثالثاً : أن النبي صلى الله عليه وسلم وخلفاءه الراشدين وأصحابه وسلف الأمة وأئمتها، كانوا قاصرين أو مقصرين في معرفة وتبيين ما يجب لله تعالى من الصفات أو يمتنع عليه أو يجوز؛ إذ لم يرد عنهم حرف واحد فيما ذهب إليه أهل التعطيل في صفات الله –تعالى –وسموه تأويلاً.

وحينئذ إما أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم وخلفاؤه الراشدون وسلف الأمة وأئمتها قاصرين لجهلهم بذلك وعجزهم عن معرفته، أو مقصرين لعدم بيانهم للأمة، وكلا الأمرين باطل!!

رابعاً : أن كلام الله ورسوله ليس مرجعاً للناس فيما يعتقدونه في ربهم وإلاههم الذي معرفتهم به من أهل ما جاءت به الشرائع بل هو زبدة الرسالات، وإنما المرجع تلك العقول المضطربة المتناقضة وما خالفها، فسبيله التكذيب إن وجدوا إلى ذلك سبيلاً، أو التحريف الذي يسمونه تأويلاً، إن لم يتمكنوا من تكذيبه.

خامساً : أنه يلزم منه جواز نفي ما أثبته الله ورسوله، فيقال في قوله –تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ[(١)]﴾ إنه لا يجيء، وفي قوله صلى الله عليه وسلم" :ينزل ربنا إلى السماء الدنيا" إنه لا ينزل لأن إسناد المجيء والنزول إلى الله مجاز عندهم، وأظهر علامات المجاز عند القائلين به صحة نفيه، ونفي ما أثبته الله ورسوله من أبطل الباطل، ولا يمكن الانفكاك عنه بتأويله إلى أمره؛ لأنه ليس في السياق ما يدل عليه.

ثم إن من أهل التعطيل من طرد قاعدته في جميع الصفات[(٢)]، أو تعدى إلى الأسماء[(١)] –أيضاً – ومنهم من تناقض فأثبت بعض الصفات دون بعض[(٢)]، كالأشعرية والماتريدية :أثبتوا ما أثبتوه بحجة أن العقل يدل عليه، ونفوا ما نفوه بحجة أن العقل ينفيه أو لا يدل عليه[(٣)].

---

(١) سورة الفجر، الآية: ٢٢.

(٢) وهم المعتزلة.

فنقول لهم : نفيكم لما نفيتموه بحجة أن العقل لا يدل عليه يمكن إثباته بالطريق العقلي الذي أثبتم به ما أثبتموه كما هو ثابت بالدليل السمعي.

مثال ذلك : أنهم أثبتوا صفة الإرادة، ونفوا صفة الرحمة.

أثبتوا صفة الإرادة لدلالة السمع والعقل عليها.

أما السمع : فمنه قوله تعالى﴿وَلَكِنَّ اللهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ(٤)﴾

وأما العقل :فإن اختلاف المخلوقات وتخصيص بعضها بما يختص به من ذات أو وصف دليل على الإرادة.

ونفوا الرحمة؛ لأنها تستلزم لين الراحم ورقته للمرحوم، وهذا محال في حق الله تعالى.

وأولوا الأدلة السمعية المثبتة للرحمة إلى الفعل أو إرادة الفعل ففسروا الرحيم بالمنعم أو مريد الإنعام.

فنقول لهم : الرحمة ثابتة لله تعالى بالأدلة السمعية، وأدلة ثبوتها أكثر عدداً وتنوعاً من أدلة الإرادة .

فقد وردت بالاسم مثل: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ(٥)﴾ والصفة مثل: ﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ(٦) ﴾ والفعل مثل: ﴿وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ(٧)﴾

---

(١) وهم الجهمية.

(٢) الأشاعرة والماتريدية والكلابية.

(٣) وهؤلاء الذين قدموا العقل على النقل أضل من حمر أهلهم، وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : أرادوا بهذه القاعدة أن يهدموا الإسلام أ . هـ ورد عليهم بكتاب (درئ تعارض العقل والنقل).

(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٥٣.

(٥) سورة الفاتحة، الآية: ٣.

(٦) سورة الكهف، الآية: ٥٨.

(٧) سورة العنكبوت، الآية: ٢١.

ويمكن إثباتها بالعقل فإن النعم التي تترى على العباد من كل وجه، والنقم التي تـدفع عـنهم في كل حين دالة على ثبوت الرحمة لله –عز وجـل –ودلالتهـا عـلى ذلـك أبـين وأجـلى مـن دلالـة التخصيص على الإرادة، لظهور ذلك للخاصة والعامة، بخلاف دلالة التخصيص عـلى الإرادة، فإنه لا يظهر إلا لأفراد من الناس.

وأما نفيها بحجة أنها تستلزم اللين والرقة؛ فجوابه : أن هذه الحجة لو كانـت مسـتقيمة لأمكـن نفي الإرادة بمثلها فيقال : الإرادة ميل المريد إلى ما يرجو به حصول منفعة أو دفع مضرة، وهـذا يستلزم الحاجة، والله تعالى منزه عن ذلك.

فإن أجيب : بأن هذه إرادة المخلوق أمكن الجواب بمثله في الرحمة بأن الرحمة المسـتلزمة للـنقص هي رحمة المخلوق.

وبهذا تبين بطلان مذهب أهل التعطيل سواء كانت تعطيلاً عاماً أو خاصاً.

وبه علم أن طريق الأشاعرة والماتريدية في أسماء وصفاته وما احتجوا به لذلك لا تندفع بـه شـبه المعتزلة والجهمية وذلك من وجهين:

أحدهما : أنه طريق مبتدع لم يكن عليه النبي صـلى الله عليـه وسـلم ولا سـلف الأمـة وأئمتهـا، والبدعة لا تدفع بالبدعة وإنما تدفع بالسنة.

الثاني : أن المعتزلة والجهمية يمكنهم أن يحتجوا لما نفوه على الأشاعرة والماتريدية بمثل ما احـتج به الأشاعرة والماتريدية لما نفوه على أهل السنة، فيقولون :لقد أبحتم لأنفسكم نفي ما نفيتم مـن الصفات بما زعمتموه دليلاً عقلياً وأولتم دليله السمعي، فلماذا تحرمون علينا نفي ما نفيناه بما نراه دليلاً عقلياً، ونأول دليله السمعي، فلنا عقول كما أن لكـم عقـولاً، فـإن كانـت عقولنـا خاطئـة فكيف كانت عقولكم صائبة، وإن كانت عقولكم صائبة فكيف كانت عقولنـا خاطئـة، ولـيس لكم حجة في الإنكار علينا سوى مجرد التحكم واتباع الهوى.

وهذه حجة دامغة وإلزام صحيح من الجهمية والمعتزلة للأشعرية والماتريدية، ولا مدفع لذلك ولا محيص عنه إلا بالرجوع لمذهب السلف الذين يطردون هذا الباب، ويثبتون لله تعالى من الأسماء والصفات ما أثبته لنفسه في كتابه أو على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم إثباتاً لا تمثيل فيه ولا تكييف، وتنزيهاً لا تعطيل فيه ولا تحريف،﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾

تنبيه: علم مما سبق أن كل معطل ممثل، وكل ممثل معطل.

أما تعطيل المعطل فظاهر، وأما تمثيله فلأنه إنما عطل لاعتقاده أن إثبات الصفات يستلزم التشبيه فمثل أولاً، وعطل ثانياً، كما أنه بتعطيله مثله بالناقص.

وأما تمثيل الممثل فظاهر، وأما تعطيله فمن ثلاثة أوجه:

الأول : أنه عطل نفس النص الذي أثبت به الصفة، حيث جعله دالاً على التمثيل مع أنه لا دلالة فيه عليه وإنما يدل على صفة تليق بالله عز وجل.

الثاني : أنه عطل كل نص يدل على نفي مماثلة الله لخلقه.

الثالث : أنه عطل الله تعالى عن كماله الواجب حيث مثله بالمخلوق الناقص.

فصل

اعلم أن بعض أهل التأويل أورد على أهل السنة شبهة في نصوص من الكتاب والسنة في الصفات، أدعى أن أهل السنة صرفوها عن ظاهرها؛ ليلزم أهل السنة بالموافقة على التأويل أو المداهنة فيه، وقال :كيف تنكرون علينا تأويل ما أولناه مع ارتكابكم لمثله فيما أولتموه؟

ونحن نجيب –بعون الله –عن هذه الشبهة بجوابين مجمل، ومفصل.

أما المجمل فيتلخص في شيئين:

أحدهما : أن لا نسلم أن تفسير السلف لها صرف عن ظاهرها، فإن ظاهر الكلام ما يتبادر منه من المعنى، وهو يختلف بحسب السياق، وما يضاف إليه الكلام، فإن الكلمات يختلف معناها بحسب تركيب الكلام، والكلام مركب من كلمات وجمل، يظهر معناها ويتعين بضم بعضها إلى بعض.

ثانيهما : أننا لو سلمنا أن تفسيرهم صرف لها عن ظاهرها، فإن لهم في ذلك دليلاً من الكتاب والسنة، إما متصلاً وإما منفصلاً، وليس لمجرد شبهات[١] يزعمها الصارف براهين وقطعيات يتوصل بها إلى نفي ما أثبته الله لنفسه في كتابه أو على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم.

وأما المفصل فعلى كل نص أدعى أن السلف صرفوه عن ظاهره .

ولنمثل بالأمثلة التالية فنبدأ بما حكاه أبو حامد الغزالي عن بعض الحنبلية أنه قال : إن أحمد لم يتأول[٢] إلا في ثلاثة أشياء:

---

(١) الشبه هي تشبيه الباطل بالحق ليضل به الناس ويقبلوا ما فيها.

(٢) تقدم أن الأولى التعبير (بالتحريف).

(الحجر الأسود يمين الله في الأرض)، و(قلوب العباد بين إصبعين من أصـابع الـرحمن)، و(إني أجد نفس الرحمن من قبل اليمن) نقله عنه شيخ الإسلام ابن تيميه ص 398 جـ 5 مـن مجمـوع الفتاوى . وقال : هذه الحكاية كذب على أحمد[١].

****

(١) وانظر للمزيد منهج أهل السنة ومنهج الأشاعرة ٢/ ٦٠٦

المثال الأول[١]: "الحجر الأسود يمين الله في الأرض".

والجواب عنه : أنه حديث باطل[٢]، لا يثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال ابن الجوزي في العلل المتناهية[٣]: هذا حديث لا يصح . وقال ابن العربي : حديث باطل فلا يلتفت إليه، وقال شيخ الإسلام ابن تيميه[٤] : روي عن النبي صلى الله عليه وسلم بإسناد لا يثبت أهـ .وعلى هذا فلا حاجة للخوض في معناه.

لكن قال شيخ الإسلام ابن تيميه :والمشهور –يعني في هذا الأثر –إنما هو عن ابن عباس[٥] قال" : الحجر الأسود يمين الله في الأرض، فمن صافحه وقبله، فكأنما صافح الله وقبل يمينه ." ومن تدبر اللفظ المنقول تبين له أنه لا إشكال فيه، فإنه قال: (يمين الله في الأرض) ولم يطلق فيقول :يمين الله . وحكم اللفظ المقيد يخالف حكم المطلق، ثم قال: (فمن صافحه وقبله فكأنما

---

(١) قالوا : ظاهر النص أن الحجر هو يمين الله عز وجل والحجر مخلوق فتكون صفة اليمين لله عز وجل مخلوقة.

(٢) الحديث رواه أبو يعلي في إبطال التأويل (١٧٧) من حديث انس رضي الله عنه وفيه أبان بن أبي عياش والعلاء بن مسلمة متروكان رواه الخطيب (٦/ ٣٢٨) وابن عدي (٢/ ١٧) وغيرهما عن جابر رضي الله عنه وفي سنده إسحاق الكاهلي كذاب ورواه عبد الرزاق عن ابن عباس موقوفاً (٨٩١٩) وغيره وفي سنده إبراهيم بن سعيد الخوربي متروك فالحديث في غاية من السقوط ولا نعلم أحداً من أهل العلم المعتبرين حسنه أو صححه والله أعلم .

(٣) (٩٤٤).

(٤) الفتاوى (٦/ ٣٩٧).

(٥) يعني موقوفاً بلفظ (إن هذا الركن يمين الله في الأرض يصافح الله بها عباده مصافحة الرجل أخاه) رواه ابن أبي عمر كما في المطالب العالية (١٢٤٢) وعبد الرزاق (٨٩١٩) من طريق ابن جريج سمعت محمد بن عباد بن جعفر يقول : سمعت ابن عباس ... فذكره فهذا سند صالح ولكنه موقوف.

صافح الله وقبل يمينه" وهذا صريح في أن المصافح لم يصافح يمين الله أصلاً، ولكن شبه بمن يصافح الله، فأول الحديث وآخره يبين أن الحجر ليس من صفات الله تعالى كما هو معلوم لكل عاقل .أهـ .ص398 جـ 6 مجموع الفتاوى[١].

****

(١) وانظر تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ص ٢١٥ ونقض التأسيس (٣/ ١٠٣-١٠٤) الفتاوى (٣/ ٤٣-٤٤) والتدمرية / ٧١ وغيرها، وقال أبو يعلي رحمه الله تعالى: اعلم أن هذا ليس على ظاهره لأن إضافة الحجر إلى صفة ذات هي يمين الله يحيل صفات الله جل وعلا ويخرجها عما تستحقه لأن الحجر جسم مخلوق حال في المخلوق وهو في الأرض، والله سبحانه وتعالى تستحيل عليه هذه الصفات. (ص ١٨٣) . أ . هـ وإضافة الأعيان القائمة بنفسها تكون إضافة مخلوق إلى خالقه. والله أعلم .

المثال الثاني[١]: "قلوب العباد بين إصبعين من أصابع الرحمن".

والجواب : أن هذا الحديث صحيح رواه مسلم[٢] في الباب الثاني من كتاب القدر عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول : "إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث يشاء" ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك"

وقد أخذ السلف أهل السنة بظاهر الحديث وقالوا : إن لله تعالى أصابع حقيقة نثبتها له كما أثبتها له رسوله صلى الله عليه وسلم، ولا يلزم من كون قلوب بني آدم بين إصبعين منها أن تكون مماسة لها حتى يقال : إن الحديث موهم للحلول[٣] فيجب صرفه عن ظاهره . فهذا السحاب مسخر بين السماء والأرض وهو لا يمس السماء ولا الأرض .ويقال : بدر بين مكة والمدينة مع تباعد ما بينها وبينهما، فقلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن حقيقة ولا يلزم من ذلك مماسة ولا حلول.

****

(١) قالوا : إذا أجرتموه على ظاهره فإن ذلك يستحيل لأن الله تعالى لا يوصف بالأعضاء، وإثباتكم يلزم منه مماسه الأصابع للقلوب وأنها في صدر الإنسان . أ . هـ

(٢) (٢٦٥٤/ م)

(٣) وانظر نقض التأسيس / ٣/ ١٤٢-١٤٣ الفتاوى ٣/ ٤٥

المثال الثالث[١]: "إني أجد نفس الرحمن من قبل اليمن".

والجواب : أن هذا الحديث رواه الإمام أحمد في المسند [٢] من حديث أبي هريرة –رضي الله عنه –قال :قال النبي صلى الله عليه وسلم: "ألا إن الإيمان يمان، والحكمة يمانية، وأجد نفس ربكم من قبل اليمن". قال في مجمع الزوائد: رجاله رجال الصحيح غير شبيب وهو ثقة. قلت : وكذا قال في التقريب عن شبيب ثقة من الثالثة، وقد روى البخاري نحوه في التاريخ الكبير[٣]. وهذا الحديث على ظاهره والنفس فيه اسم مصدر نفس ينفس تنفسياً، مثل فرج يفرج تفريجاً وفرجاً، هكذا قال أهل اللغة كما في النهاية والقاموس ومقاييس اللغة .قال في مقاييس اللغة : النفس كل شيء يفرج به عن مكروب .فيكون معنى الحديث :أن تنفيس الله –تعالى –عن المؤمنين يكون من أهل اليمن.

****

(١) قالوا : إذا أجريتم الحديث على ظاهره كانت من صفات الله عز وجل التنفس من قبل اليمن.

(٢) رواه الإمام أحمد (٢/ ٥٤١) والبخاري في(التاريخ الكبير) (تخ ٤/ ٧٠ – ٧١) وفي سنده شبيب فيه نظر، وللحديث شواهد ذكرها الألباني في الصحيحة (٣٣٦٧) : من حديث سلمة بن نفيل، وقال: الحديث صار به صحيحاً، والحمد لله على توفيقه، وأسأله المزيد من فضله.

(٣) (٤/ ٧٠-٧١) من طريق إبراهيم بن سليمان الأفطس عن الوليد بن عبد الرحمن الجرشي عن جبير بن نفير أخبره سلمه بن نفيل السكوني رفعه به. وصححه أيضًا من حديث سلمة الألباني كما تقدم وصححه الوادعي في الجامع الصحيح (٣٩٦).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: وهؤلاء هم الذين قاتلوا أهل الردة، وفتحوا الأمصار، فبهم نفس الرحمن عن المؤمنين الكربات. أهـ .ص398جـ 6مجموع فتاوى شيخ الإسلام لابن قاسم[١].

****

(١) وانظر تهذيب اللغة للأزهري (١٣/ ٩) إبطال التأويل / ٢٠٥ / نقض التأسيس ٣/ ١١٠-١١٤ منهج أهل السنة ومنهج الأشاعرة ٢/ ٦١٠-٦١١ وغيرها.

المثال الرابع[(١)] : قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ[(٢)]﴾

والجواب : أن لأهل السنة في تفسيرها قولين:

أحدهما : أنها بمعنى ارتفع إلى السماء، وهو الذي رجحه ابن جرير، قال في تفسيره بعد أن ذكر الخلاف" :وأولى المعاني بقول الله –جل ثناؤه: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُن ﴾ علا عليهن وارتفع، فدبرهن بقدرته، وخلقهن سبع سموات ".أهـ .وذكره البغوي في تفسيره :قول ابن عباس وأكثر مفسري السلف. وذلك تمسكاً بظاهر لفظ: (اسْتَوَى). وتفويضاً لعلم كيفية هذا الارتفاع إلى الله –عز وجل.

القول الثاني : إن الاستواء هنا بمعنى القصد التام؛ وإلى هذا القول ذهب ابن كثير في تفسير سورة البقرة، والبغوي في تفسير سورة فصلت .

قال ابن كثير: أي: قصد إلى السماء، والاستواء هاهنا ضمن معنى القصد والإقبال، لأنه عدي بـ(إلى).

وقال البغوي: أي: عمد إلى خلق السماء.

وهذا القول ليس صرفاً للكلام عن ظاهره، وذلك لأن الفعل (اسْتَوَى)اقترن بحرف يدل على الغاية والانتهاء . فانتقل إلى معنى يناسب الحرف المقترن به، ألا ترى إلى قوله –تعالى: ﴿ عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيراً[(٣)] ﴾ حيث كان معناها يروى بها عباد الله لأن الفعل

---

(١) ووجه الشبهه أن أهل التعطيل يقولون: ظاهر الآية أن الله كان في الأرض ثم صعد إلى السماء.
فقال أهل السنة: لا نقول بأن ظاهره ما ذكرتم فعُلُّو الله عز وجل من صفاته الذاتية التي لم يزل ولا يزال متصفاً بها أ . هـ المراد من شرح الشيخ .

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٩.

(٣) سورة الإنسان، الآية: ٦.

(يَشْرَبُ) اقترن بالباء فانتقل إلى معنى يناسبها وهو يروى، فالفعل يضمن معنى يناسب معنى الحرف المتعلق به ليلتئم الكلام(١).

****

(١) وقال ابن تيمية رحمه الله تعالى : الاستواء علو خاص فكل مستوٍ على شيء عالٍ عليه والذي أخبر الله عنه أنه كان بعد خلق السموات والأرض هو الاستواء – العلو الخاص – لا مطلق العلو ... ثم لما خلق هذا العالم كان عالياً ولم يكن مستوياً عليه فلما خلق السماوات والأرض استوى عليه فالأصل أن علوه على المخلوقات وصف لا زم له .... (الفتاوى ٥/ ٥٢٢-٥٢٣)

المثال الخامس، والسادس[١] :قوله تعالى في سورة الحديد : ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ[٢]﴾ ، وقوله في سورة المجادلة : ﴿وَلا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا[٣]﴾

والجواب :أن الكلام في هاتين الآيتين حق على حقيقته وظاهره.

ولكن ما حقيقته وظاهره؟

هل يقال :إن ظاهره وحقيقته أن الله –تعالى – مع خلقه معية تقتضي أن يكون مختلطاً بهم، أو حالاً في أمكنتهم؟

أو يقال : إن ظاهره وحقيقته أن الله –تعالى –مع خلقه معية تقتضي أن يكون محيطاً بهم : علماً وقدرة، وسمعاً وبصراً، وتدبيراً، وسلطاناً، وغير ذلك من معاني ربوبيته مع علوه على عرشه فوق جميع خلقه؟

ولا ريب أن القول الأول لا يقتضيه السياق، ولا يدل عليه بوجه من الوجوه، وذلك لأن المعية هنا أضيفت إلى الله –عز وجل – وهو أعظم وأجلُّ من أن يحيط به شيء من مخلوقاته ! ولأن المعية في اللغة العربية التي نزل بها القرآن لا تستلزم الاختلاط أو المصاحبة في المكان، وإنما تدل على مطلق مصاحبة، ثم تفسر في كل موضع بحسبه.

وتفسير معية الله –تعالى – لخلقه بما يقتضي الحلول والاختلاط باطل من وجوه:

الأول : أنه مخالف لإجماع السلف، فما فسرها أحد منهم بذلك؛ بل كانوا مجمعين على إنكاره.

---

(١) قالوا: إجراءها على ظاهر يقتضي أن الله معنا بذاته في كل مكان. وهذا باطل وللشيخ كلام واسع حول المعية إن شاء الله تعالى آخر الكتاب المطبوع.

(٢) سورة الحديد، الآية: ٤.

(٣) سورة المجادلة، الآية: ٧.

الثاني : أنه مناف لعلو الله –تعالى – الثابت بالكتاب، والسنة، والعقل، والفطرة، وإجماع السلف، وما كان منافياً لما ثبت بدليل كان باطلاً بما ثبت به ذلك المنافي، وعلى هذا فيكون تفسير معية الله لخلقه بالحلو والاختلاط باطلاً بالكتاب والسنة، والعقل، والفطرة، وإجماع السلف!!

الثالث : أنه مستلزم للوازم باطلة لا تليق بالله –سبحانه وتعالى.

ولا يمكن لمن عرف الله –تعالى – وقدره حق قدره، وعرف مدلول المعية في اللغة العربية التي نزل بها القرآن أن يقول :إن حقيقة معية الله لخلقه تقتضي أن يكون مختلطاً بهم أو حالاً في أمكنتهم، فضلاً عن أن تستلزم ذلك، ولا يقول ذلك إلا جاهل باللغة، جاهل بعظمة الرب – جل وعلا.

فإذا تبين بطلان هذا القول تعين أن يكون الحق هو القول الثاني، وهو أن الله –تعالى – مع خلقه معية تقتضي أن يكون محيطاً بهم، علماً وقدرة، وسمعاً وبصراً، وتدبيراً وسلطاناً، وغير ذلك مما تقتضيه ربوبيته مع علوه على عرشه فوق جميع خلقه.

وهذا هو ظاهر الآيتين بلا ريب، لأنهما حق، ولا يكون ظاهر الحق إلا حقاً، ولا يمكن أن يكون الباطل ظاهر القرآن أبداً.

قال شيخ الإسلام ابن تيميه في الفتوى الحموية ص 103 جـ 5 من مجموع الفتاوى لابن قاسم :

"ثم هذه المعية تختلف أحكامها بحسب الموارد، فلما قال: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ إلى قوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ[1]﴾ دل ظاهر الخطاب على أن حكم هذه المعية ومقتضاها أنه مطلع عليكم، شهيد عليكم، ومهيمن عالم بكم، هذا معنى قول السلف :إنه معهم

(١) سورة الحديد، الآية: ٤.

بعلمه وهذا ظاهر الخطاب وحقيقته .وكذلك في قولـه: ﴿مَـا يَكُـونُ مِـنْ نَجْـوَى ثَلاثَـةٍ إِلا هُـوَ رَابِعُهُمْ .(إلى قوله) :هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا[١]﴾ الآية.

ولما قال النبي صلى الله عليه وسلم لصاحبه في الغار: ﴿لا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَّ مَعَنَا﴾[٢] كـان هـذا – أيضاً – حقاً على ظاهره، ودلت الحال عـلى أن حكـم هـذه المعيـة هنـا معيـة الاطـلاع والنصر والتأييد.

ثم قال : فلفظ المعية قد استعمل في الكتاب والسنة في مواضع، يقتضي في كـل موضـع أمـوراً لا يقتضيها في الموضع الآخر . فإما أن تختلف دلالتها بحسب المواضع، أو تدل على قدر مشترك بين جميع مواردها، وإن امتاز كل موضع بخاصية، فعلى التقـديرين لـيس مقتضـاها أن تكـون ذات الرب –عز وجل – مختلطة بالخلق حتى يقال قد صرفت عن ظاهرها .أهـ.

ويدل على أنه ليس مقتضاها أن تكون ذات الرب –عز وجل –مختلطة بالخلق أن الله –تعالى – ذكرها في آية المجادلة بين ذكر عموم علمه في أول الآية وآخرها فقال: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يَعْلَـمُ مَـا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُـوا يَـوْمَ الْقِيَامَـةِ إِنَّ اللهَ بِكُـلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ[٣]﴾

---

(١) سورة المجادلة، الآية: ٧.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٤٠.

(٣) سورة المجادلة، الآية: ٧.

فيكون ظاهر الآية أن مقتضى هذه المعية علمه بعباده، وأنه لا يخفى عليه شيء من أعمالهم لا أنه – سبحانه – مختلط بهم، ولا أنه معهم في الأرض.

أما في آية الحديد فقد ذكرها الله –تعالى – مسبوقة بذكر استوائه على عرشه وعموم علمه متلوة ببيان أنه بصير بما يعمل العباد فقال: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ(١)﴾

فيكون ظاهر الآية أن مقتضى هذه المعية علمه بعباده وبصره بأعمالهم مع علوه عليهم واستوائه على عرشه؛ لا أنه –سبحانه –مختلط بهم ولا أنه معهم في الأرض وإلا لكان آخر الآية مناقضاً لأولها الدال على علوه واستوائه على عرشه.

فإذا تبين ذلك علمنا أن مقتضى كونه –تعالى –مع عباده أنه يعلم أحوالهم، ويسمع أقوالهم، ويرى أفعالهم، ويدبر شئونهم، فيحيي ويميت، ويغني ويفقر، ويؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء، ويعز من يشاء ويذل من يشاء إلى غير ذلك مما تقتضيه ربوبيته وكمال سلطانه لا يحجبه عن خلقه شيء، ومن كان هذا شأنه فهو مع خلقه حقيقة، ولو كان فوقهم على عرشه حقيقة.

قال شيخ الإسلام ابن تيميه في"العقيدة الواسطية" ص 142 جـ 3 من مجموع الفتاوى لابن قاسم في فصل الكلام على المعية قال" :وكل هذا الكلام الذي ذكره الله –سبحانه –من أنه فوق العرش وأنه معنا حق على حقيقته لا يحتاج إلى تحريف ولكن يصان عن الظنون الكاذبة ".أهـ.

وقال في"الفتوى الحموية"ص102، 103 جـ 5 من المجموع المذكور :وجماع الأمر في ذلك أن الكتاب والسنة يحصل منها كمال الهدى والنور لمن تدبر كتاب الله وسنة نبيه، وقصد اتباع الحق، وأعرض عن تحريف الكلم عن مواضعه والإلحاد في أسماء الله وآياته.

---

(١) سورة الحديد، الآية: ٤.

ولا يحسب الحاسب أن شيئاً من ذلك يناقض بعضه بعضاً البته مثل أن يقول القائل :ما في الكتاب والسنة من أن الله فوق العرش يخالفه الظاهر من قوله(وَهُوَ مَعَكُمْ) وقوله صلى الله عليه وسلم" :إذا قام أحدكم إلى الصلاة فإن الله قبل وجهه"[١] ونحو ذلك فإن هذا غلط.

وذلك أن الله معنا حقيقة، وهو فوق العرش حقيقة، كما جمع الله بينهما في قوله –سبحانه وتعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ[٢]﴾

فأخبر أنه فوق العرش، يعلم كل شيء، وهو معنا أينما كنا كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في حديث الأوعال: (والله فوق العرش وهو يعلم ما أنتم عليه) أهـ.

واعلم أن تفسير المعية بظاهرها على الحقيقة اللائقة بالله –تعالى[٣] –لا يناقض ما ثبت من علو الله تعالى بذاته على عرشه وذلك من وجوه ثلاثة:

الأول : أن الله –تعالى – جمع بينهما لنفسه في كتابه المبين المنزه عن التناقض، وما جمع الله بينهما في كتابه فلا تناقض بينهما.

وكل شيء في القرآن تظن فيه التناقض فيما يبدو لك فتدبره حتى يتبين لك، قوله تعالى: ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً[٤]﴾ فإن لم يتبين لك فعليك

---

(١) متفق عليه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما (خ٤٠٦) (م ٥٤٧)

(٢) سورة الحديد، الآية: ٤.

(٣) وهي أنه معنا بعلمه وقدرته ومن فسرها أنه معنا بذاته فقد أبعد والله أعلم.

(٤) سورة النساء، الآية: ٨٢.

بطريق الراسخين في العلم الذين يقولون﴿آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا[(١)] ﴾ وكل الأمر إلى منزله الذي يعلمه، واعلم أن القصور في علمك أو في فهمك، وأن القرآن لا تناقض فيه.

وإلى هذا الوجه أشار شيخ الإسلام في قوله فيما سبق" :كما جمع الله بينهما."

وكذلك ابن القيم كما في"مختصر الصواعق" لابن الموصلي ص 410ط الإمام، في سياق كلامه على المثال التاسع مما قيل إنه مجاز قال:"وقد أخبر الله أنه مع خلقه مع كونه مستوياً على عرشه، وقرن بين الأمرين كما قال تعالى – :وذكر آية سورة الحديد –ثم قال :فأخبر أنه خلق السموات والأرض، وأنه استوى على عرشه وأنه مع خلقه يبصر أعمالهم من فوق عرشه كما في حديث الأوعال [(٢)]،"والله فوق العرش يرى ما أنتم عليه" فعلُّوه لا يناقض معينه، ومعيته لا تبطل علوه بل كلاهما حق" أهـ.

الوجه الثاني : أن حقيقة معنى المعية لا يناقض العلو، فالاجتماع بينهما ممكن في حق المخلوق فإنه يقال : مازلنا نسير والقمر معنا .ولا يعد ذلك تناقضاً ولا يفهم منه أحد أن القمر نزل في الأرض، فإذا كان هذا ممكناً في حق المخلوق، ففي حق الخالق المحيط بكل شيء مع علوه سبحانه من باب أولى، وذلك لأن حقيقة المعية لا تستلزم الاجتماع في المكان.

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٧.

(٢) هو حديث طويل انظره في المسند (١/ ٢٠٦ ، ٢٠٧) وعند أبي داود (٤٧٢٣) والترمذي (٣٣٢٠) وابن ماجه (١٩٣) وغيرهم من حديث العباس رضي الله عنه ودافع عنه ابن تيمية وتلميذه ابن القيم رحمهما الله تعالى والحديث لا يحتاج إلى ذلك فهو ضعيف منكر، وفي سنده عبد الله بن عميرة مجهول ولم يسمع من الأحنف كما ذكره البخاري رحمه الله وسماك فيه كلام، والمتن فيه نكارة وقد وهاه ابن الجوزي في العلل (٢/ ٢٥) والألباني (٣٤/ ضعيف ابن ماجه) ووهاه الوادعي في بعض دروسه.

وإلى هذا الوجه أشار شيخ الإسلام ابن تيميه في"الفتوى الحموية"ص 103 المجلد الخامس من مجموع الفتاوى لابن قاسم حيث قال:"وذلك أن كلمة (مع) في اللغة إذا أطلقت فليس ظاهرها في اللغة إلا المقارنة المطلقة من غير وجوب مماسة أو محاذاة عن يمين أو شمال، فإذا قيدت بمعنى من المعاني دلت على المقارنة في ذلك المعنى، فإنه يقال : مازلنا نسير والقمر معنا أو والنجم معنا، ويقال :هذا المتاع معي لمجامعته لك، وإن كان فوق رأسك، فالله مع خلقه حقيقة وهو فوق عرشه حقيقة ."أهـ.

وصدق –رحمه الله تعالى –فإن من كان عالماً بك مطلعاً عليك، مهيمناً عليك، يسمع ما تقول، ويرى ما تفعل، ويدبر جميع أمورك، فهو معك حقيقة، وإن كان فوق عرشه حقيقة؛ لأن المعية لا تستلزم الاجتماع في المكان.

الوجه الثالث : أنه لو فرض امتناع اجتماع المعية والعلو في حق المخلوق لم يلزم أن يكون ذلك ممتنعاً في حق الخالق الذي جمع لنفسه بينهما؛ لأن الله تعالى لا يماثله شي من مخلوقاته كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ(١)﴾

وإلى هذا الوجه أشار شيخ الإسلام ابن تيميه في"العقيدة الواسطية"ص 143 جـ 3 من مجموع الفتاوى حيث قال:"وما ذكر في الكتاب والسنة من قربه ومعيته لا ينافي ما ذكر من علوه وفوقيته، فإنه –سبحانه –ليس كمثله شيء في جميع نعوته وهو عليّ في دنوه قريب في علوه ."أهـ.

تتمة :انقسم الناس في معية الله تعالى لخلقه ثلاثة أقسام:

القسم الأول : يقولون :إن معية الله تعالى لخلقه مقتضاها العلم والإحاطة في المعية العامة، ومع النصر والتأييد في المعية الخاصة، مع ثبوت علوه بذاته واستوائه على عرشه.

وهؤلاء هم السلف ومذهبهم هو الحق كما سبق تقريره.

---

(١) سورة الشورى، الآية: ١١.

القسم الثاني : يقولون :إن معية الله لخلقه مقتضاها أن يكـون معهـم في الأرض مـع نفـي علـوه واستوائه على عرشه.

وهؤلاء هم الحلولية من قدماء الجهمية وغيرهم، ومـذهبهم باطـل منكـر، أجمـع السـلف عـلى بطلانه وإنكاره كما سبق.

القسم الثالث : يقولون :إن معية الله لخلقه مقتضاها أن يكون معهم في الأرض مع ثبـوت علـوه فوق عرشه . ذكر هذا شيخ الإسلام ابن تيمية[١] ص 229جـ 5 من مجموع الفتاوى.

وقد زعم هؤلاء أنهم أخذوا بظاهر النصوص في المعية والعلو . وكـذبوا في ذلـك فضـلوا، فـإن نصوص المعية لا تقتضي ما أدعوه من الحلول؛ لأنه باطل ولا يمكـن أن يكـون ظـاهر كـلام الله ورسوله باطلاً.

تنبيه : اعلم أن تفسير السلف لمعية الله تعالى لخلقه بأنه معهم بعلمه لا يقتضي الاقتصار على العلم بل المعية تقتضي أيضاً إحاطته بهم سمعاً وبصراً وقدرة وتدبيراً ونحو ذلك من معاني ربوبيته.

تنبيه آخر : أشرت فيما سبق إلى أن علو الله تعالى ثابـت بالكتـاب، والسـنة، والعقـل، والفطـرة، والإجماع .أما الكتاب فقد تنوعت دلالته على ذلك:

فتارة بلفظ العلو، والفوقية، والاستواء على العرش، وكونه في السماء كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ[٢]﴾، ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ[٣]﴾ ، ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى[٤]﴾، ﴿أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ[١]﴾

(١) يعني: ذكره عن بعض الطوائف، وهو قول باطل.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٨.

(٤) سورة طه، الآية: ٥.

وتارة بلفظ صعود الأشياء وعروجها ورفعها إليه، كقوله: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ[٢]﴾،﴿تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ[٣]﴾، ﴿إِذْ قَالَ اللهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ[٤]﴾

وتارة بلفظ نزول الأشياء منه ونحوه ذلك، كقوله تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ﴾[٥]، ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ[٦]﴾

وأما السنة فقد دلت عليه بأنواعها القولية، والفعلية، و الاقرارية، في أحاديث كثيرة، تبلغ حد التواتر، وعلى جوه متنوعة، كقوله صلى الله عليه وسلم في سجوده: "سبحان ربي الأعلى"[٧] وقوله: "إن الله لما قضى الخلق كتب عنده فوق عرشه :إن رحمتي سبقت غضبي"[٨]، وقوله: "ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء"[٩]، وثبت عنه أنه رفع يديه وهو على المنبر يوم الجمعة يقول: "اللهم أغثنا" [١٠] ، وأنه رفع يده على السماء وهو يخطب الناس يوم عرفة حين قالوا :

---

(١) سورة الملك، الآية: ١٦.

(٢) سورة فاطر، الآية: ١٠.

(٣) سورة المعارج، الآية: ٤.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ٥٥.

(٥) سورة النحل، الآية: ١٠٢.

(٦) سورة السجدة، الآية: ٥.

(٧) رواه مسلم (٧٧٢) من حديث حذيفة رضي الله عنه.

(٨) متفق عليه (خ٧٤٢٢) (م ٢٧٥١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٩) متفق عليه (خ ٤٣٥١) (م ١٠٦٤) من حديث أبي سعيد رضي الله عنه.

(١٠) متفق عليه (خ ١٠١٤) (م٨٩٧) من حديث أنس رضي الله عنه

نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت .فقال: "اللهم اشهد[١]"وأنه قال للجارية: "أين الله؟" قالت :في السماء .فأقرها وقال لسيدها: "أعتقها فإنها مؤمنة[٢]"

وأما العقل : فقد دل على وجوب صفة الكمال لله تعالى وتنزيهه عن النقص .والعلو صفة كمال والسفل نقص، فوجب لله تعالى صفة العلو وتنزيهه عن ضده.

وأما الفطرة : فقد دلت على علو الله تعالى دلالة ضرورية فطرية فما من داع أو خائف فزع إلى ربه تعالى إلا وجد في قلبه ضرورة الاتجاه نحو العلو لا يلتفت عن ذلك يمنه ولا يسرة.

واسأل المصلين، يقول الواحد منهم في سجوده: "سبحان ربي الأعلى" أين تتجه قلوبهم حينذاك؟

وأما الإجماع : فقد أجمع الصحابة والتابعون والأئمة على أن الله تعالى فوق سمواته مستوٍ على عرشه؛ وكلامهم مشهور في ذلك نصاً وظاهراً.

قال الأوزاعي[٣]: "كنا والتابعون متوافرون نقول :إن الله –تعالى ذكره –فوق عرشه، ونؤمن بما جاءت به السنة من الصفات". قد نقل الإجماع على ذلك غير واحد من أهل العلم، ومحال أن يقع في مثل ذلك خلاف وقد تطابقت عليه هذه الأدلة العظيمة التي لا يخالفها إلا مكابر طمس على قلبه واجتالته الشياطين عن فطرته .نسأل الله تعالى السلامة والعافية.

فعلو الله تعالى بذاته وصفاته من أبين الأشياء وأظهرها دليلاً وأحق الأشياء وأثبتها واقعاً.

(١) رواه مسلم (م ١٢١٨) عن جابر رضي الله عنه

(٢) رواه مسلم (٥٣٧) عن معاوية بن الحكم رضي الله عنه

(٣) أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات (٤٠٨) وغيره وسنده صحيح وصححه الألباني في مختصر العلو ص ١٣٨ .

تنبيه ثالث : اعلم أيها القارئ الكريم، أنه صدر مني كتابة لبعض الطلبة تتضمن ما قتله في بعض المجالس في معية الله تعالى لخلقه ذكرت فيها : أن عقيدتنا أن لله تعالى معية حقيقة ذاتية تليق به، وتقتضي إحاطته بكل شيء علماً وقدرة، وسمعاً وبصراً، وسلطاناً وتدبيراً، وأنه سبحانه منزه أن يكون مختلطاً بالخلق أو حالاً في أمكنتهم، بل هو العلي بذاته وصفاته، وعلوه من صفاته الذاتية التي لا ينفك عنها، وأنه مستو على عرشه كما يليق بجلاله وأن ذلك لا ينافي معيته؛ لأنه تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ(١)﴾

وأردت بقولي:"ذاتية"توكيد حقيقة معيته تبارك وتعالى.

وما أردت أنه مع خلقه سبحانه في الأرض، كيف وقد قلت في نفس هذه الكتابة كما ترى : إنه سبحانه منزه أن يكون مختلطاً بالخلق أو حالاً في أمكنتهم، وأنه العلي بذاته وصفاته، وأن علوه من صفاته الذاتية التي لا ينفك عنها، وقلت فيها أيضاً ما نصه بالحرف الواحد:

(ونرى أن من زعم أن الله بذاته في كل مكان فهو كافر أو ضال إن اعتقده، وكاذب إن نسبه إلى غيره من سلف الأمة أو أئمتها) .أهـ.

ولا يمكن لعاقل عرف الله وقدره حق قدره أن يقول : إن الله مع خلقه في الأرض، وما زلت ولا أزال أنكر هذا القول في كل مجلس من مجالسي جرى فيه ذكره.

وأسأل الله تعالى أن يثبتني وإخواني المسلمين بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

هذا وقد كتبت بعد ذلك مقالاً نشر في مجلة الدعوة التي تصدر في الرياض نشر يوم الاثنين الرابع من شهر محرم سنة 1404هـ أربع وأربعمائة وألف برقم 911 قررت فيه ما قرره شيخ الإسلام ابن تيميه –رحمه الله تعالى – من أن معية الله تعالى لخلقه حق على حقيقتها، وأن ذلك لا يقتضي

(١) ـ سورة الشورى، الآية: ١١.

الحلول والاختلاط بالخلق فضلاً عن أن يستلزمه، ورأيت من الواجب استبعاد كلمة "ذاتية" بينت أوجه الجمع بين علو الله تعالى وحقيقة المعية.

واعلم أن كل كلمة تستلزم كون الله تعالى في الأرض أو اختلاطه بمخلوقاته، أو نفي علوه، أو نفي استوائه على عرشه، أو غير ذلك مما لا يليق به تعالى فإنها كلمة باطلة، يجب إنكارها على قائلها كائناً من كان وبأي لفظ كانت.

وكل كلام يوهم –ولو عند بعض الناس – ما لا يليق بالله تعالى فإن الواجب تجنبه لئلا يظن بالله تعالى ظن السوء، لكن ما أثبته الله تعالى لنفسه في كتابه أو على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم فالواجب إثباته وبيان بطلان وهم من توهم فيه ما لا يليق بالله –عز وجل.

****

المثال السابع والثامن : قوله تعالى : ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ(١)﴾، وقوله : ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ(٢)﴾ حيث فسر القرب فيهما بقرب الملائكة.

والجواب : أن تفسير القرب فيهما بقرب الملائكة ليس صرفاً للكلام عن ظاهره لمن تدبره.

أما الآية الأولى فإن القرب مقيد فيها بما يدل على ذلك، حيث قال: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ *إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ *مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ(٣)﴾ ففي قوله : ﴿إِذْ يَتَلَقَّى﴾ دليل على أن المراد به قرب الملكين المتلقيين.

وأما الآية الثانية : فإن القرب فيها مقيد بحال الاحتضار، والذي يحضر الميت عند موته هم الملائكة، لقوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لا يُفَرِّطُونَ(٤)﴾ ثم إن في قوله: ﴿وَلَكِنْ لا تُبْصِرُونَ(٥)﴾ دليلاً بيناً على أنهم الملائكة، إذ يدل على أن هذا القريب في نفس المكان ولكن لا نبصره، وهذا يعين أن يكون المراد قرب الملائكة لاستحالة ذلك في حق الله – تعالى.

بقي أن يقال :فلماذا أضاف الله القرب إليه، وهل جاء نحو هذا التعبير مراداً به الملائكة(٦)؟

فالجواب : أضاف الله تعالى قرب الملائكة إليه؛ لأن قربهم بأمره، وهم جنوده ورسله.

---

(١) سورة ق، الآية: ١٦.

(٢) سورة الواقعة، الآية: ٨٥.

(٣) سورة ق، الآيات: ١٦ – ١٨.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ٦١.

(٥) سورة الواقعة، الآية: ٨٥.

(٦) راجع لصفة القرب الفتاوى ٦/ ١٢-١٣ ، ٥/ ٢٢٧، ٢٣٦ مختصر الصواعق / ٣٩٦ وغيرها.

وقد جاء نحو هذا التعبير مراداً به الملائكة، كقوله تعالى﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ[١]﴾ فإن المراد به قراءة جبريل القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم، مع أن الله تعالى أضاف القراءة إليه، لكن لما كان جبريل يقرؤه على النبي صلى الله عليه وسلم بأمر الله تعالى صحت إضافة القراءة إليه تعالى .وكذلك جاء في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ[٢]﴾ وإبراهيم إنما كان يجادل الملائكة الذين هم رسل الله تعالى.

****

(١) ـ سورة القيامة، الآية: ١٨.

(٢) ـ سورة هود، الآية: ٧٤.

المثال التاسع والعاشر : قوله تعالى عن سفينة نوح: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا[١]﴾ وقوله لموسى : ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي[٢]﴾

والجواب : أن المعنى في هاتين الآيتين على ظاهر الكلام وحقيقته، لكن ما ظاهر الكلام وحقيقته هنا؟

هل يقال : إن ظاهره وحقيقته أن السفينة تجري في عين الله؛ أو أن موسى عليه الصلاة والسلام يربى فوق عين الله تعالى؟!!

أو يقال : إن ظاهره أن السفينة تجري وعين الله ترعاها وتكلؤها وكذلك تربية موسى تكون على عين الله تعالى يرعاه ويكلؤه بها[٣].

ولا ريب أن القول الأول باطل من وجهين:

الأول : أنه لا يقتضيه الكلام بمقتضى الخطاب العربي، والقرآن إنما نـزل بلغة العرب، قال الله تعالى﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ[٤]﴾ وقال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ[٥]﴾ ولا أحد يفهم من قول القائل : فلان يسير بعيني أن المعنى أنه يسير داخل عينه . ولا من قول القائل :فلان تخرج على عيني، أن تخرجه كان وهو راكب على عينه، ولو أدعى مدع أن هذا ظاهر اللفظ في هذا الخطاب لضحك منه السفهاء فضلاً عن العقلاء.

---

(١) سورة القمر، الآية: ١٤.

(٢) سورة طه، الآية: ٣٩. قالوا: ظاهره أنها تجري في عين الله تعالى.

(٣) انظر مختصر الصواعق / ٢٢ وما بعدها الفتاوى ٥/ ٥٠١ – البدائع ٢/ ٥-٦ وغيرها

(٤) سورة يوسف، الآية: ٢.

(٥) سورة الشعراء: الآيات: ١٩٣ – ١٩٥.

الثاني : أن هذا ممتنع غاية الامتناع، ولا يمكن لمن عرف الله وقدره حق قدره أن يفهمه في حق الله تعالى؛ لأن الله تعالى مستو على عرشه بائن من خلقه لا يحل فيه شيء من مخلوقاته، ولا هو حال في شيء من مخلوقاته –سبحانه وتعالى –عن ذلك علواً كبيراً.

فإذا تبين بطلان هذا من الناحية اللفظية والمعنوية تعين أن يكون ظاهر الكلام هو القول الثاني أن السفينة تجري وعين الله ترعاها وتكلؤها، وكذلك تربية موسى تكون على عين الله يرعاه ويكلؤه بها . وهذا معنى قول بعض السلف بمرأى مني، فإن الله تعالى إذا كان يكلؤه بعينه لزم من ذلك أن يراه، ولازم المعنى الصحيح جزء منه كما هو معلوم من دلالة اللفظ حيث تكون بالمطابقة والتضمن والالتزام.



المثال الحادي عشر : قوله تعالى في الحديث القدسي : "وما يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، ولئن سألني لأعطينه ، ولئن استعاذني لأعيذنه" (١).

والجواب : أن هذا الحديث صحيح رواه البخاري في باب التواضع الثامن والثلاثين من كتاب الرقاق(٢)

وقد أخذ السلف أهل السنة والجماعة بظاهر الحديث وأقروه على حقيقته.

ولكن ما ظاهر هذا الحديث؟

هل يقال : إن ظاهره أن الله تعالى يكون سمع الولي وبصره ويده ورجله؟

أو يقال : إن ظاهره أن الله تعالى يسدد الولي في سمعه وبصره ويده ورجله بحيث يكون إدراكه وعمله لله وبالله وفي الله؟

ولا ريب أن القول الأول ليس ظاهر الكلام، بل ولا يقتضيه الكلام لمن تدبر الحديث، فإن في الحديث ما يمنعه من وجهين:

الوجه الأول : أن الله تعالى قال: "وما يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه"، وقال: "ولئن سألني لأعطيته، ولئن استعاذني لأعيذنه" فأثبت عبداً ومعبوداً ومتقرباً إليه، ومُحِبًّا ومحبوباً، وسائلاً ومسئولاً، ومُعطياً ومعطى، ومُستعِيذاً ومستعاذاً به، ومعيذاً ومعاذاً .فسياق الحديث يدل على اثنين متباينين كل واحد منهما غير الآخر، وهذا يمنع أن يكون أحدهما وصفاً في الآخر أو جزءاً من أجزائه.

---

(١) قالوا : ظاهره أن الله مخالط للمخلوق.

(٢) (خ ٦٥٠٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

الوجه الثاني : أن سمع الولي وبصره ويده ورجله كلها أوصاف أو أجزاء في مخلوق حادث بعد أن لم يكن، ولا يمكن لأي عاقل أن يفهم أن الخالق الأول الذي قبله شيء يكون سمعاً وبصراً ويداً ورجلاً لمخلوق، بل إن هذا المعنى تشمئز منه النفس أن تتصوره، ويحسر اللسان أن ينطق به ولو على سبيل الفرض والتقدير، فكيف يسوغ أن يقال :إنه ظاهر الحديث القدسي وأنه قد صرف عن هذا الظاهر، سبحانك اللهم وبحمدك لا نحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك.

وإذا تبين بطلان القول الأول وامتناعه تعين القول الثاني وهو أن الله تعالى يسدد هذا الولي في سمعه وبصره وعمله بحيث يكون إدراكه بسمعه وبصره وعمله بيده ورجله كله لله تعالى إخلاصاً، وبالله تعالى استعانة، وفي الله تعالى شرعاً واتباعاً، فيتم له بذلك كمال الإخلاص والاستعانة والمتابعة وهذا غاية التوفيق، وهذا ما فسره به السلف، وهو تفسير مطابق لظاهر اللفظ موافق لحقيقته متعين بسياقه، وليس فيه تأويل ولا صرف للكلام عن ظاهره.

ولله الحمد والمنة.

❊❊❊❊

المثال الثاني عشر : قوله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن الله تعالى أنه قال: "من تقرب مني شبراً تقربت منه ذراعاً، ومن تقرب مني ذراعاً تقربت من باعاً، ومن أتاني يمشي أتيته هرولة".

وهذا الحديث صحيح رواه مسلم في كتاب الذكر والدعاء من حديث أبي ذر رضي الله عنه، وروى نحوه من حديث أبي هريرة أيضاً، وكذلك روى البخاري نحوه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في كتاب التوحيد الباب الخامس عشر.

وهذا الحديث كغيره من النصوص الدالة على قيام الأفعال الاختيارية بالله تعالى، وأنه –سبحانه –فعال لما يريد كما ثبت ذلك في الكتاب والسنة مثل قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ[1]﴾ وقوله: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفّاً صَفّاً[2]﴾ وقوله: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ[3]﴾ وقوله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى[4]﴾.

وقوله صلى الله عليه وسلم: "ينزل ربنا إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر".

وقوله صلى الله عليه وسلم: "ما تصدق أحد بصدقة من طيب –ولا يقبل الله إلا الطيب –إلا أخذها الرحمن بيمينه"[5]. إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث الدالة على قيام الأفعال الاختيارية به تعالى.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٨٦.

(٢) سورة الفجر، الآية: ٢٢

(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٥٨.

(٤) سورة طه، الآية: ٥.

(٥) متفق عليه (خ ١٤١٠) (م ١٠١٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

فقوله في هذا الحديث : (تقربت منه وأتيته هرولة) من هذا الباب .

والسلف "أهل السنة والجماعة" يجرون هذه النصوص على ظاهرها وحقيقة معناها اللائق بالله عز وجل من غير تكييف ولا تمثيل .

قال شيخ الإسلام ابن تيميه في شرح حديث النزول ص 466جـ 5 من مجموع الفتاوى:

" وأما دنوه نفسه وتقربه من بعض عباده فهذا يثبته من يثبت قيام الأفعال الاختيارية بنفسه، ومجيئه يوم القيامة ونزوله واستواءه على العرش، وهذا مذهب أئمة السلف وأئمة الإسلام المشهورين وأهل الحديث، والنقل عنهم بذلك متواتر ."أهـ.

فأي مانع يمنع من القول بأنه يقرب من عبده كيف يشاء مع علوه؟

وأي مانع يمنع من إتيانه كيف يشاء بدون تكييف ولا تمثيل ؟

وهل هذا إلا من كماله أن يكون فعالاً لما يريد على الوجه الذي يليق به؟

وذهب بعض الناس إلى أن قوله تعالى في هذا الحديث القدسي: "أتيته هرولة" يراد به سرعة قبول الله تعالى وإقباله على عبده المتقرب إليه المتوجه بقلبه وجوارحه، وأن مجازاة الله للعامل له أكمل من عمل العامل . وعلل ما ذهب إليه بأن الله تعالى قال في الحديث: (ومن أتاني يمشي) ومن المعلوم أن المتقرب إلى الله –عز وجل –الطالب للوصول إليه لا يتقرب ويطلب الوصول إلى الله تعالى بالمشي فقط، بل تارة يكون بالمشي كالسير إلى المساجد ومشاعر الحج والجهاد في سبيل الله ونحوها، وتارة بالركوع والسجود ونحوهما، وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم: "أن أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد"، بل قد يكون التقرب إلى الله تعالى وطلب الوصول إليه والعبد مضطجع على جنبه كما قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً

﴿وَعَلَى جُنُوبِهِمْ[(١)]﴾ وقال النبي صلى الله عليه وسلم لعمران بن حصين: (صل قائماً، فإن لم تستطع فقاعداً، فإن لم تستطع فعلى جنب)[(٢)].

قال : فإذا كان كذلك صار المراد بالحديث بيان مجازاة الله تعالى العبد على عمله، وأن من صدق في الإقبال على ربه وإن كان بطيئاً جازاه الله تعالى بأكمل من عمله وأفضل . وصار هذا هو ظاهر اللفظ بالقرينة الشرعية المفهومة من سياقه.

وإذا كان هذا ظاهر اللفظ بالقرينة الشرعية، لم يكن تفسيره به خروجاً به عن ظاهره ولا تأويلاً كتأويل أهل التعطيل، فلا يكون حجة لهم على أهل السنة ولله الحمد.

وما ذهب إليه هذا القائل له حظ من النظر لكن القول الأول أظهر وأسلم وأليق بمذهب السلف.

ويجاب عما جعله قرينة من كون التقرب إلى الله تعالى وطلب الوصول إليه لا يختص بالمشي- بأن الحديث خرج مخرج المثال لا الحصر فيكون المعنى : من أتاني يمشي- في عبادة تفتقر إلى المشي- لتوقفها عليه بكونه وسيلة لها كالمشي إلى المساجد للصلاة أو من ماهيتها كالطواف والسعي .

والله تعالى أعلم.

المثال الثالث عشر : قوله تعالى : ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَاماً[(٣)]﴾

والجواب : أن يقال :ما هو ظاهر هذه الآية وحقيقتها حتى يقال إنها صرفت عنه؟

هل يقال : إن ظاهرها أن الله تعالى خلق الأنعام بيده كما خلق آدم بيده؟

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٩١.

(٢) (خ ١١١٧) من حديث عمران رضي الله عنه.

(٣) سورة يس، الآية: ٧١.

أو يقال : إن ظاهرها أن الله تعالى خلق الأنعام كما خلق غيرها لم يخلقها بيده لكن إضافة العمل إلى اليد والمراد صاحبها معروف في اللغة العربية التي نزل بها القرآن الكريم.

أما القول الأول فليس هو ظاهر اللفظ لوجهين:

أحدهما : أن اللفظ لا يقتضيه بمقتضى اللسان العربي الذي نزل به القرآن، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ[(١)]﴾، وقوله: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ[(٢)]﴾ ، وقوله: ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُم[(٣)]﴾ فإن المراد ما كسبه الإنسان نفسه وما قدمه وإن عمله بغير يده بخلاف ما إذا قال :عملته بيدي كما في قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ[(٤)]﴾ فإنه يدل على مباشرة الشيء باليد.

الثاني : أنه لو كان المراد أن الله تعالى خلق هذه الأنعام بيده لكان لفظ الآية : خلقنا لهم بأيدينا أنعاماً كما قال الله تعالى في آدم: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيّ[(٥)] ﴾؛ لأن القرآن نزل بالبيان لا بالتعمية؛ لقوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ[(٦)]﴾

وإذا ظهر بطلان القول الأول تعين أن يكون الصواب هو القول الثاني وهو : أن ظاهر اللفظ أن الله تعالى خلق الأنعام كما خلق غيرها ولم يخلقها بيده لكن إضافة العمل إلى اليد كإضافته إلى

---

(١) سورة الشورى، الآية: ٣٠.

(٢) سورة الروم، الآية: ٤١ .

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٨٢ .

(٤) سورة البقرة، الآية: ٧٩.

(٥) ـ سورة ص، الآية: ٧٥.

(٦) ـ سورة النحل، الآية: ٨٩.

النفس بمقتضى اللغة العربية، بخلاف ما إذا أضيف إلى النفس وعدي بالباء إلى اليد، فتنبه للفرق فإن التنبه للفروق بين المتشابهات من أجود أنواع العلم، وبه يزول كثير من الإشكالات.

❊❊❊❊

المثال الرابع عشر[١] : قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ[٢]﴾

والجواب : أن يقال :هذه الآية تضمنت جملتين:

الجملة الأولى :قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللهَ﴾ وقد أخذ السلف "أهل السنة" بظاهرها وحقيقتها، وهي صريحة في أن الصحابة –رضي الله عنهم –كانوا يبايعون النبي صلى الله عليه وسلم نفسه كما في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ[٣]﴾

ولا يمكن لأحد أن يفهم من قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللهَ﴾ أنهم يبايعون الله نفسه، ولا أن يدعي أن ذلك ظاهر اللفظ لمنافاته لأول الآية والواقع استحالته في حق الله تعالى.

وإنما جعل الله تعالى مبايعة الرسول صلى الله عليه وسلم مبايعة له؛ لأنه رسوله قد بايع الصحابة على الجهاد في سبيل الله تعالى، ومبايعة الرسول على الجهاد في سبيل من أرسله مبايعة لمن أرسله؛ لأنه رسوله المبلغ عنه، كما أن طاعة الرسول طاعة لمن أرسله لقوله تعالى﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ[٤]﴾

وفي إضافة مبايعتهم الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الله تعالى من تشريف النبي صلى الله عليه وسلم وتأييده وتوكيد هذه المبايعة وعظمها ورفع شأن المبايعين ما هو ظاهر لا يخفى على أحد.

---

(١) قالوا : ظاهر فيه مماسه يد الله ليد المخلوق .

(٢) سورة الفتح، الآية: ١٠.

(٣) سورة الفتح، الآية: ١٨.

(٤) سورة النساء، الآية: ٨٠.

الجملة الثانية : قوله تعالى﴿يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِم[1] ﴾ وهذه أيضاً على ظاهرها وحقيقتها، فإن يد الله تعالى فوق أيدي المبايعين؛ لأن يده من صفاته وهو سبحانه فوقهم على عرشه، فكانت يده فوق أيديهم . وهذا ظاهر اللفظ وحقيقته وهو لتوكيد كون مبايعة النبي صلى الله عليه وسلم مبايعة لله عز وجل، ولا يلزم منها أن تكون يد الله جل وعلا مباشرة لأيديهم، ألا ترى أنه يقال : السماء فوقنا مع أنها مباينة لنا بعيدة عنا .فيد الله عز وجل فوق أيدي المبايعين لرسوله صلى الله عليه وسلم مع مباينته تعالى لخلقه وعلوه عليهم.

ولا يمكن لأحد أن يفهم أن المراد بقوله﴿يَدُ اللّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِم ﴾يد النبي صلى الله عليه وسلم، ولا أن يدعي أن ذلك ظاهر اللفظ؛ لأن الله تعالى أضاف اليد إلى نفسه، ووصفها بأنها فوق أيديهم . ويد النبي صلى الله عليه وسلم عند مبايعة الصحابة لم تكن فوق أيديهم، بل كان يبسطها إليهم، فيمسك بأيديهم كالمصافح لهم، فيده مع أيديهم لا فوق أيديهم.

❊❊❊❊

(١) سورة الفتح، الآية: ١٠.

المثال الخامس عشر[١]: قوله تعالى في الحديث القدسي: "يا ابن آدم، مرضت فلم تعدني". الحديث.

وهذا الحديث رواه مسلم[٢] في باب فضل عيادة المريض من كتاب البر والصلة والآداب رقم 43 ص 1990 ترتيب محمد فؤاد عبد الباقي، رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال :قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله تعالى يقول يوم القيامة :يا ابن آدم مرضت فلم تعدني، قال :يا رب !كيف أعودك وأنت رب العالمين؟ !قال :أما علمت أن عبدي فلاناً مرض فلم تعده، أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده؟!، يا ابن آدم، استطعمتك فلم تطعمني، قال :يا رب !وكيف أطعمك وأنت رب العالمين؟ !قال :أما علمت أنه استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه، أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي، يا ابن آدم، استسقيتك فلم تسقني، قال :يا رب !كيف أسقيك وأنت رب العالمين؟ قال :استسقاك عبدي فلان فلم تسقه، أما إنك لو سقيته وجدت ذلك عندي".

والجواب : أن السلف أخذوا بهذا الحديث ولم يصرفوه عن ظاهره بتحريف يتخبطون فيه بأهوائهم، وإنما فسروه بما فسره به المتكلم به، فقوله تعالى في الحديث القدسي: "مرضت واستطعمتك واستسقيتك" بينه الله تعالى بنفسه حيث قال: " أما علمت أن عبدي فلان مرض، وأنه استطعمك عبدي فلان .واستسقاك عبدي فلان ".

وهو صريح في أن المراد به مرض عبد من عباد الله، واستطعام عبد من عباد الله، واستسقاء عبد من عباد الله، والذي فسره بذلك هو الله المتكلم به وهو أعلم بمراده، فإذا فسرنا المرض المضاف إلى الله والاستطعام المضاف إليه والاستسقاء المضاف إليه، بمرض العبد واستطعامه واستسقائه لم يكن في ذلك صرف الكلام عن ظاهره؛ لأن ذلك تفسير المتكلم به فهو كما لو تكلم بهذا المعنى

---

(١)قالوا : ظاهره على قولكم: أن الله تعالى مرض وجاع ... الخ.

(٢) (م ٢٥٦٤)

ابتداءً .وإنما أضاف الله ذلك إلى نفسه أولاً للترغيب والحث كقوله تعالى﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللهَ(١)﴾

وهذا الحديث من أكبر الحجج الدامغة لأهل التأويل الذين يحرفون نصوص الصفات عن ظاهرها بلا دليل من كتاب الله تعالى ولا من سنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وإنما يحرفونها بشبه باطلة هم فيها متناقضون مضطربن .إذ لو كان المراد خلاف ظاهرها كما يقولون لبينه الله تعالى ورسوله، ولو كان ظاهرها ممتنعاً على الله –كما زعموا –لبينه الله ورسوله كما في هذا الحديث .ولو كان ظاهرها اللائق بالله ممتنعاً على الله لكان في الكتاب والسنة من وصف الله تعالى بما يمتنع عليه ما لا يحصى إلا بكلفة، وهذا من أكبر المحال(٢).

ولنكتف بهذا القدر من الأمثلة لتكون نبراساً لغيرها، وإلا فالقاعدة عند أهل السنة والجماعة معروفة، وهي إجراء آيات الصفات وأحاديثها على ظاهرها من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل.

وقد تقدم الكلام على هذا مستوفى في قواعد نصوص الصفات .

والحمد لله رب العالمين.

****

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٤٥

(٢) وانظر الفتاوى ٣/ ٤٤/ درئ التعارض ١/ ١٥٠ وغيرها.

التعليق

على

شرح لمعة الاعتقاد

للشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى (ت ١٤٢١)

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المحقق والمعلق

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله وآله وصحبه.

أما بعد:

فهذا تحقيق و تعليق مختصر على شرح لمعة الاعتقاد للشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى وقد أبقيت الترقيم للمتن والعناوين للمواضيع كما هو في المطبوع[١] والله الموفق

١٤٢٢هـ دماج -اليمن ٧٧٧٨٢٤٦٤٣

وكتب أبو عبد الله المصنعي

غفر الله له ولوالديه وللمسلمين

****

---

(١) تنبيه:

رمزت لما نقلته من شرح العلامة الفوزان بـ : الفوزان.

و لما نقلته من شرح الجبرين بـ: الجبرين.

و لما نقلته من شرح العلامة ابنعثيمين على الواسطية بـ: العثيمين.

و لما نقلته من التنبيهات السنية بـ: التنبيهات.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الشارح

الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده رسوله، صلى الله عليه، وعلى آله، وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

فهذا تعليق مختصر على كتاب (لمعة الاعتقاد) الذي ألفه أبو محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي المولود في شعبان سنة ٥٤١هـ بقرية من أعمال نابلس، المتوفى يوم عيد الفطر سنة ٦٢٠هـ بدمشق رحمه الله تعالى.

وهذا الكتاب جمع فيه مؤلفه زبدة العقيدة(١)، ومن ثم قررت رئاسة المعاهد العلمية دراسته في مطلع القسم الثانوي في المعاهد في السنة الأولى منه ليكون ركيزة(٢) يعتمد عليها في المرحلة .ونظراً لأهمية الكتاب موضوعاً، ومنهجاً، وعدم وجود شرح له فقد عقدت العزم – مستعيناً بالله مستلهماً منه الصواب فأسألك - أي القصد والعمل – على أن أضع عليه كلمات يسيرة تكشف غوامضه، وتبين موارده، وتبرز فوائده.

(١) أي خلاصتها (اللسان / ٦/ ٩).

(٢) هي القطعة من جواهر الأرض التي يرتكز عليها (اللسان / ٥/ ٣٢٠).

والمعنى ما يكون مرتكزًا عليه ليعتمد عليه فيثبت به، ومنه : مراكز: معاقل الثبات .

(اللسان. [مادة: ركز]).

واللهَ أرجو أن لا يكلني إلى نفسي طرفة عين، وأن يمدني بروح من عنده، وتوفيق، وأن يجعل عملي مباركاً ونافعاً[(١)] إنه جواد كريم. محمد بن صالح العثيمين حرر بتاريخ ١٠/ ١/ ١٣٩٢هـ

وقبل الدخول في صميم الكتاب أحب أن أقدم قواعد هامة فيما يتعلق بأسماء الله وصفاته.

****

(١) وقد فعل سبحانه واستجاب دعائه وانتشر هذا الكتاب في مشارق الأرض ومغاربها .

قواعد هامة في الأسماء والصفات

القاعدة الأولى: "في الواجب نحو نصوص الكتاب والسنة في أسماء الله وصفاته":

الواجب في نصوص الكتاب والسنة إبقاء دلالتها على ظاهرها من غير تغيير؛ لأن الله أنزل القرآن بلسان عربي مبين، والنبي صلى الله عليه وسلم يتكلم باللسان العربي؛ فوجب إبقاء دلالة كلام الله، وكلام رسوله على ما هي عليه في ذلك اللسان، ولأن تغييرها عن ظاهرها قول على الله بلا علم؛ وهو حرام لقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ والإثم وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾(١).

مثال ذلك قوله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾(٢). فإن ظاهر الآية أن لله يدين حقيقيتين، فيجب إثبات ذلك له.

فإذا قال قائل: المراد بهما القوة.

قلنا له: هذا صرف للكلام عن ظاهره، فلا يجوز القول به؛ لأنه قول على الله بلا علم.

القاعدة الثانية: في أسماء الله. وتحت هذه القاعدة فروع:

الفرع الأول: أسماء الله كلها حسنى، أي بالغة في الحسن غايته(٣)؛ لأنها متضمنة لصفات كاملة لا نقص فيها بوجه من الوجوه قال الله تعالى: ﴿وَلِلهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾(٤).

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٣٣

(٢) سورة المائدة، الآية: ٦٤.

(٣) غاية الشيء نهايته وقيل: كان الأولى أن يعبر الشيخ بالكمال المطلق: بالغة في الحسن الكمال المطلق والمؤدى واحد، والله أعلم .

(٤) سورة الأعراف، الآية: ١٨٠ .

مثال ذلك: (الرَّحْمَنِ) فهو اسم من أسماء الله تعالى، دال على صفة عظيمة هي الرحمة الواسعة. ومن ثم نعرف أنه ليس من أسماء الله: "الدهر"؛ لأنه لا يتضمن معنى يبلغ غاية الحسن، فأما قوله صلى الله عليه وسلم: "لا تسبوا الدهر، فإن الله هو الدهر"(١) فمعناه: مالك الدهر المتصرف فيه، بدليل قوله في الرواية الثانية عن الله تعالى: "بيدي الأمر أقلب الليل والنهار"(٢).

الفرع الثاني: أسماء الله غير محصورة بعدد معين، لقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث المشهور: "أسألك اللهم بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك"،(٣) وما استأثر به في علم الغيب عنده لا يمكن حصره ولا الإحاطة به.

---

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة وهذا اللفظ لمسلم (٢٢٤٦) وأخرجه أحمد في مسنده (٢/ ٣٩٥)

(٢) أخرجه البخاري (٧٤٩١) ومسلم (٢٢٤٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) حسن لغيره، رواه أحمد (١/ ٣٩١) والحاكم (١/ ٥٠٩/ ٥١٠) وأبو يعلي (٥٢٩٧) وغيرهم من طريق أبي سلمة الجهني عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبيه عن ابن مسعود رضي الله عنه به مطولا قال الذهبي: أبو سلمة لا يدري من هو ولا رواية له في الكتب الستة وقال الحسيني مجهول وقد تابع أبا سلمة عبد الرحمن بن إسحاق عند البزار كما في (كشف الأستار / ٣١٢٢) وعبد الرحمن بن إسحاق الواسطي أبوشيبة قال أبو حاتم : منكر الحديث يكتب حديثه ولا يحتج به. وقال أحمد: منكر الحديث ليس بشيء. وقال ابنمعين: ليس بشيء. وضعفه آخر ون.
وعبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود، قال ابنمعين: لم يسمع من أبيه وكذا قال المنذري والذهلي وأثبت سماعه الثوري وابن المديني وقال يحيى القطان : مات وله ست سنين، وله شاهد من حديث أبي موسى في عمل اليوم والليلة لابن السني (٣٣٩/ تحقيق البرني) من طريق عبد الله بن زيد عن أبي

والجمع بين هذا وبين قوله في الحديث الصحيح: "إن لله تسعة وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة"(١): أن معنى هذا الحديث: (إن من أسماء الله تسعة وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة). وليس المراد حصر أسمائه تعالى بهذا العدد(٢)، ونظير هذا أن تقول: عندي مائة درهم أعددتها للصدقة. فلا ينافي أن يكون عندك دراهم أخرى أعددتها لغير الصدقة.

الفرع الثالث: أسماء الله لا تثبت بالعقل، وإنما تثبت بالشرع فهي توقيفية، يتوقف إثباتها على ما جاء عن الشرع فلا يزاد فيها ولا ينقص؛ لأن العقل لا يمكنه إدراك ما يستحقه تعالى من الأسماء، فوجب الوقوف في ذلك على الشرع؛ ولأن تسميته بما لم يسم به نفسه، أو إنكار ما سمى به نفسه جناية في حقه تعالى، فوجب سلوك الأدب في ذلك.

الفرع الرابع: كل اسم من أسماء الله فإنه يدل على ذات الله، وعلى الصفة التي تضمنها، وعلى الأثر المترتب عليه إن كان متعدياً، ولا يتم الإيمان بالاسم إلا بإثبات ذلك كله.

مثال ذلك في غير المتعدي: "العظيم" فلا يتم الإيمان به حتى نؤمن بإثباته اسماً من أسماء الله دالاً على ذاته تعالى، وعلى ما تضمنه من الصفة وهي العظمة.

ومثال ذلك في المتعدي: "الرحمن"، فلا يتم الإيمان به حتى نؤمن بإثباته اسماً من أسماء الله دالًّا على ذاته تعالى، وعلى ما تضمنه من الصفة وهي الرحمة وعلى ما ترتب عليه من أثر وهو أنه يرحم من يشاء.

موسى – وفي نسخة أخر ى لمحقق آخر – عبد الله بن زبيد – وهو الذي ذكره الشيخ الألباني (الصحيحة ١٩٩) وعبد الله مجهول حال فأرجو أن يكون حسنًا بمجموع طرقه وقد صححه جماعة من المتقدمين وهذا الحديث عظيم، والحمد لله على ثبوته والله الموفق.

(١) (خ ٦٤١٠) (م ٢٦٧٧).

(٢) وعليه عامة أهل السنة وخالف ابن حزم وغيره فادعى حصرها في ذلك وهو قول شاذ.

القاعدة الثالثة: "في صفات الله" وتحتها فروع أيضاً:

الفرع الأول: صفات الله كلها عُليا، صفات كمال ومدح، ليس فيها نقص بوجه من الوجوه كالحياة، والعلم، والقدرة، والسمع، والبصر، والحكمة، والرحمة، والعلو، وغير ذلك، لقوله تعالى: ﴿وَلله الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾(١). ولأن الرب كامل فوجب كمال صفاته.

وإذا كانت الصفة نقصاً لا كمال فيها فهي ممتنعة في حقه كالموت والجهل، والعجز، والصمم، والعمى، ونحو ذلك؛ لأنه سبحانه عاقب الواصفين له بالنقص، ونزه نفسه عما يصفونه به من النقائص، ولأن الرب لا يمكن أن يكون ناقصاً لمنافاة النقص للربوبية.

وإذا كانت الصفة كمالاً من وجه، ونقصاً من وجه لم تكن ثابتة لله، ولا ممتنعة عليه على سبيل الإطلاق، بل لابد من التفصيل فتثبت لله في الحال التي تكون كمالاً، وتمتنع في الحال التي تكون نقصاً كالمكر، والكيد، والخداع ونحوها فهذه الصفات تكون كمالاً إذا كانت في مقابلة مثلها؛ لأنها تدل على أن فاعلها ليس بعاجز عن مقابلة عدوه بمثل فعله.

وتكون نقصاً في غير هذه الحال فتثبت لله في الحال الأولى دون الثانية، قال الله تعالى: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾(٢)، ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْداً* وَأَكِيدُ كَيْداً﴾(٣)، ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾(٤). إلى غير ذلك.

فإذا قيل: هل يوصف الله بالمكر مثلاً؟

---

(١) سورة النحل، الآية: ٦٠.

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٣٠.

(٣) سورة الطارق، الآيتان: ١٥، ١٦.

(٤) سورة النساء، الآية: ١٤٢.

فلا تقل: نعم، ولا تقل: لا، ولكن قل: هو ماكر بمن يستحق ذلك، والله أعلم.

الفرع الثاني: صفات الله تنقسم إلى قسمين: ثبوتية، وسلبية:

فالثبوتية: ما أثبتها الله لنفسه كالحياة، والعلم، والقدرة، ويجب إثباتها لله على الوجه اللائق به؛ لأن الله أثبتها لنفسه وهو أعلم بصفاته.

والسلبية: هي التي نفاها الله عن نفسه كالظلم، فيجب نفيها عن الله؛ لأن الله نفاها عن نفسه لكن يجب اعتقاد ثبوت ضدها لله على الوجه الأكمل؛ لأن النفي لا يكون كمالاً حتى يتضمن ثبوتاً، مثال ذلك: قوله تعالى: ﴿وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً﴾(١). فيجب نفي الظلم عن الله مع اعتقاد ثبوت العدل لله على الوجه الأكمل.

الفرع الثالث: الصفات الثبوتية تنقسم إلى قسمين: ذاتية، وفعلية.

فالذاتية: هي التي لم يزل ولا يزال متصفاً بها كالسمع والبصر.

والفعلية: هي التي تتعلق بمشيئته إن شاء فعلها، وإن شاء لم يفعلها كالاستواء على العرش، والمجيء.

وربما تكون الصفة ذاتية فعلية باعتبارين كالكلام فإنه باعتبار أصل الصفة صفة ذاتية، لأن الله لم يزل ولا يزال متكلماً وباعتبار آحاد الكلام صفة فعلية، لأن الكلام متعلق بمشيئته يتكلم بما شاء متى شاء.

الفرع الرابع: كل صفة من صفات الله فإنه يتوجه عليها ثلاثة أسئلة:

السؤال الأول: هل هي حقيقية؟ ولماذا؟

السؤال الثاني: هل يجوز تكييفها؟ ولماذا؟

---

(١) سورة الكهف، الآية: ٤٩.

السؤال الثالث: هل تماثل صفات المخلوقين؟ ولماذا؟

فجواب السؤال الأول: نعم حقيقية، لأن الأصل في الكلام الحقيقة، فلا يعدل عنها إلا بدليل صحيح يمنع منها.

وجواب الثاني: لا يجوز تكييفها لقوله تعالى: ﴿وَلا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً﴾(١). ولأن العقل لا يمكنه إدراك كيفية صفات الله.

وجواب الثالث: لا تماثل صفات المخلوقين لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾(٢)، ولأن الله مستحق للكمال الذي لا غاية فوقه فلا يمكن أن يماثل المخلوق لأنه ناقص.

والفرق بين التمثيل والتكييف أن التمثيل ذكر كيفية الصفة مقيدة بمماثل، والتكييف ذكر كيفية الصفة غير مقيدة بمماثل.

مثال التمثيل: أن يقول قائل: يد الله كيد الإنسان.

ومثال التكييف: أن يتخيل ليد الله كيفية معينة لا مثيل لها في أيدي المخلوقين فلا يجوز هذا التخيل.

القاعدة الرابعة: "فيما نرد به على المعطلة".

المعطلة هم الذين ينكرون شيئاً من أسماء الله، أو صفاته، ويحرفون النصوص عن ظاهرها، ويقال لهم "المؤولة"، والقاعدة العامة فيما نرد به عليهم أن نقول: إن قولهم خلاف ظاهر النصوص، وخلاف طريقة السلف، وليس عليه دليل صحيح، وربما يكون في بعض الصفات وجه رابع أو أكثر.



(١) سورة طه، الآية: ١١٠.

(٢) سورة الشورى، الآية: ١١.

قال ابن قدامة رحمه الله تعالى:

"لمعة الاعتقاد"

الحمد لله المحمود بكل لسان المعبود في كل زمان الذي لا يخلو من علمه مكان ولا يشغله شأن عن شأن جل عن الأشباه والأنداد وتنزه عن الصاحبة والأولاد ونفذ حكمه في جميع العباد لا تمثله العقول بالتفكير ولا تتوهمه القلوب بالتصوير ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾. له الأسماء الحسنى والصفات العلى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى (٥) لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى (٦) وَإِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى (٧) اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾(١). أحاط بكل شيء علما وقهر كل مخلوق عزة وحكما ووسع كل شيء رحمة وعلمًا، ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾، موصوف بما وصف به نفسه في كتابه العظيم وعلى لسان نبيه الكريم.

...الشرح...

"اللمعة"(٢) تطلق في اللغة على معانٍ منها: البلغة من العيش، وهذا المعنى أنسب معنى لموضوع هذا الكتاب، فمعنى لمعة الاعتقاد هنا: البلغة من الاعتقاد الصحيح المطابق لمذهب السلف رضوان الله عليهم. والاعتقاد: الحكم الذهني الجازم، فإن طابق الواقع فصحيح وإلا ففاسد.

(١) في بعض النسخ سقط الشاهد من الآية التي ذكرها ابن قدامة في متنه: ﴿اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾.

(٢) وتطلق على الجماعة والطائفة من الناس أو القطعة من النبت أخذت في اليبس وقيل غير ذلك، وما ذكره الشيخ ذكره صاحب تاج العروس (٢٢/ ١٦٩) مادة [لمع] . وكأن مراد الماتن طائفة – أي جملة – من اعتقاد أهل السنة والجماعة . والله أعلم .

[ما تضمنته خطبة الكتاب]

تضمنت خطبة المؤلف في هذا الكتاب ما يأتي:

١ – البداءة بالبسملة، اقتداءً بكتاب الله العظيم، واتباعاً لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ومعنى (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ): أي أفعل الشيء مستعيناً ومتبركاً بكل اسم من أسماء الله تعالى الموصوف بالرحمة الواسعة. ومعنى (اللهِ) المألوه أي المعبود حباً وتعظيماً وتألهاً وشوقاً، و (الرَّحْمَنِ) ذو الرحمة الواسعة، و (الرَّحِيمِ) الموصل رحمته من شاء من خلقه، فالفرق بين الرحمن والرحيم أن الأول باعتبار كون الرحمة وصفاً له، والثاني باعتبارها فعلاً له يوصلها من شاء من خلقه.

٢– الثناء على الله بالحمد[١] ، والحمد: ذكر أوصاف المحمود الكاملة وأفعاله الحميدة مع المحبة له والتعظيم.

٣– أن الله محمود بكل لسان ومعبود بكل مكان، أي مستحق وجائز أن يحمد بكل لغة ويعبد بكل بقعة.

٤ – سعة علم الله بكونه، لا يخلو من علمه مكان، وكمال قدرته وإحاطته حيث لا يلهيه أمر عن أمر[٢].

---

(١) الحمد لغةً: الثناء. اللسان مادة (حمد).

اصطلاحاً: التعبد بالثناء على الله عز وجل بأسمائه الحسنى وصفاته العلى.

فبالاعتبار اللغوي يجوز في حق الله عز وجل وفي حق غيره، وبالاعتبار الشرعي لا يجوز لغير الله عز وجل لأنه مقترن بشرط العبادة فمن صرفه لغير الله تعالى فقد أشرك.

(٢) كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾. لكمال علمه وقدرته.

٥- عظمته وكبرياؤه وترفعه عن كل شبيه وند مماثل لكمال صفاته من جميع الوجوه[١].

٦- تنزهه وتقدسه عن كل زوجة وولد[٢]، وذلك لكمال غناه.

٧- تمام إرادته وسلطانه بنفوذ قضائه في جميع العباد، فلا يمنعه قوة ملك ولا كثرة عدد ومال.

٨- عظمة الله فوق ما يتصور بحيث لا تستطيع العقول له تمثيلاً ولا تتوهم القلوب له صورة؛ لأن الله ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

٩- اختصاص الله بالأسماء الحسنى والصفات العلى.

١٠- استواء الله على عرشه وهو علوه واستقراره عليه على الوجه اللائق به.

١١- عموم ملكه للسموات والأرض وما بينهما وما تحت الثرى.

١٢- سعة علمه، وقوة قهره، وحكمه وأن الخلق لا يحيطون بـه علـماً لقصـور إدراكهـم عـما يستحقه الرب العظيم من صفات الكمال والعظمة.

****

(١) كما قال تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾، والمعنى لن تعلم ذلك.

(٢) قال تعالى: ﴿مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾.

[التسليم والقبول لآيات وأحاديث الصفات]

وكل ما جاء في القرآن أو صح عن المصطفى عليه السلام من صفات الرحمن وجب الإيمان به وتلقيه بالتسليم(١) والقبول(٢) وترك التعرض له بالرد والتأويل والتشبيه والتمثيل وما من ذلك وجب إثباته لفظا(٣) وترك التعرض لمعناه ونرد علمه إلى قائله ونجعل عهدته على

(١) هو الاستسلام والانقياد لما دل عليه، والقبول: الرضا به وهو ضد الرد. (الجبرين ص ١٣).

(٢) والأدلة على ذلك كثيرة جداً منها قوله تعالى: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُون﴾، ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَاب﴾. وغيرها من الأدلة.

(٣) كلام ابن قدامة في إثبات اللفظ وترك التعرض للمعنى ورد علمه إلى قائله ثم نسب هذا للسلف. قد يشكل ومما يزيده إشكالاً قوله في (ذم التأويل ص ٢٢٢) ضمن مجموعة رسائل: "وردوا علمها إلى قائلها ومعناها إلى المتكلم بها" وقد جمع بعض أهل العلم بين كلامه، وقالوا مراده نفي العلم الكيفية. وهذا جيد لأن حسن الظن بالعلماء مطلوب.

وقال الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ في قول ابن قدامة هذا: أما كلام صاحب اللمعة فهذه الكلمة مما لوحظ في هذه العقيدة وقد لوحظ فيها عدة كلمات أخذت على المصنف إذ لا يخفى أن مذهب أهل السنة والجماعة هو الإيمان بما ثبت في الكتاب والسنة من أسماء الله تعالى وصفاته لفظًا ومعنى واعتقاد أن هذه الأسماء والصفات على الحقيقة لا على المجاز وأن لها معاني حقيقية تليق بجلال الله وعظمته وأدلة ذلك أكثر من أن تحصر ومعاني هذه الأسماء ظاهرة معروفة من القرآن كغيرها لا لبس فيها ولا إشكال... والمصنف رحمه الله تعالى إمام في السنة وهو من أبعد الناس عن مذهب المفوضة وغيرهم من المبتدعة والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه أ . هـ كلامه.

ناقله إتباعا لطريق الراسخين في العلم[١] الذين أثنى الله عليهم في كتابه المبين بقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾.

وقال في ذم مبتغي التأويل لمتشابه تنزيله: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ﴾، فجعل ابتغاء التأويل علامة على الزيغ وقرنه بابتغاء الفتنة في الذم، ثم حجبهم عما أملوه وقطع أطماعهم عما قصدوه بقوله سبحانه: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ﴾.

...الشرح...

تنقسم نصوص الكتاب والسنة الواردة في الصفات إلى قسمين:

واضح جلي، ومشكل خفي.

فالواضح: ما اتضح لفظه ومعناه، فيجب الإيمان به لفظاً، وإثبات معناه حقًّا بلا رد ولا تأويل[٢]، ولا تشبيه ولا تمثيل؛ لأن الشرع ورد به فوجب الإيمان به، وتلقيه بالقبول والتسليم.

---

(١) الاستدلال بهذه الآية في هذا الموضع فيه نظر .

(٢) قال الشيخ ابن عثيمين في الواسطية ص ٦٨– ٦٩: عبر المؤلف – يعني ابن تيمية – رحمه الله تعالى بالتحريف دون التأويل مع أن كثيراً ممن يتكلمون في هذا الباب يعبرون بنفي التأويل يقولون : من غير تأويل لكن ما عبر به المؤلف أولى لوجوه أربعة:

١ – أنه اللفظ الذي جاء به القرآن فإن الله تعالى قال: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾، والتعبير الذي عبر القرآن أولى لأنه أدل على المعنى.

٢ – المؤول بغير دليل؛ ليس من العدل أن نسميه مؤولاً بل العدل أن نصفه بما يستحق وهو أن يكون محرفاً.

وأما المشكل: فهو ما لم يتضح معناه لإجمال في دلالته، أو قصر في فهم قارئه، فيجب إثبات لفظه لورود الشرع به، والتوقف في معناه وترك التعرض له لأنه مشكل لا يمكن الحكم عليه، فنرد علمه إلى الله ورسوله(١).

وقد انقسمت طرق الناس في هذا المشكل إلى طريقتين:

الطريقة الأولى: طريقة الراسخين في العلم الذين آمنوا بالمحكم والمتشابه وقالوا: كل من عند ربنا، وتركوا التعرض لما لا يمكنهم الوصول إلى معرفته والإحاطة به، تعظيماً لله ورسوله وتأدباً مع النصوص الشرعية، وهم الذين أثنى الله عليهم بقوله: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾(٢).

الطريقة الثانية: طريقة الزائغين الذين اتبعوا المتشابه طلباً للفتنة وصداً للناس عن دينهم وعن طريقة السلف الصالح، فحاولوا تأويل هذا المتشابه إلى ما يريدون لا إلى ما يريده الله ورسوله، وضربوا نصوص الكتاب والسنة بعضها ببعض، وحاولوا الطعن في دلالتها بالمعارضة والنقص ليشككوا المسلمين في دلالتها ويعموهم عن هدايتها، وهؤلاء هم الذين ذمهم الله بقوله: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ﴾(٣).

٣- أن لفظ التحريف أبلغ تنفيراً من التأويل...

٤- أن التأويل منه مذموم ومنه غير مذموم كالتفسير... أ. هـ بتصرف.

(١) وليس في آيات الصفات وأحاديثها مجمل يحتاج إلى بيان من خارج بل بيانها منها.

مختصر الصواعق ٢١٢ شرح الفوزان ٣٨ – ٣٩

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٧.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٧.

[تحرير القول في النصوص من حيث الوضوح والإشكال]

إن الوضوح والإشكال في النصوص الشرعية أمر نسبي، يختلف فيه الناس بحسب العلم والفهم، فقد يكون مشكلاً عند شخص ما هو واضح عند شخص آخر، والواجب عند الإشكال اتباع ما سبق من ترك التعرض له والتخبط في معناه. أما من حيث واقع النصوص الشرعية فليس فيها بحمد الله ما هو مشكل لا يعرف أحد من الناس معناه فيما يهمهم من أمر دينهم ودنياهم، لأن الله وصف القرآن بأنه نور مبين، وبيان للناس، وفرقان، وأنه أنزله تبياناً لكل شيء، وهدىً ورحمة، وهذا يقتضي أن لا يكون في النصوص ما هو مشكل بحسب الواقع بحيث لا يمكن أحداً من الأمة معرفة معناه.

[معنى الرد، والتأويل(١)، والتشبيه، والتمثيل(٢)، وحكم كل منها]

الرد: التكذيب والإنكار. مثل أن يقول قائل: ليس لله يد لا حقيقة ولا مجازاً. وهو كفر لأنه تكذيب لله ورسوله.

والتأويل: التفسير والمراد به هنا تفسير نصوص الصفات بغير ما أراد الله بها ورسوله وبخلاف ما فسرها به الصحابة والتابعون لهم بإحسان.

---

(١) لغة: التفسير وغير ذلك (اللسان مادة [أول] والمراد به هنا التحريف وهو التفسير الباطل، وهو صرف اللفظ عن ظاهرة. الفتاوى (٣/ ١٦٥) مختصر الصواعق ٣١٩، الروضة ٢٥، العثيمين ص ٦٩ .

(٢) لغة: التسوية. النهاية في الغريب ٤/ ٢٩٤.

وهو قسمان (١) تمثيل الخالق بالمخلوق كما قالت اليهود: (يد الله مغلولة) فلعنهم الله تعالى. وقد تابعهم الممثلة من هذه الأمة.

(٢) تمثيل المخلوق بالخالق كم قالت النصارى (إن الله هو المسيح ابن مريم) قاتلهم الله سبحانه. وكلا القولين كفر.

وحكم التأويل على ثلاثة أقسام:

الأول: أن يكون صادراً عن اجتهاد وحسن نية بحيث إذا تبين له الحق رجع عن تأويله، فهذا معفو عنه لأن هذا منتهى وسعه، وقد قال الله تعالى: ﴿لا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا﴾(١).

الثاني: أن يكون صادراً عن هوى وتعصب، وله وجه في اللغة العربية فهو فسق وليس بكفر إلا أن يتضمن نقصاً أو عيباً في حق الله فيكون كفراً.

القسم الثالث: أن يكون صادراً عن هوى وتعصب وليس له وجه في اللغة العربية، فهذا كفر لأن حقيقته التكذيب حيث لا وجه له.

والتشبيه: إثبات مشابه لله فيما يختص به من حقوق أو صفات، وهو كفر؛ لأنه من الشرك بالله، ويتضمن النقص في حق الله حيث شبهه بالمخلوق الناقص.

والتمثيل: إثبات مماثل لله فيما يختص به من حقوق أو صفات، وهو كفر؛ لأنه من الشرك بالله وتكذيب لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾(٢).

ويتضمن النقص في حق الله حيث مثله بالمخلوق الناقص.

والفرق بين التمثيل والتشبيه: أن التمثيل يقتضي المساواة من كل وجه بخلاف التشبيه(٣).

****

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٨٦.

(٢) سورة الشورى، الآية: ١١.

(٣) والتعبير بلفظ التمثيل أولى لأنه الذي جاء به القرآن ولأن نفي التشبيه على الإطلاق غير صحيح فهناك تشابه بين الخالق والمخلوق في بعض أسماء الصفات وإن كان التباين حاصل في المعنى. العثيمين ص٨٩-٩٠ الفتاوى ٦/ ١١٣.

[كلام أئمة السلف في الصفات]

قال الإمام أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل(١) رضي الله عنه(٢) في قول النبي صلى الله عليه وسلم: (إن الله ينزل إلى سماء الدنيا)(٣) و(إن الله يرى في القيامة)(٤) وما أشبه هذه الأحاديث، نؤمن بها ونصدق بها لا كيف ولا معنى(٥) ولا نرد شيئًا منها، ونعلم أن ما جاء

(١) انظر ترجمته في السير (١١/ ١٧٧).

(٢) من باب الدعاء له والمعني اللهم ارض عنه، أما من باب الإخبار فلا تصح إلا للصحابة رضي الله عنهم لقوله تعالى: ﴿رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ التوبة [١٠٠].

(٣) (خ ١١٤٥) (م صلاة المسافرين / ١٦٨ / ١٧٠) وأحمد (٢ / ٣٣٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) يشير إلى أحاديث الرؤية وستأتي في بابها من الكتاب إن شاء الله تعالى ·

(٥) هذه الكلمات مما انتقد في هذا الكتاب حيث أن ابن قدامة لم يبين مراد الإمام أحمد رحمه الله تعالى.
ثم هذه الرواية عن أحمد رواها الخلال من طريق حنبل بن إسحاق، وحنبل له غرائب ينفرد بها عن أحمد وهذه منها فلا تصح عن أحمد.
ثم فيها نكارة ظاهرة فالإمام أحمد يقول: الواقفة شر من الجهمية. ونفي الكيفية والمعنى مذهب الواقفة ومنهم المفوضة فعلم بهذا نكارة هذه الألفاظ وعدم ثبوتها، والله أعلم .
قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى في الحمويه ص٦٣: المعنى الذي نفاه أحمد هو المعنى الباطل الذي ابتكره المعطلة وغيرهم ..... أ.هـ . ثم رأيت كلام أحمد ابن قدامة ذكره في كتابه ذم التأويل (رقم ٣٣) فقال : وقال أبو بكر الخلال حدثنا علي بن عيسى أن حنبلاً حدثهم – وذكره – أ . هـ وفي السند من لم يوثق وفي رواية حنبل عن أحمد كلام كما قاله الذهبي في السير في ترجمته وابن تيمية في الفتاوى (٥/ ٣٢٩).

به الرسول حق، ولا نرد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا نصف الله بأكثر مما وصف به نفسه بلا حد ولا غاية(١)﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾. ونقول كما قال ونصفه بما وصف به نفسه، لا نتعدى ذلك ولا يبلغه وصف الواصفين نؤمن بالقرآن كله محكمه ومتشابهه، ولا نزيل عنه صفة من صفاته لشناعة شنعت ولا نتعدى القرآن والحديث ولا نعلم كيف كُنْه ذلك إلا بتصديق الرسول صلى الله عليه وسلم وتثبيت القرآن(٢).

...الشرح...

ما تضمنه كلام الإمام أحمد في أحاديث النزول وشبهها:

تضمن كلام الإمام أحمد رحمه الله الذي نقله عن المؤلف ما يأتي:

١- وجوب الإيمان والتصديق بما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، من أحاديث الصفات من غير زيادة ولا نقص ولا حد ولا غاية.

(١) هما بمعنى نهاية الشيء ومداه (الجبرين / ص١٨) ثم هذه الألفاظ المجملة التي لا تُنفى ولا تُثبت إلا بدليل إلا أن تتضمن معناً باطلاً فتنفى والله أعلم إلا أن يكون معنى الكلام: أننا لا نكيف صفات الله سبحانه فتذكر حدودها وغاياتها وكيفيتها لأننا لا نعلم هذا مع إيماننا أن لها كيفية يعلمها الله تعالى. وانظر شرح الفوزان ص ٥١.

(٢) أي لا نعلم كيفيتها إلا أننا نقبلها تصديقاً للرسول صلى الله عليه و آله وسلم وإيماناً بالقرآن الكريم الذي أثبتها الله فيه. الجبرين ص١٩ .

٢- أنه لا كيف ولا معنى[١] أي: لا نكيف هذه الصفات؛ لأن تكييفها ممتنع لما سبق، وليس مراده أنه لا كيفية لصفاته؛ لأن صفاته ثابتة حقاً، وكل شيء ثابت فلابد له من كيفية، لكن كيفية صفات الله غير معلومة لنا.

وقوله: ولا معنى أي: لا نثبت لها معنى يخالف ظاهرها كما فعله أهل التأويل وليس مراده نفي المعنى الصحيح الموافق لظاهرها الذي فسرها به السلف[٢] فإن هذا ثابت، ويدل على هذا قوله: "ولا نرد شيئاً منها، ونصفه بما وصف به نفسه، ولا نزيل عنه صفة من صفاته لشناعة شنعت[٣]، ولا نعلم كيفية كنه ذلك". فإن نفيه لرد شيء منها، ونفيه لعلم كيفيتها دليل على إثبات المعنى المراد منها.

---

(١) قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى في الحموية ص٦٣: المعنى الذي نفاه أحمد هو المعنى الباطل الذي ابتكره المعطلة وغيرهم ... أ. هـ.

(٢) السلف لغة: الجماعة المتقدمة (اللسان مادة سلف).

شرعًا: المذكورون في قوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾. التوبة [١٠٠] فهم الصحابة والتابعون لهم بإحسان وأتباعهم وهم الطائفة المنصورة الناجية المذكورة في قوله صلى الله عليه وآله وسلم (لا تزال طائفة من أمتي على الحق) هم أهل السنة والجماعة ومن سار على منهجهم. ١٠٣.

(٣) الشناعة القبح ، المعنى: لا نترك ولا نحرف معنى صفة من صفاته سبحانه لأجل شناعة تقع في قلوبنا ، أو لأجل تشنيع الناس علينا . ونظر للمزيد الجبرين ص١٩ .

٣- وجوب الإيمان بالقرآن كله محكمه، وهو ما اتضح معناه، ومتشابه وهو ما أشكل معناه، فنرد المتشابه إلى المحكم ليتضح معناه، فإن لم يتضح وجب الإيمان به لفظاً، وتفويض معناه إلى الله تعالى.



[كلام الشافعي رحمه الله تعالى]

قال الإمام أبو عبدالله محمد بن إدريس الشافعي(١) رضي الله عنه : آمنت بالله وبما جاء عن الله على مراد الله وآمنت برسول الله وبما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله(٢).

...الشرح...

تضمن كلام الإمام الشافعي ما يأتي:

١- الإيمان بما جاء عن الله تعالى في كتابه المبين على ما أراده الله من غير زيادة، ولا نقص، ولا تحريف.

٢- الإيمان بما جاء به عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، على ما أراده رسول الله صلى الله عليه وسلم، من غير زيادة ولا نقص ولا تحريف.

وفي هذا الكلام رد على أهل التأويل، وأهل التمثيل؛ لأن كل واحد منهم لم يؤمن بما جاء عن الله ورسوله على مراد الله ورسوله فإن أهل التأويل نقصوا(٣)، وأهل التمثيل زادوا.

****

(١) انظر ترجمته في السير (١٠/ ٥).

(٢) أي: على ما أراد الله تعالى، ولم يرد الله عز وجل إلا ظاهر ما خاطبهم به من الكتاب والسنة؛ فإنه لم يخاطبهم إلا بما يفهمون. وليس في هذا مدخل للمفوضة فإن الله تعالى أراد من العباد طاعته والإيمان بما أنزل جملة وتفصيلاً، ومما يزيد هذا قوة وأن مراد الشافعي إثبات الصفات ونفي الكيف والتمثيل والتفويض والتعطيل قوله: (ويثبت هذه الصفات وينفي عنها التشبيه كما نفى عن نفسه). ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾. أ. هـ مختصر العلو للألباني (١٧٧).

(٣) وهم المعطلة الذين حرفوا معنى الصفات فنفوها – وأثبتوا لله النقص حيث نفوا ما مدح الله تعالى به نفسه.

[طريق السلف الذي درجوا عليه في الصفات]

وعلى هذا درج السلف وأئمة الخلف رضي الله عنهم كلهم؛ متفقون على الإقرار والإمرار والإثبات لما ورد من الصفات في كتاب الله وسنة رسوله من غير تعرض لتأويله.

... الشرح ...

الذي درج عليه السلف(١) وأئمة الخلف(٢) رضي الله عنهم كلهم متفقون على الإقرار(٣) والإثبات لما ورد من صفات الله تعالى في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، من غير تعرض لتأويله بما لا يتفق مع مراد الله ورسوله.

****

(١) أي ساروا وقطعوا حياتهم. الجبرين ص٢٠.

(٢) هم من بعد القرون المفضلة.

(٣) أقر بالشيء بمعنى اعترف به والمراد هنا: إثبات الصفات التي جاءت بها الأدلة.

(إمرار..) إمرارها كما جاءت من غير تحريف ولا تعطيل ولا تمثيل بل تبقى على ظاهرها.

[الترغيب في السنة والتحذير من البدعة]

وقد أمرنا بالإقتفاء لآثارهم والاهتداء بمنارهم، وحذرنا المحدثات وأخبرنا أنها من الضلالات، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة).

... الشرح...

والاقتداء بهم في ذلك واجب لقوله صلى الله عليه وسلم: "عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة". رواه أحمد، وأبو داود، والترمذي [(١)] "وقال: حسن صحيح وصححه الألباني وجماعة.

السنة لغة: "الطريقة".

واصطلاحاً: "ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم، وأصحابه من عقيدة أو عمل". [(٢)]

---

(١) (حديث العرباض) رواه أبو داود (٤٦٠٧) والترمذي (٢٦٧٦) وابن ماجة (٤٢/ ٤٣) وأحمد (٤/ ١٢٦) وهو حديث حسن وصححه الشيخ الألباني في السنن والإرواء (٢٤٥٥) والشيخ مقبل في جامعه (٥ / ٢٤).

(٢) السنة : لغة الطريق . القاموس ١٥٥٨ .

شرعاً: ما شرعه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم للأمة من قول وفعل واعتقاد، وهي طريقة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم التي سار عليها وسار عليها أصحابه من بعده والتابعون لهم بإحسان.

وهي التمسك بالقرآن والسنة على فهم سلف الأمة. عقيدة ومنهجاً وفقهاً وجميع أمور الدين.

واتباع السنة واجب لقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾(١).

وقوله صلى الله عليه وسلم: "عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين(٢) المهديين من بعدي عضوا بالنواجذ".

والبدعة لغة: الشيء المستحدث.

واصطلاحاً: ما أحدث في الدين على خلاف ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه من عقيدة أو عمل.

وهي حرام لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً﴾(٣). وقوله صلى الله عليه وسلم: "وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة".



---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٢١.

(٢) أي: فهمهم للأدلة ، و فهم السلف للأدلة حجة على من بعدهم ومن خالفهم فقد ضل عن سواء السبيل، والأدلة على ذلك كثيرة منها ما ذكر المؤلف والشارح ومنها قوله تعالى: ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾، ونحوها من الأدلة، وفي هذا رد على أهل البدع المتقدمة والمتأخرة التي أحدثت طرقاً ومناهج لا سلف فيها من الحزبيات والضلالات.

(٣) سورة النساء، الآية: ١١٥.

[الآثار الواردة في الترغيب في السنة والتحذير من البدعة]

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه(١) (اتبعو ولا تبتدعوا فقد كفيتم(٢)).

وقال عمر بن عبد العزيز(٣) رضي الله عنه كلاما معناه قف حيث وقف القوم فإنهم عن علم وقفوا وببصر نافذ (٤)كفوا ولهم على كشفها كانوا أقوى(٥)وبالفضل لو كان فيها أحرى قلتم: حدث بعدهم. فما أحدثه إلا من خالف هديهم ورغب عن سنتهم ولقد وصفوا منه ما يشفي وتكلموا منه بما يكفي فما فوقهم محسر (٦) وما دونهم مقصر لقد قصر عنهم قوم فجفوا(٧)

---

(١) انظر ترجمته في السير (١/ ٤٦١) .

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (٨٧٧٠) وأبو خيثمة في كتاب العلم [٥٤] وابن وضاح في ما جاء البدع [١١] وغيرهم من عدة طرق فيها ضعف وهو بمجموع طرقه حسن وصححه الألباني رحمه الله تعالى في تحقيق كتاب العلم لأبي خيثمة والضعيفة عند (٥٣٣) وهذا الأثر قاعدة رصينة في هذا الباب وغيره وهو مأخوذ من قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ .

(٣) انظر ترجمته في السير (٥ / ١١٤).

(٤) المراد بصيرة القلب والعلم.

(٥) ولكن كونهم وقفوا عن هذا الشيء لأنهم يرون أنه لا خير في التجاوز. شرح الفوزان ص٦٥ .

(٦) الحسر هو التعب والإعياء والعجز، والمعنى متعب نفسه فيما لا فائدة فيه حتى يعجز عن معرفة الحق وينتهي إلى الحيرة. أو مغالٍ متجاوز للحد وهذا مذموم (وكلا المعنيان صحيح).

(٧) (جفوا) الجفاء هو التباعد والقطع والمعنى: تباعدوا عن الحق.

وتجاوزهم آخرون فغلوا[١] وإنهم فيما بين ذلك لعلى هدى مستقيم[٢] .

وقال الإمام أبو عمرو الأوزاعي [٣]رضي الله عنه عليك بآثار[٤] من سلف وإن رفضك الناس وإياك وآراء الرجال وإن زخرفوه لك بالقول[٥].

... الشرح ...

١- من أقوال الصحابة: قال ابن مسعود رضي الله عنه الصحابي الجليل المتوفى سنة ٣٢هـ عن بضع وستين سنة: (اتبعوا) أي التزموا آثار النبي صلى الله عليه وسلم من غير زيادة ولا نقص (ولا تبتدعوا) لا تحدثوا بدعة في الدين (فقد كفيتم) أي كفاكم السابقون مهمة الدين حيث أكمل الله تعالى الدين لنبيه صلى الله عليه وسلم، وأنزل قوله: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾[٦]. فلا يحتاج الدين إلى تكميل.

(١) (غلوا) الغلو : تجاوز الحد المشروع وهو محرم.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٦١٢) مطولاً ورواه الآجري في الشريعة (١ / ٤٤٣) وذكره ابن الجوزي في مناقب عمر بن عبد العزيز (٨٣ -٨٤) وسنده صحيح وصححه العلامة الألباني رحمه الله تعالى في صحيح السنن (٤٦١٢ / طبعة مشهور).

(٣) (الأوزاعي) انظر ترجمته في السير (٧/ ١٠٧).

(٤) (آثار) مأ أُثِر عنهم من قول أو فعل.

(٥) صحيح أخرجه الآجري في الشريعة (١٢٧ / تحقيق الدميجي) وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (٢ / ١١٤) والخطيب في شرف أصحاب الحديث رقم (٦) والذهبي في السير (٧/ ١٢٠) وسنده صحيح وفيه زيادة بعد قوله (بالقول) (فإن الأمر ينجلي وأنت على صراط مستقيم).

(٦) سورة المائدة، الآية: ٣.

٢- من أقوال التابعين: قال أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز المولود سنة ٦٣هـ المتوفى سنة ١٠١هـ قولاً يتضمن ما يأتي:

أ- وجوب الوقوف حيث وقف القوم – يعني بهم – النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه فيما كانوا عليه من الدين عقيدة وعملاً، لأنهم وقفوا عن علم وبصيرة، ولو كان فيما حدث بعدهم خير لكانوا به أحرى.

ب- أن ما أحدث بعده فليس فيه إلا مخالفة هديهم والزهد في سنتهم وإلا فقد وصفوا ما يشفي وتلكموا فيه بما يكفي.

جـ- أن من الناس من قصر في اتباعهم فكان جافياً، ومن الناس من تجاوز فكان غالياً، والصراط المستقيم ما بين الغلو والتقصير(١).

٣- من أقوال تابعي التابعين: قال الأوزاعي عبد الرحمن بن عمرو المتوفى سنة ١٥٧هـ (عليك بآثار من سلف) الزم طريقة الصحابة والتابعين لهم بإحسان لأنها مبنية على الكتاب والسنة (وإن رفضك الناس) أبعدوك واجتنبوك (وإياك وأراء الرجال) أحذر أراء الرجال وهي ما قيل بمجرد الرأي من غير استناد إلى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، (وإن زخرفوه) جملوا اللفظ وحسنوه فإن الباطل لا يعود حقاً بزخرفته وتحسينه.



(١) انظر الفتاوى (٤ / ١٤٠) وسطيه أهل السنة / ١٥٥ – ١٥٧.

ـ وقال ابن تيمية رحمه الله تعالى: ومذهب السلف بين مذهبين وهدى بين ضلالتين إثبات الصفات ونفي مماثلة المخلوق ... فالممثل أعشى والمعطل أعمى الممثل يعبد صنماً والمعطل يعبد عدماً. الفتاوى ٥/ ١٩٦.

[مناظرة جرت عند خليفة بين الأدرمي وصاحب بدعة]

وقال محمد بن عبد الرحمن الأدرمي[(١)] لرجل [(٢)] تكلم ببدعة[(٣)] ودعا الناس إليها هل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي أو لم يعلموها قال لم يعلموها قال فشيء لم يعلمه هؤلاء أعلمته أنت قال الرجل فإني أقول قد علموها قال أفوسعهم ان لا يتكلموا به ولا يدعو الناس إليه أم لم يسعهم قال بلى وسعهم قال فشيء وسع رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلفاءه لا يسعك أنت فانقطع الرجل فقال الخليفة[(٤)] وكان حاضرا لا وسع الله على من لم يسعه ما وسعهم [(٥)].

(وهكذا من لم يسعه ما وسع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه والتابعين لهم بإحسان والأئمة من بعدهم والراسخين في العلم من تلاوة آيات الصفات وقراءة أخبارها وإمرارها كما جاءت فلا وسع الله عليه[(٦)]).

---

(١) تصحف اسمه كما قال الشيرازي : (الشيخ هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن محمد بن إسحاق الأذرمي) (تاريخ الخطيب ١٠/ ٧٧)(مناقب أحمد لابن الجوزي (٤٣٦) وانظر ترجمته في التهذيب (٦ / عبد الله).

(٢) هو أحمد بن أبي دؤاد دجال الجهمية في عصرة (السير ١١/ ١٦٩).

(٣) وهي القول بخلق القرآن.

(٤) وهو الواثق بالله هارون بن محمد المعتصم (حفيد هارون الرشيد) رحمه الله تعالى.

(٥) والقصة مشهورة ومليحة إلا أن أسانيدها فيها كلام وذكر طرقها الذهبي في السير (١١/ ٣١٣) والخطيب وابن كثير في البداية والنهاية (١٠/ ٣٣٥) وغيرهم وضعفها محقق الشريعة رقم (١٩٣) والله أعلم.

(٦) ما بين القوسين تعليق من المؤلف ابن قدامه وليس من القصة. شرح الفوزان صـ٧٠.

...الشرح...

لم أطلع على ترجمة للأدرمي ومن معه ولا أعلم نوع البدعة المذكورة، والمهم أن نعرف مراحل هذه المناظرة لنكتسب منها طريقاً لكيفية المناظرة بين الخصوم. وقد بنى الأدرمي رحمه الله مناظرته هذه على مراحل ليعبر من كل مرحلة إلى التي تليها حتى يفحم خصمه.

المرحلة الأولى: "العلم" فقد سأله الأدرمي هل علم هذه البدعة النبي صلى الله عليه وسلم، وخلفاؤه؟

قال البدعي: لم يعلموها.

وهذا النفي يتضمن انتقاص النبي صلى الله عليه وسلم وخلفائه حيث كانوا جاهلين بما هو من أهم أمور الدين، ومع ذلك فهو حجة على البدعي إذا كانوا لا يعلمونه، ولذلك انتقل به الأدرمي إلى:

المرحلة الثانية: إذا كانوا لا يعلمونها فكيف تعلمها أنت؟ هل يمكن أن يحجب الله عن رسوله صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين علم شيء من الشريعة ويفتحه لك؟

فتراجع البدعي وقال: أقول: قد علموها، فانتقل به إلى:

المرحلة الثالثة: إذا كانوا قد علموها فهل وسعهم أي أمكنهم أن لا يتكلموا بذلك ولا يدعوا الناس إليه أم لم يسعهم؟

فقال له الأذرمي: فشيء وسع رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلفاءه لا يسعك أنت، فانقطع الرجل وامتنع عن الجواب لأن الباب انسد أمامه.

فصوب الخليفة رأي الأذرمي، ودعا بالضيق على من لم يسعه ما وسع النبي صلى الله عليه وسلم وخلفاءه.

وهكذا كل صاحب باطل من بدعة أو غيرها فلابد أن يكون مآله الانقطاع عن الجواب.

❊❊❊❊

[ذكر بعض آيات الصفات]

[صفة الوجه لله تعالى]

فمما جاء من آيات الصفات قول الله عز وجل (ويبقى وجه ربك).

...الشرح...

الصفات التي ذكرها المؤلف من صفات الله تعالى

ذكر المؤلف رحمه الله من صفات الله الصفات الآتية وسنتكلم عليها حسب ترتيب المؤلف.

الصفة الأولى : "الوجه" :

الوجه ثابت لله تعالى بدلالة الكتاب، والسنة[(١)]، وإجماع السلف.

قال الله تعالى: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالْإِكْرَامِ﴾[(٢)].

وقال النبي صلى الله عليه وسلم لسعد بن أبي وقاص: "إنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت عليها" متفق عليه [(٣)].

وأجمع السلف على إثبات الوجه لله تعالى، فيجب إثباته له بدون تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل، وهو وجه حقيقي يليق بالله[(٤)].

---

(١) ورد ذكر الوجه في أربعة عشر موضوعاً من القرآن.

وورد في السنة في أحاديث كثيرة . وهو من الصفات الخبرية.

(٢) سورة الرحمن، الآية: ٢٧.

(٣) حديث سعد (خ ١٢٩٥) (م ١٦٢٨).

(٤) والوجه معلوم معناه و كيفيته مجهولة لا نعلم كيفية وجه الله عز وجل، لكننا نؤمن بأن لله تعالى وجهاً موصوفاً بالجلال والإكرام وموصوفاً بالبهاء والعظمة والنور العظيم، كما جاءت بذلك الأدلة ولهذا نقول الوجه وجه عظيم لا يمكن أبداً أن يماثل أوجه المخلوقات ...

وقد فسره أهل التعطيل بالثواب.(١) ونرد عليهم بما سبق في القاعدة الرابعة.

-وعبر بالوجه هنا من باب التعبير بالجزء على الكل كقوله تعالى: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾ أي: نفس كاملة فالمراد بالآية يبقى ذاتة المتصفة بالوجه. والله أعلم.

(١) أولّه المعتزلة بأن المراد ذاته ونفوا الوجه وهذا باطل مردود عليهم .

ويرد عليهم بالردود العامة.

أ) ويقال لهم إثبات الذات يلزم منه إثبات الوجه فلا يعقل ذاته بلا وجه.

ب) قال الخطابي: لما أضاف الله الوجه إلى الذات وأضاف النعت إلى الوجه دال على أن ذكر الوجه ليس بصلة وأنه صفة للذات. مختصر الصواعق / ٣٣٥-٣٤٠.

*- الأشاعرة أولّوه بالثواب .

ويرد عليهم:

أ) يقال لهم الثواب لا يوصف بالنور العظمة والكبر والجلال والإكرام.

ب) قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم (حجابه النور)، والثواب لا حجاب له وقال: (لو كشفه لا حرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه) فهل يقال هذه صفات الثواب.

والحديث رواه مسلم (م١٧٩) عن أبي موسى رضي الله عنه.

ج) وفي حديث جابر في مسلم (فيأيتهم الله فيقول أنا ربكم فيقولون لا حتى ننظر إليك فيتجلى لهم يضحك) (م ١٩١) فهل يقول هذا الثواب أم الله عز وجل؟ وهل ينظر إلى وجه الله عز وجل يضحك أم يقال إن الثواب يضحك؟ بل لا بد من إثبات صفة الوجه.

و) الثواب مخلوق والرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: (أعوذ بالله العظيم وبوجه الكريم ...) والحديث رواه أبو داود وصححه الشيخان . ولا يستعاذ إلا بالله عز وجل لا يستعاذ بمخلوق.

وكذلك في حديث جابر لما نزلت على الرسول صلى الله عليه وعلى آله: وسلم ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا﴾ قال : أعوذ بوجهك ، (خ ٤٦٢٨) عن جابر رضي الله عنه .

[الصفة الثانية: اليدان]

وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾.

....الشرح ...

اليدان من صفات الله الثابتة له بالكتاب، والسنة، وإجماع السلف.

قال الله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾(١).

وأجمع السلف على إثبات اليدين لله(٢)، فيجب إثباتهما له بدون تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل، وهما يدان حقيقيتان لله تعالى يليقان به(٣).

وفي حديث أبي موسى في الصحيحين: (وما من بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه) (خ٤٨٧٨) (م١٨٠).

فهل هذه صفات الثواب أم صفات الوجه؟

ص) أن الله عز وجل قد فرق بين الثواب والوجه فإذا نال أهل الجنة الثواب كشف الله تعالى الحجاب عن وجهه كما في حديث أبي موسى السابق.

وقوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ إلى وجه الله عز وجل.

(١) سورة المائدة، الآية: ٦٤.

(٢) قال الشيخ ابن عثيمين في الواسطية (٢٥٣) وأجمع السلف على أنه لا تثبت لله تعالى إلا يدين بدون زيادة.

(٣) أهل السنة يثبتون لله عز وجل يدين حقيقتين كما يليق بجلالة.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: ورد لفظ اليد في الكتاب والسنة وكلام الصحابة والتابعين في أكثر من مائة موضع متصرفاً ومقروناً بما يدل على أنها يد حقيقية من الإمساك والطي والقبض والبسط والخلق باليدين ... فقطع بالضرورة أن المراد يد الذات لا يد القدرة والنعمة فإن السباق والتركيب لا يحتملة البتة أ.هـ مختصر الصواعق ٣٣٤، والتنبيهات ٩٢.

وقد فسرهما أهل التعطيل بالنعمة أو القدرة ونحوها(١).

ونرد عليهم بما سبق في القاعدة الرابعة، وبوجه رابع أن في السياق ما يمنع تفسيرهما بذلك قطعاً كقوله تعالى: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيّ﴾(٢). وقوله صلى الله عليه وسلم: "وبيده الأخرى القبض".

ويثبت أهل السنة لهذه اليدين صفة الأصابع كما ورد ذلك في حديث ابن عمرو (قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن) رواه مسلم (٢٦٥٤).

ولله عز وجل خمسة أصابع وردة في الأثر.

(١) أ- ويرد عليهم بالردود العامة .

ب- أن هذه الصفات البسط في قوله تعالى: ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾. والقبض في حديث: (يقبض ويبسط)، والهز في حديث: (يمسك السموات ... ثم يهزهن ...) وغيرها من الصفات تدل دلالة واضحة ان المراد به اليد الحقيقية لا غيرها.

٣- قوله: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾. لا يصح تأويلها بالنعمة لأمرين.

أ) نعم الله تعالى كثيرة ولا تحصر في اثنتين.

ب) النعمة مخلوقة وكيف يخلق آدم بمخلوق آخر فهذا لا يصح.

* كذلك لا يصح تأويلها بالقدرة والقوة لأمرين:

أ) كل الخلق مخلوقون بقدرة الله وقوله فما ميزت آدم لو سلمنا بقولهم؟! .

لا شك أن ميزته زائدة على غيره وهي خلقه بيدي الله تعالى.

ب) القوة والقدرة لا تتعدد ولا توصف بما سبق ذكره من صفات اليد فتأمل.

وهناك ردود أخر ى.

(٢) سورة ص، الآية: ٧٥.

الأوجه التي وردت عليها صفة اليدين وكيف نوفق بينها:

الأول: الإفراد كقوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾(١).

الثاني: التثنية كقوله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾(٢).

الثالث: الجمع كقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَاماً﴾(٣).

والتوفيق بين هذه الوجوه أن نقول: الوجه الأول مفرد مضاف فيشمل كل ما ثبت لله من يد ولا ينافي الثنتين، وأما الجمع فهو للتعظيم لا لحقيقة العدد الذي هو ثلاثة فأكثر وحينئذ لا ينافي التثنية، على أنه قد قيل: إن أقل الجمع اثنان، فإذا حمل الجمع على أقله فلا معارضة بينه وبين التثنية أصلاً.

****

(١) سورة الملك، الآية: ١.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٦٤.

(٣) سورة يس، الآية: ٧١.

[الصفة الثالثة : "النفس"]

وقوله تعالى إخبارًا عن عيسى عليه السلام أنه قال: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾.

... الشرح....

النفس ثابتة لله تعالى بالكتاب، والسنة، وإجماع السلف.

قال الله تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾(١). وقال عن عيسى أنه قال: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾(٢).

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته". رواه مسلم(٣).

وأجمع السلف على ثبوتها على الوجه اللائق به(٤)، فيجب إثباتها لله من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل.

****

(١) سورة الأنعام، الآية: ٥٤.

(٢) سورة المائدة، الآية: ١١٦.

(٣) (٢٧٢٦) من حديث جويريه رضي الله عنها.

(٤) نقل شيخ الإسلام ابن تيمة أن الجمهور من السلف على أنه المقصود بها الذات، وقيل: صفة للذات وكلاهما صحيح.

الصفة الرابعة: "المجيء".

وقوله سبحانه: ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ ﴾، وقوله تعالى: ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ ﴾.

... الشرح ...

مجيء الله للفصل بين عباده يوم القيامة ثابت بالكتاب، والسنة وإجماع السلف.

قال الله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّك﴾(١). و﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ﴾(٢).

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "حتى إذا لم يبق إلا من يعبد الله أتاهم رب العالمين". متفق عليه.(٣) في حديث طويل.

وأجمع السلف على ثبوت المجيء لله تعالى، فيجب إثباته له من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل، وهو مجيء حقيقي يليق بالله تعالى(٤).

وقد فسره أهل التعطيل بمجيء أمره(٥). ونرد عليهم بما سبق في القاعدة الرابعة.

---

(١) سورة الفجر، الآية: ٢٢.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢١٠.

(٣) متفق علية (خ٧٤٣٩) (م١٨٣) من حديث أبي سعيد وعن أبي هريره رضي الله عنهما (خ ٧٤٣٧) (م١٨٢) .

(٤) قال بن رجب ومن جملة صفات الله عز وجل التي نؤمن بها وتمر كما جاءت عندهم قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّك﴾. ونحو ذلك مما دل على إتيانه ومجيئه يوم القيامة وذلك من أفعال الله تعالى الاختيارية التي يفعلها بمشيئته واختياره ....١.هـ.

(٥) يرد عليهم.

١- سياق الآية في قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّك﴾.

فعطف على مجيء الملائكة وهو حقيقي بلا خلاف مجيء الله عز وجل وهو حقيقي على ظاهره.

٢- دعوى حذف مضمر في قوله: ﴿وَجَاءَ رَبُّك﴾. قالوا: جاء أمر ربك. فأضمر الأمر.

الصفة الخامسة: "الرضا".

وقوله تعالى: ﴿ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾.

... الشرح ...

الرضا من صفات الله الثابتة له بالكتاب والسنة، وإجماع السلف.

قال الله تعالى: ﴿رَضِيَ اللهُ عَنهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾[١].وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها، أو يشرب الشربة فيحمده عليها". رواه مسلم[٢].

وأجمع السلف على إثبات الرضا لله تعالى فيجب إثباته له من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل.

وهو رضا حقيقي يليق بالله تعالى، وقد فسره أهل التعطيل بالثواب[٣]. نرد عليهم بما سبق في القاعدة الرابعة.

وهذه دعوى لا يدل عليها اللفظ ولا السياق لعدم ورود قرينة، ولتمام المعنى دون ذكرها.

٣- في الحديث المتقدم: (أتاهم ربهم فيقول أنا ربكم) فلا يقال إن هذا هو الأمر، كيف يقول أنا ربكم أو الملائكة.

٣- ثم إن الأمر صفة فكيف تأتي الصفة دون الموصوف.

٤- من حديث جابر (يأتيهم الله فيقول أنا ربكم فيقولون لا حتى ننظر إليك فيتجلى لهم يضحك) رواه مسلم، وقد تقدم فهل هذه إلا صفة الرب عز وجل.

(١) سورة البينة، الآية: ٨.

(٢) (م٢٧٣٤) عن أنس رضي الله عنه.

(٣) ويرد عليهم:

[الصفة السادسة: "المحبة"]

وقوله تعالى: ﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾.

...الشرح ...

المحبة من صفات الله الثابتة له بالكتاب، والسنة، وإجماع السلف.

قال الله تعالى: ﴿سَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾(١).

وقال النبي صلى الله عليه وسلم يوم خيبر: "لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله".(٢) متفق عليه.

وأجمع السلف(٣) على ثبوت المحبة لله يُحب، ويُحِب، فيجب إثبات ذلك حقيقة من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل.

١-قوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: (اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك) والاستعاذة لا تكون بمخلوق والثواب مخلوق.

٢-يقال لهم أنتم تثبتون الإرادة فيلزم إثبات الرضى لأن الكلام في بعض الصفات كالكلام في البعض الآخر.

(١) سورة المائدة، الآية: ٥٤.

(٢) (خ ٤٢١٠) (م٢٤٠٦) عن سهل بن سعد رضي الله عنها.

(٣) قال ابن تيمية رحمه الله تعالى: إن الكتاب والسنة وإجماع المسلمين أثبت محبه الله لعباده المؤمنين ومحبتهم له. الفتاوى ٢/ ٣٥٤

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى: جميع طرق الأدلة عقلاً ونقلاً وفطرة وإجماعاً تدل على إثبات محبة العبد لربه والرب لعبده. المدارج ٣/ ١٩.

وهي محبة حقيقية تليق بالله تعالى، وقد فسرها أهل التعطيل بالثواب[1]، والرد عليهم بما سبق في القاعدة الرابعة.

****

(١) ويرد عليهم: ١-بما تقدم في صفة الرضى. ٢-بقوله تعالى: ﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾. فهو عطف وصف حقيقي على وصف حقيقي وصفات الله تعالى كما يليق به وصفة المخلوق كما يليق به.

[الصفة السابعة: "الغضب"]

وقوله تعالى في الكفار: ﴿غَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ﴾.

...الشرح...

الغضب من صفات الله الثابتة له بالكتاب، والسنة، وإجماع السلف.

قال الله تعالى فيمن قتل مؤمناً متعمداً: ﴿وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ﴾[(١)].

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "إن الله كتب كتاباً عنده فوق العرش إن رحمتي تغلب غضبي". متفق عليه[(٢)].

وأجمع السلف على ثبوت الغضب لله فيجب إثباته من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل.

وهو غضب حقيقي يليق بالله، وفسره أهل التعطيل بالانتقام[(٣)]، ونرد عليهم بما سبق في القاعدة الرابعة، وبوجه رابع: أن الله تعالى غاير بين الغضب والانتقام فقال تعالى: ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا﴾ أي أغضبونا ﴿انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾[(٤)]. فجعل الانتقام نتيجة للغضب فدل على أنه غيره.

****

(١) سورة النساء، الآية: ٩٣.

(٢) (خ٧٥٥٤)(٢٧٥١) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) يرد عليهم بالردود العامة وبما سبق.

١-وبقوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم (اللهم أني أعوذ برضاك من سخطك) ولا يستعاذ بمخلوق.

٢-قال ابن القيم رحمه الله تعالى لفظ اللعنة والغضب والمقت مستلزمة للعقوبة، فإذا انتفت حقائق تلك الصفات انتفى لازمها ... مختصر الصواعق / ٢١٦.

(٤) سورة الزخرف، الآية: ٥٥.

[الصفة الثامنة: "السخط"]

وقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللهَ﴾.

...الشرح...

السخط من صفات الله الثابتة بالكتاب، والسنة، وإجماع السلف.

قال الله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللهَ﴾(١).

وكان من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم: "اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك". الحديث رواه مسلم(٢).

وأجمع السلف على ثبوت السخط لله فيجب إثباته له من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل.

وهو سخط حقيقي يليق بالله، وفسره أهل التعطيل بالانتقام(٣). ونرد عليهم بما سبق في القاعدة الرابعة.

****

(١) سورة محمد، الآية: ٢٨.

(٢) (م٤٨٦) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٣) يرد عليهم بما سبق في (الرضى / والغضب).

[الصفة التاسعة: "الكراهة"]

وقوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ كَرِهَ اللهُ انْبِعَاثَهُم﴾.

...الشرح...

الكراهة من الله لمن يستحقها ثابتة بالكتاب، والسنة، وإجماع السلف.

قال الله تعالى: ﴿وَلَكِنْ كَرِهَ اللهُ انْبِعَاثَهُم﴾[(١)].

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "إن الله كره لكم قيل وقال، وكثرة السؤال وإضاعة المال". رواه البخاري[(٢)]. وأجمع السلف على ثبوت ذلك لله فيجب إثباته من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل. وهي كراهة حقيقية من الله تليق به، وفسر أهل التعطيل الكراهة بالإبعاد[(٣)]. و نرد عليهم بما سبق في القاعدة الرابعة.

****

(١) سورة الأنفال، الآية: ٤٦.

(٢) (خ ٥٩٧٥) (م/ الاقضية/ ١٢) عن المغيره رضي الله عنه.

(٣) ونرد عليهم بما سبق في (الغضب).

[ذكر بعض أحاديث الصفات [1]]

[الصفة العاشرة: "النزول"]

ومن السنة[2] قول النبي صلى الله عليه وسلم: "ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة الى سماء الدنيا".

... الشرح...

نزول الله إلى السماء الدنيا من صفاته الثابتة له بالسنة، وإجماع السلف.

قال النبي صلى الله عليه وسلم: "ينزل ربنا إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول: من يدعوني فأستجيب له..." الحديث متفق عليه.[3]

(١) ثنى المؤلف بذكر الأحاديث لأن الشرع مأخوذ من الكتاب والسنة لا يستغنى بأحدهما عن الآخر.

وعقيدة أهل السنة والجماعة أن الحديث إذا صح سنده ومتنه وجب قبوله والإيمان به كما قال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.

قال ابن تيمية رحمه الله تعالى: والسنة تفسر القرآن وتبينة وتدل عليه وتعبر عنه. الواسطية.

(٢) السنة إذا قابلت القرآن فالمراد بها الأحاديث المرفوعة إلى النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

(٣) (خ ١١٤٥) (م صلاة المسافرين / ١٦٨ / ١٧٠) (م٧٥٨) وأحمد (٢ / ٣٣٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

فائدة: روى أحاديث النزول أكثر من عشرين صحابياً.

وأجمع السلف على ثبوت النزول لله فيجب إثباته له من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل وهو نزول حقيقي يليق بالله، وفسره أهل التعطيل بنزول أمره، أو رحمته، أو ملك من ملائكته(١)، ونرد عليهم بما سبق في القاعدة الرابعة.

وبوجه رابع: أن الأمر ونحوه لا يمكن أن يقول: من يدعوني فأستجيب له... إلخ.



---

(١) ويرد عليهم:

-قال الدرامي رحمه الله تعالى: فيقال لهذا المعارض هذا من حجج النساء والصبيان ومن ليس عنده بيان لمذهبه ولا برهان لأن أمر الله ورحمته ينزلان كل وقت وأوآن، فما بال نزوله حُد بالليل دون النهار وشطر الليل أو بالأسحار دون بقيته. الرد على بشر ١/ ٢١٤.

-وقال ابن القيم رحمه الله تعالى: فإن قالوا: يلزم منه الحركة والإنتقال. قلنا: نحن لم نقل ذلك وإنما قاله رسو الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فإنما هذا يلزمه وتصديقه واجب علينا فإن كان تصديقه على ذلك واجب بطل الإلزام ودل على أنكم مشاقون لله تعالى ورسوله.

مختصر الصواعق ٢/ ٤٥٦.

[الصفة الحادية عشرة: "العجب"]

وقوله: "يعجب ربك من الشاب ليست له صبوة".

... الشرح...

العجب من صفات الله الثابتة له بالكتاب، والسنة، وإجماع السلف.

قال الله تعالى: ﴿بَلْ عَجِبْتُ وَيَسْخَرُونَ﴾[١]. على قراءة ضم التاء[٢].

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "يعجب ربك من الشاب ليست له صبوة" رواه أحمد وهو في "المسند" (٤/ ١٥١) عن عقبة بن عامر مرفوعاً وفيه ابن لهيعة[٣].

---

(١) سورة الصافات، الآية: ١٢.

(٢) (على قراءة ضم التاء) وهي قراءة حمزة والكسائي وخلف قال ابن جرير رحمه الله تعالى: والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان مشهورتان في قراء الأمصار فبأيهما قرأ القارئ فمصيب أ.هـ تفسيره ٢١/ ٢٢. وانظر المبسوط في القراءات / ٣٧٥ / وغيرها.

-وقال ابن جرير رحمه الله تعالى: ﴿وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ﴾ عجب الرحمن تبارك وتعالى من تكذيبهم ...أ.هـ.

(٣) الحديث رواه أحمد (٤/ ١٥١) وغيره من حديث عقبة بن عامر مرفوعاً وفي سنده ابن لهيعة وضعفه الشيخ الألباني في ضعيف الجامع .وأخرجه ابن المبارك في الزهد (٣٤٩) عن عقبة موقوفاً وفي سنده رشدين بن سعد ضعيف جداً .

وقال أبو حاتم كما في العلل (٢/ ١١٦) بعد ذكر المرفوع من طريق ابن لهيعة : إنما هو موقوف أ.هـ

قلت والموقوف ضعيف كما ترى وقد روى الأعمش عن إبراهيم نحوه من كلامه، ويغني عنه حديث أبي هريرة في البخاري (٤٨٨٩) ومسلم (٢٠٥٤) (لقد عجب الله من صنيعكما بضيفكما البارحة)

– وحديث (عجب الله من راعي غنم يؤذن للصلاة ...) رواه أبو داوود (٤/ ٧٠) وغيره عن عقبة بن عامر وصححه الشيخان (الجامع الصحيح / ٦/ ٤١٠) صحيح أبي داود.

وأجمع السلف على ثبوت العجب لله فيجب إثباته له من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل ،،، وهو عجب حقيقي يليق بالله، وفسره أهل التعطيل بالمجازاة[١] ونرد عليهم بما سبق في القاعدة الرابعة.

والعجب نوعان:

أحدهما: أن يكون صادراً عن خفاء الأسباب على المتعجب فيندهش له ويستعظمه ويتعجب منه، وهذا النوع مستحيل على الله؛ لأن الله لا يخفى عليه شيء.

الثاني: أن يكون سببه خروج الشيء عن نظائره، أو عما ينبغي أن يكون عليه مع علم المتعجب، وهذا هو الثابت لله تعالى.



(١) يرد عليهم.

١- الذي أثبت لنفسه العلم هو الذي أثبت لنفسه العجب.

٢- الإثبات يكون مما خرج عن نظائره فلا محذور في إثباته.

[الصفة الثانية عشرة: "الضحك"]

وقوله: "يضحك الله إلى رجلين قتل أحدهما الآخر ثم يدخلان الجنة".

...الشرح...

الضحك من صفات الله الثابتة له بالسنة، وإجماع السلف.

قال النبي صلى الله عليه وسلم: "يضحك الله إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر يدخلان الجنة". وتمام الحديث: "يقاتل في سبيل الله فيقتل، ثم يتوب الله على القاتل فيستشهد". متفق عليه(١). وأجمع السلف على إثبات الضحك لله فيجب إثباته له من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل. وهو ضحك حقيقي يليق بالله تعالى، وفسره أهل التعطيل بالثواب(٢).ونرد عليهم بما سبق في القاعدة الرابعة.

****

(١) (خ ٢٨٢٦) (م ١٨٩٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) ويرد عليهم:

١-أن هذا تفسير باللازم وهو منزع كلامي لا سلفي. ٢-الاطراد من علامات الحقيقة.

٣-الذي أنزل على رسوله أنه يضحك سبحانه هو القائل: : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ فلا يلزم من الإثبات التمثيل.

٤-قوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم في حديث جابر (ثم يأتيهم الله عز وجل فيقول أنا ربكم، فيقولون لا حتى ننظر إليك فيتجلى لهم يضحك) رواه مسلم عن جابر رضي الله عنه وقد تقدم . وهو صريح واضح لا مجال لتحريفه.

٥-فهم النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم كما في حديث مسعود أنه ضحك وقال ضحك رسول الله وقال : أضحك من ضحك الله عز وجل) متفق عليه (خ ٦٥٧١) (م ١٨٦).

وهناك ردود أخرى.

فصل

[١٤] فهذا وما أشبهه مما صح سنده وعُدِّلت رواته نؤمن به ولا نرده ولا نجحده(١) ولا نتأوله بتأويل يخالف ظاهره، ولا نشبهه بصفات المخلوقين ولا بسمات المحدثين(٢) ونعلم أن الله سبحانه وتعالى لا شبيه له ولا نظير: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ وكل ما تخيل في الذهن أو خطر بالبال فإن الله تعالى بخلافه(٣).

[الصفة الثالثة عشرة : "الاستواء على العرش"]

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾.

... الشرح ...

استواء الله على العرش من صفاته الثابتة له بالكتاب، والسنة، وإجماع السلف(٤).

قال الله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾(٥). وذكر استواءه على عرشه في سبعة مواضع من القرآن(٦).

(١) الجحود هو الإنكار.

(٢) علامات المخلوقين وصفاتهم.

(٣) (بخلافه) لأن العقل يعجز عن إدراك ذلك لقوله تعالى: ﴿وَلا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً﴾.

(٤) نقلة غير واحد وانظر فتح المجيد صـ ٦٢٥ .

وقال الإمام أحمد رحمه الله تعالى : ونحن نؤمن بأن الله عز وجل على العرش كيف شاء.

فائدة : وللمؤلف رحمه الله تعالى رسالة بعنوان إثبات صفة العلو – أعني لابن قدامة .

(٥) سورة طه، الآية: ٥.

(٦) الأعراف (٥٤) ويونس (٣) والرعد (٢) وطه (٥) والفرقان (٥٩) والسجدة (٤) والحديد (٤) .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "إن الله لما قضى الخلق كتب عنده فوق عرشه إن رحمتي سبقت غضبي" رواه البخاري(١).

وقال النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه أبو داود في "سننه": "إن بعد ما بين سماء إلى سماء إما واحدة أو اثنتان أو ثلاث وسبعون سنة إلى أن قال في العرش: بين أسفله وأعلاه مثل ما بين سماء إلى سماء ثم الله تعالى فوق ذلك" وأخرجه أيضاً الترمذي، وابن ماجه، وفيه علة أجاب عنها ابن القيم رحمه الله في تهذيب سنن أبي داود (ص٩٢ – ٩٣ ج٧)(٢).

وأجمع السلف على إثبات استواء الله على عرشه فيجب إثباته من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل.

وهو استواء حقيقي، معناه: العلو والاستقرار على وجه يليق بالله تعالى.

وقد فسره أهل التعطيل بالاستيلاء(٣). ونرد عليهم بما سبق في القاعدة الرابعة. ونزيد وجهاً رابعاً: أنه لا يعرف في اللغة العربية بهذا المعنى. ووجهاً خامساً: أنه يلزم عليه لوازم باطلة مثل أن العرش لم يكن ملكاً لله ثم استولى عليه بعد.

(١) (خ ٧٥٥٤) (م ٢٧٥١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) رواه أبو داود (٤٧٢٣) والترمذي (٣٣٢٠) وابن ماجة (١٩٣) وأحمد (١/٢٠٦) من حديث العباس رضي الله عنه وغيرهم، وسنده ضعيف جداً وضعفه الذهبي والألباني والأرنؤوط وغيرهم وانظر تخرجه في المسند، والرد على الجهمية (٧٢) لكن جاء عن ابن مسعود موقوفاً عليه بسند حسن: (... والعرش فوق الماء والله فوق العرش) انظر الأسماء الصفات (٨٥١).

(٣) ويرد عليه:

١-لفظ الاستواء مطرد، وعلامة الحقيقة عندكم الاطراد.

٢-هم ينفون عن الله عز وجل العلو ويقولون في كل مكان، وهذا يلزم منه الحلول والاتحاد.

والعرش لغة: السرير الخاص بالملك.

وفي الشرع: العرش العظيم(١) الذي استوى عليه الرحمن جل جلاله، وهو أعلى المخلوقات وأكبرها، وصفه الله بأنه عظيم، وبأنه كريم، وبأنه مجيد.

والكرسي غير العرش(٢)؛ لأن العرش هو ما استوى عليه الله تعالى، والكرسي موضع قدميه لقول ابن عباس رضي الله عنهما: "الكرسي موضع القدمين، والعرش لا يقدر أحد قدره". رواه الحاكم في مستدركه. وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه(٣).



٣-الذين ينكرون العلو حالهم كما هو حال فرعون حيث قال: ﴿ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا ﴾.

٤-أن العباد مفطورون على أن الله عز وجل في علاه.

(١) يؤمن أهل السنة بالعرش وأنه أعلى المخلوقات وأعظمها كما قال تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾. وأن له قوائم كما في حديث أبي هريرة مرفوعاً (فاستفيق فإذا موسى باطش بقوائم العرش) (خ ٣٤١٤) (م ٢٣٧٣) .

وأن له حملة كما قال تعالى: ﴿ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾. ولا نعلم كيفية العرش لعدم ورود الوصف لذلك في الكتاب والسنة.

قال الطحاوي رحمه الله تعالى: والعرش والكرسي حق والله مستغنٍ عن العرش وما دونه. الطحاوية.

(٢) وعليه أهل السنة، وما ذكر عن الحسن البصري قال: هما واحد،لا يصح عنه في سنده جويبر ضعيف، وضعفه ابن كثير (البداية ١/ ١٣) وانظر تفسر ابن كثير / آية الكرسي.

(٣) رواه الحاكم (٢/ ٢٨٢) وابن خزيمة في التوحيد (١٠٧-١٠٨) وغيرهم وحسن سنده الألباني رحمه الله تعالى في كتاب العلو للذهبي ١٢٤ .

[الصفة الرابعة عشرة: "العلو"]

وقوله تعالى: ﴿ أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ﴾ وقول النبي صلى الله عليه وسلم: "ربنا الله الذي في السماء تقدس اسمك".

وقال للجارية: "أين الله؟ قالت في السماء، قال: أعتقها فإنها مؤمنة". رواه مالك بن أنس ومسلم وغيرهما من الأئمة.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم لحصين: كم إلها تعبد؟ قال سبعة ستة في الأرض وواحدا في السماء قال من لرغبتك ورهبتك؟ قال الذي في السماء، قال: فاترك الستة واعبد الذي في السماء وأنا أعلمك دعوتين. فأسلم وعلمه النبي صلى الله عليه وسلم أن يقول اللهم ألهمني رشدي وقني شر نفسي.

وفيما نقل من علامات النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه في الكتب المتقدمة أنهم يسجدون بالأرض ويزعمون أن إلههم في السماء.

وروى أبو داود في سننه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن ما بين سماء الى سماء مسيرة كذا وكذا" وذكر الخبر إلى قوله: "وفوق ذلك العرش والله سبحانه فوق ذلك".

فهذا وما أشبهه مما أجمع السلف رحمهم الله على نقله وقبوله ولم يتعرضوا لرده ولا تأويله ولا تشبيهه ولا تمثيله.

... الشرح ...

العلو من صفات الله[١] الثابتة له بالكتاب والسنة، وإجماع السلف.

قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾[١].

---

(١) والعلو أعم من الاستواء على العرش وشامل له فالله عز وجل في علاه قبل أن يخلق العرش وبعد أن خلقه وبعد أن خلق السماء.

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في صلاته في السجود: "سبحان ربي الأعلى". رواه مسلم من حديث حذيفة(٢).

وأجمع السلف على إثبات العلو لله، فيجب إثباته له من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل، وهو علو حقيقي يليق بالله.

وينقسم إلى قسمين:

علو صفة بمعنى أن صفاته تعالى عليا ليس فيها نقص بوجه من الوجوه ودليله ما سبق.

وعلو ذات بمعنى أن ذاته تعالى فوق جميع مخلوقاته ودليله مع ما سبق:

قوله تعالى: ﴿أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ﴾(٣)، وقول النبي صلى الله عليه وسلم: "ربنا الله الذي في السماء تقدس اسمك...". الحديث رواه أبو داود وفيه زيادة بن محمد، قال البخاري: منكر الحديث(٤).

وقوله صلى الله عليه وسلم للجارية: "أين الله؟" قالت: في السماء. قال: "أعتقها فإنها مؤمنة". رواه مسلم في قصة معاوية بن الحكم(٥).

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥.

(٢) (م ٧٢٢) وغيره.

(٣) سورة الملك، الآية: ١٦.

(٤) رواه أبو داود (٣٨٩٢) وفي سنده زيادة بن محمد منكر الحديث، ورواه أحمد (٦/ ٢١) وفيه ابن أبي مريم واهـ، وضعفه الذهبي الألباني وانظر مستدرك الحاكم محققًا (١/ ٤٨٨) وضعيف الجامع.

(٥) (م ٥٣٧) من حديث معاوية بن الحكم السلمي.

وقوله صلى الله عليه وسلم لحصين بن عبيد الخزاعي والد عمران بن حصين: "اترك الستة، واعبد الذي في السماء" هذا هو اللفظ الذي ذكره المؤلف، وذكره في الإصابة من رواية ابن خزيمة في قصة إسلامه بلفظ غير هذا وفيه إقرار النبي صلى الله عليه وسلم لحصين حين قال: "ستة في الأرض وواحداً في السماء"(١).

وأجمع السلف على ثبوت علو الذات لله وكونه في السماء فيجب إثباته له من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل.

وقد أنكر أهل التعطيل كون الله بذاته في السماء وفسروا معناها أن في السماء ملكه، وسلطانه، ونحوه ونرد عليهم بما سبق في القاعدة الرابعة: وبوجه رابع: أن ملك الله وسلطانه في السماء وفي الأرض أيضاً ، وبوجه خامس: وهو دلالة العقل عليه؛ لأنه صفة كمال. وبوجه سادس: وهو دلالة الفطرة عليه؛ لأن الخلق مفطورون على أن الله في السماء.

معنى كون الله في السماء:

المعنى الصحيح لكون الله في السماء أن الله تعالى على السماء، فـ "في" بمعنى "على"، وليست للظرفية؛ لأن السماء لا تحيط بالله، أو إنه في العلو فالسماء بمعنى العلو وليس المراد بها السماء المبنية.

---

(١) الحديث رواه الترمذي (٣٤٨٣) وفي سنده الحسن البصري مدلس ولم يسمع من عمران، وشبيب بن شيبة ضعيف، وقال الترمذي : هذا حديث غريب. أ.هـ .وأخرجه ابن قدامه في العلو (١٩) وابن خزيمة في التوحيد (١/ ٢٧٧ محقق) وغيرهما مطولاً.

وفي سنده عمران بن خالد ضعيف. وفي سنده أيضاً خالد بن طليق ضعيف، فهو حديث لا يصح، وضعفه الألباني.

* أما الدعاء وإسلام حصين فصحيح من طرق أخرى.

تنبيه: ذكر المؤلف رحمه الله أنه نقل عن بعض الكتب المتقدمة أن من علامات النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه أنهم يسجدون بالأرض ويزعمون أن إلههم في السماء)[1] وهذا النقل غير صحيح؛ لأنه لا سند له، ولأن الإيمان بعلو الله والسجود له لا يختصان بهذه الأمة، وما لا يختص لا يصح أن يكون علامة، ولأن التعبير بالزعم في هذا الأمر ليس بمدح لأن أكثر ما يأتي الزعم فيما يشك فيه.



(١) ورد هذا في أثر ضعيف : ذكر سنده ابن قدامه في العلو (٢١) إلى عدي بن عميرة .
وقال الذهبي في العلو صـ ٢٥ : هذا حديث غريب .قلت : وفي سنده أكثر من ضعيف ومجهول.
ولو صح سنده فهو من الإسرائيلات.

[جواب الإمام مالك رحمه الله تعالى]

سئل الإمام مالك بن أنس رحمه الله فقيل يا أبا عبد الله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ كيف استوى؟ فقال: الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول، والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة. ثم أمر بالرجل فأخرج [(١)].

... الشرح...

جواب الإمام مالك بن أنس بن مالك، وليس أبوه أنس بن مالك الصحابي بل غيره، وكان جد مالك من كبار التابعين وأبو جده من الصحابة. ولد مالك سنة ٩٣هـ بالمدينة ومات فيها سنة ١٧٩هـ وهو في عصر تابعي التابعين.

سئل مالك فقيل: يا أبا عبد الله ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾. كيف استوى؟

فقال رحمه الله: (الاستواء غير مجهول) أي معلوم المعنى، وهو العلو والاستقرار. (والكيف غير معقول) أي كيفية الاستواء غير مدركة بالعقل؛ لأن الله تعالى أعظم وأجل من أن تدرك العقول كيفية صفاته. (والإيمان به) أي الاستواء (واجب) لوروده في الكتاب والسنة. (والسؤال عنه) أي عن الكيف (بدعة)؛ لأن السؤال عنه لم يكن في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه. ثم أمر بالسائل فأخرج من المسجد خوفاً من أن يفتن الناس في عقيدتهم وتعزيراً له بمنعه من مجالس العلم.

****

(١) وسنده صحيح، وانظر اللالكائي (٦٦٤) والأسماء والصفات (٤٠٨) وغيرهما وصححه الألباني.

[فصل كلام الله تعالى]

[الصفة الخامسة عشرة: "الكلام"]

ومن صفات الله تعالى أنه متكلم بكلام قديم(١) يسمعه منه من شاء من خلقه سمعه موسى عليه السلام منه من غير واسطة وسمعه جبريل عليه السلام ومن أذن له من ملائكته ورسله.
وأنه سبحانه يكلم المؤمنين في الآخرة ويكلمونه ويأذن لهم فيزورونه قال الله تعالى: ﴿ وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيماً ﴾ وقال سبحانه: ﴿ قَالَ يَامُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي ﴾، وقال سبحانه: ﴿ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللهُ ﴾ وقال سبحانه: ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ﴾، وقال سبحانه: ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَامُوسَى إِنِّي أَنَا رَبُّكَ﴾، وقال سبحانه: ﴿إِنَّنِي أَنَا اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي ﴾ وغير جائز أن يقول هذا أحد غير الله.

- وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: إذا تكلم الله بالوحي سمع صوته أهل السماء روي ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم(٢).

- وروى عبد الله بن أنيس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "يحشر الله الخلائق يوم القيامة عراة حفاة غرلا بهما فيناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب أنا الملك أنا الديان". رواه الأئمة واستشهد به البخاري(٣).

- وفي بعض الآثار أن موسى عليه السلام ليلة رأى النار فهالته ففزع منها، فناداه ربه يا موسى فأجاب سريعًا استئناسًا بالصوت فقال: لبيك لبيك أسمع صوتك ولا أرى مكانك فأين

---

(١) كان الأولى التعبير بلفظ أزلي أو أوَّلي مكان (قديم) وكلام الله عز وجل صفة له سبحانه فعلية فهو يتكلم متى شاء وذاتيه لأنها لازمة للذات.

(٢) وسيأتي تخريجه.

(٣) وسيأتي في الشرح.

أنت؟ فقال: أنا فوقك وأمامك وعن يمينك وعن شمالك، فعلم أن هذه الصفة لا تنبغي إلا لله تعالى، قال: كذلك أنت يا إلهي أفكلامك أسمع أم كلام رسولك؟ قال: بل كلامي يا موسى[(١)].

... الشرح...

الكلام صفة من صفات الله الثابتة له بالكتاب، والسنة، وإجماع السلف.

قال الله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيماً﴾[(٢)]. ﴿مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللهَ﴾[(٣)].

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "إذا أراد الله أن يوحي بأمره تكلم بالوحي". أخرجه ابن خزيمة وابن جرير وابن أبي حاتم[(٤)].

وأجمع السلف على ثبوت الكلام لله[(١)]، فيجب إثباته له من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل.

---

(١) هذا من الإسرائيلات فلا يعتمد عليه.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٦٤.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٥٣.

(٤) روى عن ابن مسعود موقوفاً بلفظ مقارب لهذا انظر التوحيد لابن خزيمة (١٤٦) وابن جرير (٢٢/ ٩٠) وغيرهما والبخاري في خلق أفعال العباد (٤٦٥ ، ٤٦٦) وغيره وسنده صحيح موقوف. وأما ما جاء من رفعه فقد أعله الدار قطني بالوقف رواه (أبو داود ٤٧٣٨) وغيره. ولكن جاء عن أُبي في صحيح البخاري بمعناه (٤٧٠١) (٤٨٠٠) وهو عند مسلم (٢٢٢٩) عن ابن عباس بمعناه. وأما ابن أبي حاتم فذكر الحافظ في الفتح (١٣ / ٤٥٧) من حديث النواس بن سمعان وهو عند البيهقي في الأسماء والصفات والطبري (١٠/ ٣٧٣) وسنده ضعيف.

وهو كلام حقيقي يليق بالله، يتعلق بمشيئته بحروف وأصوات مسموعة.

والدليل على أنه بمشيئته، قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾(٢). فالتكليم حصل بعد مجيء موسى فدل على أنه تعلق بمشيئته تعالى.

والدليل على أنه حروف، قوله تعالى: ﴿يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا رَبُّكَ﴾(٣). فإن هذه الكلمات حروف وهي كلام الله.

والدليل على أنه بصوت، قوله تعالى:﴿وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيّاً﴾(٤) والنداء والمناجاة لا تكون إلا بصوت.

وروي عن عبد الله بن أنيس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "يحشر الله الخلائق فيناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب: أنا الملك أنا الديان". علقه البخاري بصيغة التمريض، قال في "الفتح": وأخرجه المصنف في "الأدب المفرد" وأحمد، وأبو يعلي في "مسنديهما" وذكر له طريقين آخرين(٥).

---

(١) قال ابن أبي العز رحمه الله تعالى: فأهل السنة كلهم من السلف والخلف متفقون على أن كلام الله غير مخلوق أ.هـ الطحاوية (١٧٦).

وقال ابن تيمية رحمه الله: إن سلف الأمه وأئمتها ... ويصفون الله بما وصف به نفسه من التكلم والمناجاة والمناداة . أ.هـ الفتاوى ٦/ ٥١٨ ، ١٢/ ١٧٣.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٤٣.

(٣) سورة طه، الآيتان: ١١، ١٢.

(٤) سورة مريم، الآية: ٥٢.

(٥) علقه البخاري (١/ ١٧٣) ووصله في الأدب المفرد (٩٧٠) وأحمد (٣/ ٤٩٥) وغيرهما من طريق ابن القاسم عن ابن عقيل عن عبد الله بن أنيس وابن القاسم وابن عقيل ضعيفان وضعفه

وكلام الله تعالى قديم النوع، حادث الآحاد[١].

ومعنى قديم النوع: أن الله لم يزل، ولا يزال متكلماً ليس الكلام حادثاً منه بعد أن لم يكن.

ومعنى حادث الآحاد: أن آحاد كلامه – أي الكلام المعين المخصوص – حادث؛ لأنه متعلق بمشيئته، متى شاء تكلم بها شاء كيف شاء.

المخالفون لأهل السنة في كلام الله تعالى:

خالف أهل السنة في كلام الله طوائف نذكر منها طائفتين:

الطائفة الأولى:

الجهمية، قالوا: ليس الكلام من صفات الله، وإنما هو خلق من مخلوقات الله يخلقه الله في الهواء، أو في المحل الذي يسمع منه، وإضافته إلى الله إضافة خلق، أو تشريف مثل ناقة الله، وبيت الله.

ونرد عليهم بما يلي:

١ – أنه خلاف إجماع السلف.

٢ – أنه خلاف المعقول، لأن الكلام صفة للمتكلم وليس شيئاً قائماً بنفسه منفصلاً عن المتكلم.

الهيثمي .وله طريق أخرى في مسند الشاميين (١٥٦) وسنده ضعيف فيه عبد الرحمن بن ثوبان العنسي فيه كلام، ولم أره في مسند أبي يعلي وحسنه الألباني في الأدب المفرد وعزاه إلى الصحيحة والحديث محتمل للتحسين بمجموع طريقيه، وللحديث شواهد، وضعفه شعيب الأرنؤوط وأصحابه في تحقيق المسند، وأظن هذا التضعيف ناتج عن هوى لا عن علم، لأنه أشعري، وإلا فعلى قواعده يحسن الحديث، والله أعلم.

(١) حادث: متجدد الحصول متى شاء الله عز وجل.

٣- أن موسى سمع الله يقول: ﴿إِنَّنِي أَنَا اللهُ لا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي﴾(١). ومحال أن يقول ذلك أحد إلا الله سبحانه وتعالى.

الطائفة الثانية: الأشعرية، قالوا: كلام الله معنى قائم بنفسه لا يتعلق بمشيئته، وهذه الحروف والأصوات المسموعة مخلوقة للتعبير عن المعنى القائم بنفس الله.

ونرد عليهم بما يلي:

١- أنه خلاف إجماع السلف.

٢- أنه خلاف الأدلة؛ لأنها تدل على أن كلام الله يسمع، ولا يسمع إلا الصوت ولا يسمع المعنى القائم بالنفس.

٣- أنه خلاف المعهود؛ لأن الكلام المعهود هو ما ينطق به المتكلم لا ما يضمره في نفسه.

تعليق على كلام المؤلف في فصل الكلام:

قوله: (متكلم بكلام قديم) يعني قديم النوع حادث الآحاد لا يصلح إلا هذا المعنى على مذهب أهل السنة والجماعة، وإن كان ظاهر كلامه أنه قديم النوع والآحاد.

قوله: (سمعه موسى من غير واسطة) لقوله تعالى: ﴿وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى﴾(٢).

قوله: (وسمعه جبريل) لقوله تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ﴾(٣).

قوله: (ومن أذن له من ملائكته ورسله) أما الملائكة فلقوله صلى الله عليه وسلم: "ولكن ربنا إذا قضى أمراً سبح حملة العرش، ثم يسبح أهل السماء الذين يلونهم حتى يبلغ التسبيح أهل

---

(١) سورة طه، الآية: ١٤.

(٢) سورة طه، الآية: ١٣.

(٣) سورة النحل، الآية: ١٠٢.

السماء الدنيا فيقول الذين يلون حملة العرش لحملة العرش: (مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ)[(١)] فيخبرونهم". الحديث رواه مسلم[(٢)].

وأما الرسل فقد ثبت أن الله كلم محمداً صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج[(٣)].

قوله: (وإنه سبحانه يكلم المؤمنين ويكلمونه) لحديث أبي سعيد الخدري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "يقول الله لأهل الجنة: يا أهل الجنة، فيقولون: لبيك ربنا وسعديك". الحديث متفق عليه[(٤)].

قوله: (ويأذن لهم فيزورونه) لحديث أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن أهل الجنة إذا دخلوا فيها نزلوا بفضل أعمالهم ثم يؤذن لهم في مقدار يوم الجمعة من أيام الدنيا فيزورون ربهم..." الحديث رواه ابن ماجه[(٥)] والترمذي وقال: غريب وضعفه الألباني.

وقوله: (وقال ابن مسعود: "إذا تكلم الله بالوحي سمع صوته أهل السماء" وروي ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم) أثر ابن مسعود لم أجده بهذا اللفظ وذكر ابن خزيمة طرقه في كتاب التوحيد بألفاظ منها: "سمع أهل السموات للسموات صلصلة"، وأما المروي عن النبي صلى الله عليه وسلم، فهو من حديث النواس بن سمعان مرفوعاً "إذا أراد الله أن يوحي بأمره

---

(١) سورة سبأ، الآية: ٢٣.

(٢) (م ٢٢٢٩) من حديث ابن عباس وأبي هريرة (خ ٤٧٠١).

(٣) (خ ٣٢٠٧) (م ١٦٤) من حديث أنس.

(٤) (خ ٧٥١٨) (م ٢٨٥٩).

(٥) (ت ٢٥٤٩) (جه ٤٣٣٦) وهو ضعيف في سنده عبد الحميد بن حبيب ابن أبي العشرين ضعيف.

تكلم بالوحي فإذا تكلم أخذت السماوات منه رجفة، أو قال رعدة شديدة من خوف الله، فإذا سمع ذلك أهل السماوات صعقوا.." الحديث رواه ابن خزيمة وابن أبي حاتم[(١)].

****

(١) تقدم قريباً وأنه لا يصح رفعة وصح موقوفاً بلفظ آخر نحوه.

[فصل القرآن كلام الله]

ومن كلام الله سبحانه القرآن العظيم وهو كتاب الله المبين وحبله المتين وصراطه المستقيم وتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلب سيد المرسلين بلسان عربي مبين منزل غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود .

وهو سور محكمات وآيات بينات وحروف وكلمات من قرأه فأعربه(١) فله بكل حرف عشر حسنات، له أول وآخر وأجزاء وأبعاض متلو بالألسنة محفوظ في الصدور مسموع بالآذان مكتوب في المصاحف فيه محكم ومتشابه وناسخ ومنسوخ وخاص وعام وأمر ونهي: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ وقوله تعالى: ﴿ قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾.

... الشرح...

"القول في القرآن":

القرآن الكريم من كلام الله تعالى، منزل غير مخلوق، منه بدأ، وإليه يعود، فهو كلام الله حروفه ومعانيه. دليل أنه من كلام الله قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللهِ﴾(٢). يعني القرآن. ودليل أنه منزل قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ﴾(٣).

(١) أي فأحسنه .

(٢) سورة التوبة، الآية: ٦.

(٣) سورة الفرقان، الآية: ١ .

ودليل أنه غير مخلوق قوله تعالى: ﴿أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾(١). فجعل الأمر غير الخلق والقرآن من الأمر لقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا﴾(٢)، ﴿ذَلِكَ أَمْرُ اللهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُم﴾(٣). ولأن كلام الله صفة من صفاته وصفاته غير مخلوقة.

ودليل أنه منه بدأ، أن الله أضافه إليه، ولا يضاف الكلام إلا إلى من قاله مبتدئاً.

ودليل أنه إليه يعود أنه ورد في بعض الآثار(٤) أنه يرفع من المصاحف والصدور في آخر الزمان.



(١) سورة الأعراف، الآية: ٥٤.

(٢) سورة الشورى، الآية: ٥٢.

(٣) سورة الطلاق، الآية: ٥.

(٤) أي: الأحاديث جاء من حديث حذيفة رواه (جـه ٤٠٤٩) وغيره وصححه الألباني والوادعي في جامعة وانظر الطحاوية (١٨٧).

[القرآن حروف وكلمات]

وهذا هو الكتاب العربي الذي قال فيه الذين كفروا: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ بِهَٰذَا الْقُرْآنِ﴾، وقال بعضهم: ﴿ إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴾، فقال الله سبحانه: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴾، وقال بعضهم هو شعر فقال الله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ ﴾، فلما نفى الله عنه أنه شعر وأثبته قرآنًا لم يبق شبهة لذي لب في أن القرآن هو هذا الكتاب العربي الذي هو كلمات وحروف وآيات لأن ما ليس كذلك لا يقول أحد إنه شعر.

وقال عز وجل: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾، ولا يجوز أن يتحداهم بالإتيان بمثل ما لا يدرى ما هو ولا يعقل.

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَـذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي﴾ فأثبت أن القرآن هو الآيات التي تتلى عليهم.

وقال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾، وقال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾، بعد أن أقسم على ذلك.

وقال تعالى: ﴿ كهيعص ﴾ ﴿ حم . عسق ﴾ وافتتح تسعًا وعشرين سورة بالحروف المقطعة.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "من قرأ القرآن فأعربه فله بكل حرف منه عشر حسنات ومن قرأه ولحن فيه فله بكل حرف حسنة". حديث صحيح[١].

---

(١) (ضعيف) رواه الطبراني في الأوسط (٧٥٧٠) نحوه، وفي سنده نهشل بن سعيد متروك.

وليس فيه (ومن قرأه ولحن ... الخ)، وأولَّه بلفظ (أعربوا) (المجمع ٧/ ١٦٣).

وأورده ابن قدامه في البرهان (٣٨، ٣٩) بنحوه وهو ضعيف جداً كما تقدم.

وقال عليه الصلاة والسلام: "إقرأوا القرآن قبل أن يأتي قوم يقيمون حروفه إقامة السهم لا يجاوز تراقيهم يتعجلون أجره ولا يتأجلونه".(١)

وقال أبو بكر وعمر رضي الله عنهما: إعراب القرآن أحب إلينا من حفظ بعض حروفه (٢).

وقال علي رضي الله عنه من كفر بحرف منه فقد كفر به كله (٣).

واتفق المسلمون على عد سور القرآن وآياته وكلماته وحروفه.

ولا خلاف بين المسلمين في أن من جحد من القرآن سورة أو آية أو كلمة أو حرفا متفقا عليه أنه كافر وفي هذا حجة قاطعة على أنه حروف.

... الشرح...

القرآن حروف وكلمات، وقد ذكر المؤلف رحمه الله لذلك أدلة ثمانية:

١- أن الكفار قالوا: إنه شعر، ولا يمكن أن يوصف بذلك إلا ما هو حروف وكلمات.

٢- أن الله تحدى المكذبين به أن يأتوا بمثله، ولو لم يكن حروفاً وكلمات لكان التحدي غير مقبول، إذ لا يمكن التحدي إلا بشيء معلوم يدرى ما هو.

وله شاهد عن عمر عند البيهقي في الشعب (٢٢٩٦) وابن عدي في الكامل(٨/ ٢٩٣) وفي سنده نوح بن أبي مريم ضعيف جداً.

(١) رواه أبو داود (٨٣١) وأحمد (٣/ ٣٩٧) وغيرهما من حديث سهل بن سعد، وصححه الشيخ الألباني في صحيح السنن واحتج به الشيخ الوادعي في غارة الأشرطة وغيرها (الصحيحة ٢٥٩).

(٢) إسناده ضعيف جداً كما قاله بدر بن عبد الله صـ ١٨٣ تحقيق اللمعة ضمن مجموعة رسائل، أخرجه ابن الأنباري في الوقف والأبتداء (١/ ٢٠) وفي سنده جابر الجعفي متروك. أ.هـ مختصراً.

(٣) لم أره وقد جاء عن ابن مسعود نحوه عند عبد الرزاق (٨/ ٤٨٢) وسنده صحيح وروى هذا الأثر مرفوعاً ولا يصح (البيهقي ١٠/ ٤٣).

٣- أن الله أخبر بأن القرآن يتلى عليهم: ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ﴾(١). ولا يتلى إلا ما هو حروف وكلمات.

٤- أن الله أخبر بأنه محفوظ في صدور أهل العلم ومكتوب في اللوح المحفوظ: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾(٢). ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ* فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ* لا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾(٣). ولا يحفظ ويكتب إلا ما هو حروف وكلمات.

٥- قول النبي صلى الله عليه وسلم: "من قرأ القرآن فأعربه فله بكل حرف منه عشر حسنات، ومن قرأه ولحن فيه فله بكل حرف حسنة". صححه المؤلف ولم يعزه ولم أجد من خرجه(٤).

٦- قول أبي بكر وعمر: إعراب القرآن أحب إلينا من حفظ بعض حروفه.

٧- قول علي رضي الله عنه: من كفر بحرف منه فقد كفر به كله.

٨- إجماع المسلمين – كما نقله المؤلف – على أن من جحد منه سورة، أو آية، أو كلمة، أو حرفاً متفقاً عليه فهو كافر.

وعدد سور القرآن (١١٤) منها (٢٩) افتتحت بالحروف المقطعة.

أوصاف القرآن:

وصف الله القرآن الكريم بأوصاف عظيمة كثيرة ذكر المؤلف منها ما يلي:

١- أنه كتاب الله المبين، أي: المفصح عما تضمنه من أحكام وأخبار.

---

(١) سورة يونس، الآية: ١٥.

(٢) سورة العنكبوت، الآية: ٤٩.

(٣) سورة الواقعة، الآيات: ٧٧ – ٧٩.

(٤) (ضعيف) تقدم.

٢- أنه حبل الله المتين، أي: العهد القوي الذي جعله الله سبباً للوصول إليه والفوز بكرامته.

٣- أنه سور محكمات، أي: مفصل السور، كل سورة منفردة عن الأخرى، والمحكمات المتقنات المحفوظات من الخلل والتناقض.

٤- أنه آيات بينات، أي علامات ظاهرات على توحيد الله، وكمال صفاته، وحسن تشريعاته.

٥- أن فيه محكماً ومتشابهاً، فالمحكم: ما كان معناه واضحاً، والمتشابه: ما كان معناه خفياً.

ولا يعارض هذا ما سبق برقم (٣) لأن الإحكام هناك بمعنى الإتقان والحفظ من الخلل والتناقض، وهنا بمعنى وضوح المعنى، وإذا رددنا المتشابه هنا إلى المحكم صار الجميع محكماً.

٦- أنه حق لا يمكن أن يأتيه الباطل من أي جهة ﴿لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾(١).

٧- أنه بريء مما وصفه به المكذبون به من قولهم: إنه شعر؛ ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ﴾(٢)، وقول بعضهم: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ﴾(٣). ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾(٤). فقال الله متوعداً هذا القائل: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾(٥).

٨- أنه معجزة لا يمكن لأحد أن يأتي بمثله وإن عاونه غيره ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾(٦).

---

(١) سورة فصلت، الآية: ٤٢.

(٢) سورة يس، الآية: ٦٩.

(٣) سورة المدثر، الآيتان: ٢٤.

(٤) سورة المدثر، الآية: ٢٥.

(٥) سورة المدثر، الآية: ٢٦.

(٦) سورة الإسراء، الآية: ٨٨.

[فصل في رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة]

والمؤمنون يرون ربهم في الآخرة بأبصارهم ويزورونه ويكلمهم ويكلمونه قال الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾، وقال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾.

فلما حجب أولئك في حال السخط دل على أن المؤمنين يرونه في حال الرضى وإلا لم يكن بينهما فرق.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "إنكم ترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته". حديث صحيح متفق عليه(١)،

وهذا تشبيه للرؤية بالرؤية لا للمرئي بالمرئي فإن الله تعالى لا شبيه له ولا نظير.

... الشرح...

"رؤية الله في الآخرة":

رؤية الله في الدنيا مستحيلة(٢) لقوله تعالى لموسى وقد طلب رؤية الله: ﴿لَنْ تَرَانِي﴾(٣).

ورؤية الله في الآخرة ثابتة بالكتاب، والسنة، وإجماع السلف(٤).

---

(١) (خ ٥٧٣) (م ٦٣٣) عن جرير رضي الله عنه .

(٢) لقوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم (إنكم لن ترو ربكم حتى تموتوا) رواه مسلم (١٦٩) عن رجل من الصحابة رضي الله عنهم. وأدعت الصوفية أنهم يرون الله عز وجل في الدنيا بالمكاشفات، وهو قول باطل للأدلة المتقدمة . الفتاوى ٢/ ٣٣٦. التنبيهات/ ١٥٧ .

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٤٣ .

(٤) قال ابن كثير رحمه الله تعالى : وهذا بحمد الله مجمع عليه بين الصحابة والتابعين وسلف الأمة كما هو متفق علية بين أئمة الإسلام وهداة الأنام وقد ثبتت رؤية الله عز وجل في الدار الآخر ة في الأحاديث المتواترة عند أئمة الحديث لا يمكن دفعها ولا منعها . أ.هـ . تفسير ابن كثير.

قال الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ* إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾(١). وقال: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾(٢).

فلما حجب الفجار عن رؤيته دل على أن الأبرار يرونه وإلا لم يكن بينهما فرق(٣).

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "إنكم سترون ربكم كما ترون القمر لا تضامون في رؤيته" متفق عليه. وهذا التشبيه للرؤية بالرؤية لا للمرئي بالمرئي؛ لأن الله ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾، ولا شبيه له ولا نظير.

وأجمع السلف على رؤية المؤمنين لله تعالى دون الكفار بدليل الآية الثانية.

يرون الله تعالى في عرصات القيامة وبعد دخول الجنة كما يشاء الله تعالى.

وهي رؤية حقيقية تليق بالله، وفسرها أهل التعطيل(٤) بأن المراد بها رؤية ثواب الله، أو أن المراد بها رؤية العلم واليقين.

وقال ابن تيمية رحمه الله تعالى: اتفق على الرؤية جميع الأنبياء ...أ.هـ الفتاوى ٦/ ٤٨٥.

(١) سورة القيامة، الآيتان: ٢٢، ٢٣.

(٢) سورة المطففين، الآية: ١٥.

(٣) اختلف السلف هل يرى الكفار ربهم والراجح أنهم لا يرونه للآية المتقدمة، ودليله أنهم يوردون إلى النار قبل أن يكشف ربنا الحجاب عن وجهه كما في حديث جابر في مسلم.

وقد ألف ابن تيميه رسالة في ذلك لأهل البحرين، وهو قول الجمهور. الفتاوى ٦/ ٤٦٦.

(٤) الجهمية والمعتزلة نفوها وقالوا لأنه مستحيل وذكروا لهم شبهاً.

والرد عليهم:

١-قوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم في حديث جابر (فيتجلى لهم يضحك) فهذا صريح، ولا يقال إن الثواب يضحك.

ونرد عليهم باعتبار التأويل الأول بما سبق في القاعدة الرابعة، وباعتبار التأويل الثاني بذلك وبوجه رابع: أن العلم واليقين حاصل للأبرار في الدنيا وسيحصل للفجار في الآخرة.

****

٢-قوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم (وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه).فالرداء والكبرياء ليست من صفات الثواب.

٣-وقال ابن القيم رحمه الله تعالى: ثبت بالعقل والشرع إمكان رؤية الله عز وجل فإن الرؤية أمر وجودي لا يتعلق إلا بموجود وما كان أكمل وجوداً كان أحق أن يرى ... أ.هـ

مختصر الصواعق ,١٧٢

٤-أن رسول الله لما سئل هل نرى ربنا ؟ قال: (نعم كما ترون هذا القمر) فلم يترك تفسير الرؤية لأحد. الرد على بشر ١/ ١٩٦- ,٢٠٩

٥-قوله تعالى: ﴿لَنْ تَرَانِي﴾ أي في الدنيا ولهذا لم ينكر عليه سؤال الرؤية بل أقره.

٦-قوله: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ ﴾ أي: لا تحيط به مع رؤيتها له.

٧-سؤال بني إسرائيل الرؤية: ﴿ أَرِنَا اللهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ﴾؛ لأنه سؤال تعنت فأنكر الله عليهم كما قال تعالى: ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ﴾ أي: سؤال تعنت وتكذيب وإلا فنزول الآية حاصل.

ولهم شبه أخرى.

* الأشاعرة يثبتون الرؤية وينكرون العلو ويقولون يرونه بلا مواجهة . أ.هـ.

وهذا تناقض واضح وقول باطل، قال ابن القيم رحمه الله تعالى: (وقد ضحك العقلاء منهم).

مختصر الصواعق / ١٧٢.

وقال الطحاوي رحمه الله تعالى: من قال إن الله يرى بلا جهة فليراجع عقلة. أ.هـ ٢١١

فالله تعالى يرى في جهة العلو.

[فصل في القضاء والقدر]

ومن صفات الله تعالى أنه الفعال لما يريد لا يكون شيء إلا بإرادته[١] ولا يخرج شيء عن مشيئته[٢] وليس في العالم شيء يخرج عن تقديره ولا يصدر إلا عن تدبيره ولا محيد لأحدٍ عن القدر المقدور، ولا يتجاوز ما خط في اللوح المسطور.

أراد ما العالم فاعلوه ولو عصمهم لما خالفوه ولو شاء أن يطيعوه جميعا لأطاعوه خلق الخلق وأفعالهم وقدر أرزاقهم وآجالهم يهدي من يشاء بحكمته، قال الله تعالى: ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ قال الله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾، وقال تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾ وقال تعالى: ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا﴾ وقال تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾.

وروى ابن عمر أن جبريل عليه السلام قال للنبي صلى الله عليه وسلم: ما الإيمان؟ قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره فقال جبريل صدقت. رواه مسلم(٣) .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم آمنت بالقدر خيره وشره وحلوه ومره(١).

---

(١) إرادته الكونية.

(٢) قال ابن القيم رحمه الله تعالى : المشيئة مرادفه للإدارة الكونية لا تنقسم أ.هـ شفاء العليل.

(٣) رواه مسلم (٨) عن عمر. وأما حديث ابن عمر فعند الطبراني وسنده ضعيف، و في متنه أوهام كما سيأتي وهو في مسلم عن ابن عمر عن عمر .وجاء من حديث أبي هريرة في الصحيحين وليس فيه ذكر القدر.

ومن دعاء النبي صلى الله عليه وسلم الذي علمه الحسن بن علي يدعو به في قنوت الوتر:

(وقني شر ما قضيت)(٢).

...الشرح...

من صفات الله تعالى أنه الفعال لما يريد كما قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾(٣). فلا يخرج شيء عن إرادته وسلطانه، ولا يصدر شيء إلا بتقديره وتدبيره، بيده ملكوت السماوات والأرض، يهدي من يشاء برحمته ويضل من يشاء بحكمته، لا يسال عما يفعل لكمال حكمته، وسلطانه، وهم يسألون، لأنهم مربوبون محكومون.

والإيمان بالقدر واجب، وهو أحد أركان الإيمان الستة؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم: "الإيمان أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خير وشره" رواه مسلم وغيره، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "آمنت بالقدر خيره وشره، حلوه، ومره". فالخير والشر باعتبار العاقبة، والحلاوة والمرارة باعتبار وقت إصابته. وخير القدر ما كان نافعاً وشره ما كان ضاراً أو مؤذياً.

(١) رواه الحاكم في معرفة علوم الحديث صـ٣٢ من حديث أنس وسنده ضعيف جداً وجاء بمعناه عند الطبراني من حديث ابن عمر كما تقدم آنفاً وهذه الزياده منكرة فيه (حلوه ومره)

(طب ١٢/ ١٣٥٨١) وفي سنده المطلب من زياد الثفقي له غرائب وأوهام وقد خالف أوثق منه.

(٢) رواه أبو داود (١٤٢٥ ، ١٤٢٦) عن الحسن رضي الله عنه (وغيره وسنده صحيح وصححه الشيخان الشيخ الألباني.

في صحيح السنن والإرواء (٤٢٩) والشيخ مقبل في الجامع (١/ ٢٨).

(٣) سورة هود، الآية: ١٠٧.

والخير والشر هو بالنسبة للمقدور وعاقبته، فإن منه ما يكون خيراً كالطاعات، والصحة، والغنى، ومنه ما يكون شراً كالمعاصي، والمرض، والفقر، أما بالنسبة لفعل الله فلا يقال: إنه شر لقول النبي صلى الله عليه وسلم في دعاء القنوت الذي علمه الحسن بن علي "وقني شر ما قضيت"، فأضاف الشر إلى ما قضاه لا إلى قضائه.

والإيمان بالقدر لا يتم إلا بأربعة أمور:

الأول: الإيمان بأن الله عالم كل ما يكون جملة وتفصيلاً بعلم سابق؛ لقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ﴾(١).

الثاني: أن الله كتب في اللوح المحفوظ مقادير كل شيء لقوله تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا﴾(٢). أي نخلق الخليقة، ولقوله صلى الله عليه وسلم: "إن الله قدر مقادير الخلق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة" رواه مسلم(٢٦٣٥).

الثالث: أنه لا يكون شيء في السماوات والأرض إلا بإرادة الله ومشيئته الدائرة بين الرحمة والحكمة، يهدي من يشاء برحمته، ويضل من يشاء بحكمته، لا يسأل عما يفعل لكمال حكمته وسلطانه، وهم يسألون، وما وقع من ذلك فإنه مطابق لعلمه السابق ولما كتبه في اللوح المحفوظ؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾(٣).

---

(١) سورة الحج، الآية: ٧٠.

(٢) سورة الحديد، الآية: ٢٢.

(٣) سورة القمر، الآية: ٤٩.

﴿فَمَنْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً﴾(١). فأثبت وقوع الهداية والضلال بإرادته.

الرابع: أن كل شيء في السماوات والأرض مخلوق لله تعالى، لا خالق غيره ولا رب سواه؛ لقوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً﴾(٢). وقال على لسان إبراهيم: ﴿وَاللهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾(٣).



(١) سورة الأنعام، الآية: ١٢٥.

(٢) سورة الفرقان، الآية: ٢.

(٣) سورة الصافات، الآية: ٩٦.

[القدر ليس حجة للعاصي على فعل المعصية]

ولا نجعل قضاء الله وقدره حجة لنا في ترك أوامره واجتناب نواهيه، بل يجب أن نؤمن ونعلم أن لله علينا الحجة بإنزال الكتب وبعثة الرسل، قال الله تعالى: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾.

... الشرح...

أفعال العباد كلها من طاعات ومعاصي كلها مخلوقة لله كما سبق، ولكن ليس ذلك حجة للعاصي على فعل المعصية، وذلك لأدلة كثيرة منها:

١- أن الله أضاف عمل العبد إليه وجعله كسباً له فقال: ﴿الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾(١). ولو لم يكن له اختيار في الفعل وقدرة عليه ما نسب إليه.

٢- أن الله أمر العبد ونهاه، ولم يكلفه إلا ما يستطيع؛ لقوله تعالى: ﴿لا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا﴾(٢). ﴿فَاتَّقُوا اللهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾(٣). ولو كان مجبوراً على العمل ما كان مستطيعاً على الفعل، أو الكف؛ لأن المجبور لا يستطيع التخلص.

٣- أن كل واحد يعلم الفرق بين العمل الاختياري والإجباري، وأن الأول يستطيع التخلص منه.

٤- أن العاصي قبل أن يقدم على المعصية لا يدري ما قدر له، وهو باستطاعته أن يفعل أو يترك، فكيف يسلك الطريق الخطأ ويحتج بالقدر المجهول؟! أليس من الأحرى أن يسلك الطريق الصحيح ويقول: هذا ما قدر لي؟!

---

(١) سورة غافر، الآية: ١٧.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٨٦.

(٣) سورة التغابن، الآية: ١٦.

٥- أن الله أخبر أنه أرسل الرسل لقطع الحجة: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾(١). ولو كان القدر حجة للعاصي لم تنقطع بإرسال الرسل.

****

(١) سورة النساء، الآية: ١٦٥.

التوفيق بين كون فعل العبد مخلوقاً لله وكونه كسباً للفاعل:

ونعلم أن الله سبحانه وتعالى ما أمر ونهى إلا المستطيع للفعل والترك وأنه لم يجبر أحدا على معصية ولا اضطره الى ترك طاعة وقال الله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾، وقال تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللهَ مَا اسْتَطَعْتُم﴾ وقال تعالى: ﴿الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ﴾. فدل على أن للعبد فعلا وكسبًا يجزى على حسنه بالثواب وعلى سيئه بالعقاب وهو واقع بقضاء الله وقدره.

... الشرح...

عرفت مما سبق أن فعل العبد مخلوق لله، وأنه كسب للعبد يجازي عليه الحسن بأحسن، والسيئ بمثله فكيف نوفق بينهما؟

التوفيق بينهما أن وجه كون فعل العبد مخلوقاً لله تعالى أمران:

الأول: أن فعل العبد من صفاته، والعبد وصفاته مخلوقان لله تعالى.

الثاني: أن فعل العبد صادر عن إرادة قلبية وقدرة بدنية، ولولاهما لم يكن فعل، والذي خلق هذه الإرادة والقدرة هو الله تعالى، وخالق السبب خالق للمسبب، فنسبة فعل العبد إلى خلق الله له نسبة مسبب إلى سبب، لا نسبة مباشرة؛ لأن المباشر حقيقة هو العبد، فلذلك نسب الفعل إليه كسباً وتحصيلاً، ونسب إلى الله خلقاً وتقديراً، فلكل من النسبتين اعتبار والله أعلم.

المخالفون للحق في القضاء والقدر والرد عليهم:

المخالفون للحق في القضاء والقدر طائفتان:

الطائفة الأولى: الجبرية. يقولون: العبد مجبور على فعله وليس له اختيار في ذلك.

ونرد عليهم بأمرين:

١- أن الله أضاف عمل الإنسان إليه وجعله كسباً له يعاقب ويثاب بحسبه، ولو كان مجبوراً عليه ما صح نسبته إليه ولكان عقابه عليه ظلماً.

٢- أن كل واحد يعرف الفرق بين الفعل الاختيار والاضطراري في الحقيقة والحكم، فلو اعتدى شخص على آخر وأدعى أنه مجبور على ذلك بقضاء الله وقدره لعد ذلك سفهاً مخالفاً للمعلوم بالضرورة.

الطائفة الثانية: القدرية. يقولون: العبد مستقل بعمله ليس لله فيه إرادة، ولا قدرة، ولا خلق

ونرد عليهم بأمرين:

١- أنه مخالف لقوله تعالى: ﴿اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾[١]. ﴿وَاللهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾[٢].

٢- أن الله مالك السماوات والأرض فكيف يكون في ملكه ما لا تتعلق به إرادته وخلقه؟!

أقسام الإرادة والفرق بينهما:

إرادة الله تنقسم على قسمين كونية وشرعية:

فالكونية: هي التي بمعنى المشيئة كقوله تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً﴾[٣].

(١) سورة الزمر، الآية: ٦٢.

(٢) سورة الصافات، الآية: ٩٦.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٢٥.

والشرعية: هي التي بمعنى المحبة، كقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾(١).

والفرق بينهما أن الكونية يلزم فيها وقوع المراد ولا يلزم أن يكون محبوباً لله، وأما الشرعية فيلزم أن يكون المراد فيها محبوباً لله ولا يلزم وقوعه.

****

(١) سورة النساء، الآية: ٢٧.

[فصل الإيمان . قول وعمل]

الإيمان قول وعمل والإيمان قول باللسان وعمل بالأركان وعقد بالجنان يزيد بالطاعة وينقص بالعصيان.

قال الله تعالى: ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ فجعل عبادة الله تعالى وإخلاص القلب وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة كله من الدين.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها شهادة أن لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق".

فجعل القول والعمل من الإيمان وقال تعالى: ﴿فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾، وقال: ﴿ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا ﴾ ﴿لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا﴾.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه مثقال برة أو خردلة أو ذرة من الإيمان " فجعله متفاضلاً.

... الشرح...

الإيمان:

الإيمان لغة: التصديق(١).

واصطلاحاً: قول باللسان وعمل بالأركان وعقد بالجنان.

مثال القول: لا إله إلا الله.

ومثال العمل: الركوع.

---

(١) ذكر شيخ ابن تيمية من عدة وجوه أن الصواب: الإقرار مع التصديق.

انظر الفتاوى (٧/ ١٢٢).

ومثال العقد: الإيمان بالله وملائكته وغير ذلك مما يجب اعتقاده.

والدليل على أن هذا هو الإيمان قوله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾(١). فجعل الإخلاص، والصلاة، والزكاة من الدين.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "الإيمان بضع وسبعون شعبة، أعلاها شهادة أن لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق" رواه مسلم بلفظ "فأفضلها قول لا إله إلا الله" وأصله في الصحيحين(٢).

والإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية؛ لقوله تعالى: ﴿فَزَادَهُمْ إِيمَاناً﴾(٣). ﴿لِيَزْدَادُوا إِيمَاناً مَعَ إِيمَانِهِم﴾(٤).

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله وفي قلبه مثقال برة، أو خردلة، أو ذرة من إيمان" رواه البخاري بنحوه(٥). فجعله النبي صلى الله عليه وسلم متفاضلاً، وإذا ثبتت زيادته ثبت نقصه؛ لأن من لازم الزيادة أن يكون المزيد عليه ناقصاً عن الزائد.

---

(١) سورة البينة، الآية: ٥.

(٢) (خ ٩) (م٣٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٧٣.

(٤) سورة الفتح، الآية: ٤.

(٥) (خ ٤٤) (م ١٩٣) عن أنس رضي الله عنه.

[فصل الإيمان بكل ما أخبر به الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)]

ويجب الإيمان بكل ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم وصح به النقل عنه فيما شاهدناه أو غاب عنا نعلم أنه حق وصدق وسواء في ذلك ما عقلناه وجهلناه[١] ولم نطلع على حقيقة معناه مثل حديث الإسراء والمعراج وكان يقظة لا مناما فإن قريشا أنكرته وأكبرته ولم تنكر المنامات.

ومن ذلك أن ملك الموت لما جاء إلى موسى عليه السلام ليقبض روحه لطمه ففقأ عينه فرجع إلى ربه فرد عليه.

... الشرح ...

فصل في السمعيات

السمعيات كل ما ثبت بالسمع أي بطريق الشرع ولم يكن للعقل فيها مدخل، وكل ما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم من أخبار فهي بحق يجب تصديقه سواء شاهدناه بحواسنا، أو غاب عنا، وسواء أدركناه بعقولنا أم لم ندركه لقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾[٢]. وقد ذكر المؤلف من ذلك أموراً:

الأمر الأول: الإسراء والمعراج[٣].

الإسراء لغة: السير بالشخص ليلاً. وقيل بمعنى سرى.

وشرعاً: سير جبريل بالنبي صلى الله عليه وسلم من مكة إلى بيت المقدس؛ لقوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى﴾[١].

---

(١) أي جهلنا كيفيته .

(٢) سورة البقرة، الآية: ١١٩ .

(٣) ولا يعلم كيفيته على التفصيل إلا الله عز وجل.

والمعراج لغة: الآلة التي يعرج بها وهي المصعد.

وشرعاً: السلم الذي عرج به رسول الله صلى الله عليه وسلم. من الأرض إلى السماء لقوله تعالى: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى* مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى﴾(٢). إلى قوله: ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾(٣). وكانا في ليلة واحدة عند الجمهور، وللعلماء خلاف متى كانت؟ فيروى بسند منقطع عن ابن عباس وجابر رضي الله عنهم أنها ليلة الاثنين الثاني عشر من ربيع الأول ولم يعينا السنة، رواه ابن أبي شيبة(٤).

ويروى عن الزهري وعروة أنها قبل الهجرة بسنة. رواه البيهقي.

فتكون في ربيع الأول، ولم يعينا الليلة، وقاله ابن سعد وغيره وجزم به النووي.

ويروى عن السدي أنها قبل الهجرة بستة عشر شهراً. رواه الحاكم. فتكون في ذي القعدة.

وقيل: قبل الهجرة بثلاث سنين. وقيل: بخمس. وقيل: بست.

وكان يقظة لا مناماً، لأن قريشاً أكبرته وأنكرته، ولو كان مناماً لم تنكره لأنها لا تنكر المنامات.

وقصته: أن جبريل أمره الله أن يسري بالنبي صلى الله عليه وسلم إلى بيت المقدس على البراق، ثم يعرج به إلى السماوات العلى سماء، سماء، حتى بلغ مكاناً سمع فيه صريف الأقلام، وفرض الله عليه الصلوات الخمس، واطلع على الجنة والنار، واتصل بالأنبياء الكرام، وصلى بهم

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ١.

(٢) سورة النجم، الآيتان: ١ – ٢.

(٣) سورة النجم، الآية: ١٨.

(٤) انظر هذا الآثار وزيادة في تفسير سورة الإسراء لابن كثير والطبري.

إماماً، ثم رجع إلى مكة فحدث الناس بما رأى فكذبه الكافرون، وصدق به المؤمنون وتردد فيه آخرون[١].

الأمر الثاني: مجيء ملك الموت إلى موسى:

جاء ملك الموت بصورة إنسان إلى نبي الله موسى عليه الصلاة والسلام ليقبض روحه، فلطمه موسى ففقأ عينه، فرجع الملك إلى الله وقال: "أرسلتني إلى عبد لا يريد الموت" فرد الله عليه عينه وقال: "ارجع إليه، وقل له يضع يد على

متن ثور فله بما غطى يده بكل شعرة سنة" فقال موسى: ثم ماذا؟

قال: ثم الموت قال: فالآن. فسأل الله أن يدنيه من الأرض المقدسة رمية حجر،

قال النبي صلى الله عليه وسلم: "فلو كنت ثم لأريتكم قبره إلى جانب الطريق عند الكثيب الأحمر". وهذا الحديث ثابت في الصحيحين [٢]وإنما أثبته المؤلف في العقيدة لأن بعض المبتدعة أنكره[٣] معللاً ذلك بأنه يمتنع أن موسى يلطم الملك. ونرد عليهم: بأن الملك أتى موسى بصورة إنسان لا يعرف موسى من هو؟ يطلب منه نفسه، فمقتضى الطبيعة البشرية أن

---

(١) (خ ٣٢٠٧) (م ١٦٤) عن أنس عن مالك بن صعصعة وجاء حديث الإسراء عن عدة من الصحابة. والجمهور على أنه أسرى بروحه وجسده معاً لقوله (بعبده) ولفظ العبد تشمل الروح والجسد. الطحاوية / ٢٧٦.

وكان قبل الهجرة ولا يعلم في أي عام وأي يوم بالتحديد ولم يتكرر على الصحيح.

(٢) (خ ٣٤٠٧) (م ٢٣٧٢) عن أبي هريرة.

(٣) وهم العقيلانيون من المعتزله وأتباعهم قال ابن خزيمه رحمه الله تعالى: أنكره بعض المبتدعة. وبعث ملك الموت إلى موسى حقيقة. وكون موسى لطمه دفعاً عن نفسه وقيل غير ذلك وهذه الأخبار لا يسع المسلم فيها إلا التصديق.

يدافع المطلوب عن نفسه، ولو علم موسى أنه ملك لم يلطمه، ولذلك استسلم له في المرة الثانية حين جاء بما يدل أنه من عند الله، وهو إعطاؤه مهلة من السنين بقدر ما تحت يده من شعر ثورة.



[الأمر الثالث: أشراط الساعة]

ومن ذلك أشراط الساعة مثل: خروج الدجال ونزول عيسى ابن مريم عليه السلام فيقتله، وخروج يأجوج ومأجوج وخروج الدابة وطلوع الشمس من مغربها، وأشباه ذلك مما صح به النقل[١].

... الشرح...

الأشراط جمع شرط وهو لغة العلامة. والساعة لغة الوقت أو الحاضر منه.. والمراد بها هنا: القيامة. فأشراط الساعة شرعاً العلامات الدالة على قرب يوم القيامة قال الله تعالى: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾[٢]. وذكر المؤلف من أشراط الساعة ما يأتي:

١- (خروج الدجال) وهو لغة صيغة مبالغة من الدجل، وهو الكذب والتمويه.

وشرعاً: رجل مموه يخرج في آخر الزمان يدعي الربوبية. وخروجه ثابت بالسنة، والإجماع.

قال النبي صلى الله عليه وسلم: "قولوا اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم، وأعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات" رواه مسلم[٣]. وكان النبي صلى الله عليه وسلم يتعوذ منه في الصلاة. متفق عليه[٤].وأجمع المسلمون على خروجه.

(١) وقد جمع العلماء ذلك في كتب مستقله كالنهاية لابن كثير مجلدين وغيرها.

(٢) سورة محمد، الآية: ١٨.

(٣) (م ٥٩٠) عن ابن عباس.

(٤) (خ ٨٣٢) (م ٥٨٩) من حديث عائشة وغيرها.

وقصته[١] أنه يخرج من طريق بين الشام والعراق، فيدعو الناس إلى عبادته فأكثر من يتبعه اليهود والنساء والأعراب. ويتبعه سبعون ألفاً من يهود أصفهان، فيسير في الأرض كلها كالغيث استدبرته الريح، إلا مكة والمدينة فمنع منهما، ومدته أربعون يوماً، يوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كجمعة، وباقي أيامه كالعادة، وهو أعور العين مكتوب بين عينيه (ك ف ر) يقرؤه المؤمن فقط، وله فتنة عظيمة منها أنه يأمر السماء فتمطر والأرض فتنبت، معه جنة ونار، فجنته نار، وناره جنة. حذر منه النبي صلى الله عليه وسلم، وقال: "من سمع به فلينأ عنه، ومن أدركه فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف، أو بفواتح سورة الكهف[٢]".

٢- (نزول عيسى ابن مريم): نزول عيسى ابن مريم ثابت بالكتاب، والسنة، وإجماع المسلمين.

قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾[٣]. أي: موت عيسى، هذا حين نزوله كما فسره أبو هريرة بذلك.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "والله لينزلن عيسى ابن مريم حكماً وعدلاً". الحديث متفق عليه[٤].

---

(١) أي الدجال (م٢٩٣٧) عن النواس رضي الله عنه. (خ ١٨٨٢) (م ٢٩٣٨) عن أبي سعيد رضى الله عنه وعن جمع الصحابة نحو ثلاثين وللشيخ الألباني رسالة في ذلك.

(٢) (م ٢٩٣٧) من حديث النواس بن سمعان والدجال موجود الآن وأنكره الخوارج ومن إليهم من العقلانيين وهذا ضلال منهم وجهل بالدين.

(٣) سورة النساء، الآية: ١٥٩.

(٤) (خ ٢٢٢٢) (م ١٥٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وقد أجمع المسلمون على نزوله، فينزل عند المنارة البيضاء في شرقي دمشق، واضعاً كفيه على أجنحة ملكين، فلا يحل لكافر يجد من ريح نفسه إلا مات، ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه، فيطلب الدجال حتى يدركه بباب لد فيقتله، ويكسر الصليب، ويضع الجزية، وتكون السجدة واحدة لله رب العالمين ويحج ويعتمر، كل هذا ثابت في صحيح مسلم(١) وبعضه في الصحيحين كليهما(٢). وروى الإمام أحمد وأبو داود أن عيسى يبقى بعد قتل الدجال أربعين سنة ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون(٣). وذكر البخاري في تاريخه أنه يدفن مع النبي صلى الله عليه وسلم(٤)، والله أعلم.

٣- (يأجوج ومأجوج) اسمان أعجميان، أو عربيان مشتقان من المأج وهو الاضطراب، أو من أجيج النار وتلهبها.

وهما أمتان من بني آدم موجودتان بدليل الكتاب، والسنة.

قال الله تعالى في قصة ذي القرنين: ﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْماً لا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلاً* قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجاً عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدّاً﴾(٥). الآيات.

---

(١) (م ٢٩٣٧) عن النواس رضي الله عنه.

(٢) (خ ٣٤٤٨) (مسلم ١٥٥) عن أبي هريرة رضى الله عنه.

(٣) (أحمد / ٤/ ٦) (أبو داود ٤٣٢٤)وغيرهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه صححه الشيخ الألباني (الصحيحة / ٢١٨٢).

(٤) (١/ ٢٦٣) والترمذي (٣٦١٧) وغيرهما وقال البخاري: لا يصح ، وقال الحافظ : لا يثبت.

(٥) سورة الكهف، الآيتان: ٩٣، ٩٤.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "يقول الله يوم القيامة: يا آدم، قم فابعث بعث النار من ذريتك"، إلى أن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أبشروا فإن منكم واحداً ومن يأجوج ومأجوج ألفاً" أخرجاه في الصحيحين(١).

وخروجهم الذي يكون من أشراط الساعة لم يأت بعد، ولكن بوادره وجدت في عهد النبي صلى الله عليه وسلم فقد ثبت في الصحيحين(٢) أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه، وحلق بإصبعه الإبهام والتي تليها".

وقد ثبت خروجهم في الكتاب والسنة.

قال الله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ* وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ﴾(٣). وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "إنها لن تقوم الساعة حتى تروا قبلها عشر آيات". فذكر: الدخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى ابن مريم، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوفات خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم. رواه مسلم(٤)،

وقصتهم في حديث النواس بن سمعان أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في عيسى ابن مريم بعد قتله الدجال: "فبينما هو كذلك إذ أوحى الله إلى عيسى أني قد أخرجت عباداً لي لا يدان لأحد بقتالهم فحرز عبادي إلى الطور. ويبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها، ويمر آخرهم ويقول: لقد كان بهذه

(١) (خ ٦٥٢٩/ ٦٥٣٠) (م ٢٢٢) عن أبي سعيد رضي الله عنه.

(٢) (خ ٧١٣٥) (م ٢٨٨٠) عن زينب بنت جحش رضي الله عنها.

(٣) سورة الأنبياء، الآيتان: ٩٦، ٩٧.

(٤) (م ٢٩٣٧).

مرة ماء، ثم يسيرون حتى ينتهوا إلى جبل الخمر، وهو جبل ببيت المقدس، فيقولون: لقد قتلنا من في الأرض هلم فلنقتل من في السماء، فيرمون بنشابهم إلى السماء، فيرد الله عليهم نشابهم مخضوبة دماً، ويحصر نبي الله وأصحابه حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيراً من مائة دينار لأحدكم اليوم، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله فيرسل الله عليهم النغف في رقابهم فيصبحون فرسى كموت نفس واحدة، ثم يهبط نبي الله عيسى وأصحابه إلى الأرض فلا يجدون موضع شبر إلا ملأه زهمهم ونتنهم، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله فيرسل عليهم طيراً كأعناق البخت فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله". رواه مسلم[١].

٤ - (خروج الدابة) الدابة لغة: كل ما دب على الأرض. والمراد بها هنا: الدابة التي يخرجها الله قرب قيام الساعة.. وخروجها ثابت بالقرآن والسنة.

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لا يُوقِنُونَ﴾[٢].

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "إنها لن تقوم الساعة حتى تروا قبلها عشر آيات" وذكر منها الدابة. رواه مسلم[٣].

---

(١) (م ٢٩٠١).

(٢) سورة النمل، الآية: ٨٢.

(٣) (م ٢٩٠١).

وليس في القرآن والسنة الصحيحة ما يدل على مكان خروج هذه الدابة وصفتها، وإنما وردت في ذلك أحاديث في صحتها نظر[١]. وظاهر القرآن أنها دابة تنذر الناس بقرب العذاب والهلاك. والله أعلم.

٥- (طلوع الشمس من مغربها) طلوع الشمس من مغربها ثابت بالكتاب والسنة.

قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لا يَنْفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْراً﴾[٢]. والمراد بذلك طلوع الشمس من مغربها.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون، وذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً" متفق عليه[٣].



(١) بل هي ثابتة في قصة تميم الداري في مسلم (٢٩٤٢) في حديث فاطمة بنت قيس رضي الله عنها .وفيه (... فدخلنا الجزيرة فلقيتنا دابة أهلب كثير الشعر لا يدري ما قبلها من دبرها من كثرة الشعر فقلنا ويلك ما أنت فقالت: أنا الجساسة ...) الحديث والله أعلم.

وقال ابن أبي العز رحمه الله تعالى: ... أما خروج الدابة بشكل غريب غير مألوف ثم مخاطبتها للناس ووسمها إياهم بالإيمان والكفر فأمر خارج عن مجاري العادات وذلك أول الآيات الأرضية ...أ.هـ والطحاوية / ٥٠٢).

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٥٨.

(٣) (خ ٤٦٣٦) (م ١٥٧) من حديث أبي هريرة.

قال: ابن أبي العز رحمه الله تعالى: ... كما أن طلوع الشمس من مغربها على خلاف عادتها المألوفة أول الآيات السماوية فهذه الآيات والأشراط نؤمن بها ونصدق. ١.هـ/ ٥٠٢ .

[فتنة القبر]

وعذاب القبر ونعيمه حق وقد استعاذ النبي صلى الله عليه وسلم منه وأمر به في كل صلاة. وفتنة القبر حق وسؤال منكر ونكير حق والبعث بعد الموت حق وذلك حين ينفخ إسرافيل عليه السلام في الصور: ﴿فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ﴾.

... الشرح...

الفتنة لغة: الاختبار. وفتنة القبر: سؤال الميت عن ربه، ودينه، ونبيه، وهي ثابتة بالكتاب والسنة.

قال الله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ﴾(١).

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "المسلم إذا سئل في القبر شهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، فذلك قوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾(٢) متفق عليه(٣).

والسائل ملكان، لقول النبي صلى الله عليه وسلم: "إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه إنه ليسمع قرع نعالهم، قال: يأتيه ملكان فيقعدانه". رواه مسلم(٤). واسمهما منكر ونكير كما رواه الترمذي عن أبي هريرة مرفوعاً وقال حسن غريب. قال الألباني: وسنده حسن وهو على شرط مسلم(٥)، والسؤال عام للمكلفين من المؤمنين والكافرين، ومن هذه الأمة

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٢٧.

(٢) سورة إبراهيم، الآية: ٢٧.

(٣) (خ ١٣٦٩) (م ٢٨٧١) من حديث البراء رضي الله عنه.

(٤) بل متفق عليه (خ ١٣٣٨) (م ٢٨٧٠) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٥) (ت ١٠٧١) وغيره وصححه الألباني في صحيح الترمذي وانظر الصحيحة (١٣٩١).

وغيرهم على القول الصحيح، وفي غير المكلفين خلاف[١]، وظاهر كلام ابن القيم في كتاب (الروح) ترجيح السؤال. ويستثنى من ذلك الشهيد[٢]؛ لحديث رواه النسائي، ومن مات مرابطاً في سبيل الله لحديث رواه مسلم[٣].

عذاب القبر أو نعيمه :

عذاب القبر أو نعيمه ثابت بظاهر القرآن، وصريح السنة، وإجماع أهل السنة. قال الله تعالى في سورة "الواقعة": ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ* وَأَنْتُمْ حِينَئِذٍ تَنْظُرُونَ﴾[٤]، إلى قوله: ﴿تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ* فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ* فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ﴾[٥]. إلخ السورة..

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يتعوذ بالله من عذاب القبر، وأمر أمته بذلك[٦]. وقال النبي صلى الله عليه وسلم في حديث البراء بن عازب المشهور في قصة فتنة القبر، قال في المؤمن:

---

(١) وقال الشيخ في الواسطية : لا يسألون لعدم التكليف . / ٤٧٦ – ٤٧٨ / الروح / ٨٧ – ٨٨.

(٢) لما رواه النسائي (٢٠٥٣) أن رجلاً قال : يارسول الله ما بال المؤمنين يفتنون في قبورهم إلا الشهيد ؟ قال: (كفى ببارقة السيوف على رأسهم فتنه) صححه العلامة الألباني في صحيح السنن.

(٣) المرابط لقوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: (من مات مرابطاً في سبيل الله أجري عليه عمله وأمن الفتان)رواه مسلم (١٩١٣).

(٤) سورة الواقعة، الآيتان: ٨٣، ٨٤.

(٥) سورة الواقعة، الآيات: ٨٧ – ٨٩.

(٦) كما في حديث ابن عباس رضي الله عنهما رواه مسلم (٥٩٠) وعائشة (خ ١٠٤٩) (م ٩٠٣) والأمر في حديث أبي هريرة في مسلم (٥٨٨) وزيد ثابت في مسلم (٢٨٦٧) ولفظه (استعيذوا بالله في عذاب القبر).

"فينادي مناد من السماء أن صدق عبدي فافرشوه من الجنة، وألبسوه من الجنة، وافتحوا له باباً إلى الجنة، فيأتيه من ريحها، وطيبها، ويفسح له في قبره مد بصره". وقال في الكافر: "فينادي منادٍ من السماء أن كذب عبدي فافرشوه من النار، وافتحوا له باباً من النار، فيأتيه من حرها وسمومها، ويضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه". الحديث رواه أحمد وأبو داود[(١)].

وقد اتفق السلف وأهل السنة على إثبات عذاب القبر ونعيمه ذكره ابن القيم في كتاب (الروح)[(٢)].

وأنكر الملاحدة عذاب القبر متعللين بأننا لو نبشنا القبر لوجدناه كما هو.

نرد عليهم بأمرين:

١- دلالة الكتاب، والسنة، وإجماع السلف على ذلك.

٢- أن أحوال الآخرة لا تقاس بأحوال الدنيا فليس العذاب أو النعيم في القبر كالمحسوس في الدنيا[(٣)].

(١) المسند (٤/ ٢٨٧) سنن أبي داود (١٣/ ٨٩/ العون) وسنده صحيح (الجامع الصحيح ١/ ٣٧٣-٣٧٥) صحيح أبي داود للشيخ الألباني.

(٢) (الروح صـ٦١-٦٢).

(٣) ويقال لهم أيضاً.

-أن هذا من الأمور الغيبية التي لا تدرك بالعقل.

-دار البرزخ لا يعلم كيفيتها إلا أهلها.

-النائم ربما يرحل أو يعذب والمستيقظ بجانبه لا يشعر بشيء فكذلك عذاب القبر.

هل عذاب القبر أو نعيمه على الروح أو على البدن؟

قال شيخ الإسلام ابن تيميه(١): مذهب سلف الأمة وأئمتها أن العذاب أو النعيم يحصل لروح الميت وبدنه، وأن الروح تبقى بعد مفارقة البدن منعمة، أو معذبة وأنها تتصل بالبدن أحياناً فيحصل له معها النعيم أو العذاب.

النفخ في الصور:

النفخ معروف. والصور لغة: القرن.

وشرعاً: قرن عظيم التقمه إسرافيل ينتظر متى يؤمر بنفخه، وإسرافيل أحد الملائكة الكرام الذين يحملون العرش.

وهما نفختان:

إحداهما: نفخة الفزع ينفخ فيه فيفزع الناس ويصعقون إلا من شاء الله.

الثانية: نفخة البعث ينفخ فيه فيبعثون ويقومون من قبورهم.

وقد دل على النفخ في الصور الكتاب، والسنة، وإجماع الأمة.

قال الله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾(٢).

﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ﴾(١).

أن الله عز وجل قادر على كل شيء فيصرف أبصارنا وأسماعنا عن ذلك كما قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «إِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ تُبْتَلَى فِي قُبُورِهَا، فَلَوْلَا أَنْ لَا تَدَافَنُوا، لَدَعَوْتُ اللهَ أَنْ يُسْمِعَكُمْ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ الَّذِي أَسْمَعُ مِنْهُ» فمن رحمه الله بنا عدم إدراكنا لذلك.

(١) الفتاوى (٤ / ٢٨٢) وانظر الروح لابن القيم (٤٨-٤٩).

(٢) سورة الزمر، الآية: ٦٨.

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه أحد إلا أصغى ليتا ورفع ليتا، ثم لا يبقى أحد إلا صعق، ثم ينزل الله مطراً كأنه الطل أو الظل (شك الراوي) فتنبت منه أجساد الناس ثم ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون". رواه مسلم(٢) في حديث طويل. وقد اتفقت الأمة على ثبوته.

****

(١) سورة يس، الآية: ٥١.

(٢) (م ٢٩٤٠) . .

البعث والحشر

ويحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلًا بهما فيقفون في موقف القيامة حتى يشفع فيهم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، فيحاسبهم الله تبارك وتعالى.

... الشرح...

البعث لغة: الإرسال، والنشر.

وشرعاً: إحياء الأموات يوم القيامة.

والحشر لغة: الجمع.

وشرعاً: جمع الخلائق يوم القيامة لحسابهم والقضاء بينهم.

والبعث والحشر حق ثابت بالكتاب، والسنة، وإجماع المسلمين، قال الله تعالى: ﴿قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ﴾(١). وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ* لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ﴾(٢).

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء(٣) كقرصة النقي ليس فيها علم لأحد" متفق عليه(٤).

وأجمع المسلمون على ثبوت الحشر يوم القيامة.

ويحشر الناس حفاة لا نعال عليهم، عراة لا كسوة عليهم، غرلاً لا ختان فيهم؛ لقوله تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ﴾(١). وقول النبي صلى الله عليه وسلم: "إنكم تحشرون حفاة،

---

(١) سورة التغابن، الآية: ٧.

(٢) سورة الواقعة، الآيتان: ٤٩، ٥٠.

(٣) أي غير شديدة البياض.

(٤) (خ ٦٥٢١) (م ٢٧٩٠) من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه.

عراة، غرلاً" ثم قرأ: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْداً عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾(٢) وأول من يكسى إبراهيم". متفق عليه(٣).

وفي حديث عبد الله بن أنيس المرفوع الذي رواه أحمد: "يحشر الناس يوم القيامة عراة غرلاً، بهماً". قلنا: وما بهماً؟ قال: "ليس معهم شيء"(٤) الحديث.

الحساب

الحساب لغة: العدد.

وشرعاً: إطلاع الله عباده على أعمالهم.

وهو ثابت بالكتاب، والسنة، وإجماع المسلمين.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ* ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾(٥). وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في بعض صلاته: "اللهم حاسبني حساباً يسيراً". فقالت عائشة: ما الحساب اليسير؟ قال: "أن ينظر في كتابه فيتجاوز عنه" رواه أحمد(٦). وقال الألباني إسناده جيد.

وأجمع المسلمون على ثبوت الحساب يوم القيامة.

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٤.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٤.

(٣) (خ ٣٣٤٩) (م ٢٨٦٠) عن ابن عباس رضي الله عنه.

(٤) تقدم التعليق عليه.

(٥) سورة الغاشية، الآيتان: ٢٥، ٢٦.

(٦) أحمد (٦/ ٤٨) بهذا اللفظ ورواه (٦/ ١٨٥) وابن أبي عاصم (٨٨٥) دون ذكر (الصلاة وقوله اللهم حاسبني حساباً يسيراً) وسند أحمد الأول فيه عبد الواحد بن حمزة لا بأس به والحديث في الصحيحين (خ ١٠٣) (م ٢٨٧٦) دون هذه اللفظة.

وصفه الحساب للمؤمن: أن الله يخلو به فيقرره بذنوبه، حتى إذا رأى أنه قد هلك.

قال الله له: سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم فيعطى كتاب حسناته.

وأما الكفار والمنافقون فينادى بهم على رؤوس الخلائق: هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين. متفق عليه من حديث ابن عمر(١).

والحساب عام لجميع الناس إلا من استثناهم النبي صلى الله عليه وسلم، وهم سبعون ألفاً من هذه الأمة منهم عكاشة بن محصن يدخلون الجنة بلا حساب ولا عذاب. متفق عليه(٢).

وروى أحمد من حديث ثوبان مرفوعاً أن مع كل واحد سبعين ألفاً، قال ابن كثير: حديث صحيح وذكر له شواهد(٣).

وأول من يحاسب هذه الأمة؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم: "نحن الآخرون السابقون يوم القيامة المقضي بينهم قبل الخلائق" متفق عليه(٤)، وروى ابن ماجه(٥) عن ابن عباس مرفوعاً: "نحن آخر الأمم وأول من يحاسب". الحديث.

---

(١) (خ ٢٤٤١) (م ٢٧٦٨) .

(٢) (خ ٦٥٤١) (م ٢٢٠) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) رواه أحمد (٥/ ٢٨٠)وله شواهد منها حديث حذيفة رضي الله عنه عند أحمد (٥/ ٣٩٣) وبلفظ (مع كل ألف) وقد ذكر سيخنا له شواهد (الشفاعة ص ١٢٩-١٣١) واللفظ الذي ذكره الشارح وهم .وشاهد من حديث أبي هريرة عند أحمد (٢/ ٣٥٩) وسنده ضعيف [وانظر الجامع الصحيح (٤/ ١٤٨)] والله أعلم.

(٤) (خ ٨٧٦) (م٨٥٥) (م٨٥٦) واللفظ لمسلم.

(٥) (جه ٤٢٩٠) وغيره وصححه الألباني وهو بمعنى ما قبله الصحيحة (٢٣٧٤) وصححها الوادعي أيضاً في جامعه (٤/ ١٤٦).

وأول ما يحاسب عليه العبد من حقوق الله الصلاة؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم: "أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة، فإن صلحت صلح سائر عمله، وإن فسدت فسد سائر عمله" رواه الطبراني في "الأوسط"(١) وسنده لا بأس به إن شاء الله، قاله المنذري في "الترغيب والترهيب" (ص٢٤٦ ج١). وأول ما يقضى بين الناس في الدماء؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم: "أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء" متفق عليه(٢).



(١) (١٨٨٠) من حديث أنس وهو في السنن (ت ٤١٣) (جه ١٤٢٦) وغيرهما من حديث أبي هريرة وسنده حسن بالمجموع وصححه الألباني في السنن وجاء عن رجل من الصحابة عند أحمد (٢/ ١٥٨) وسنده صحيح وهو في الجامع الصحيح (٢/ ١٥٨).

(٢) (خ٦٨٦٤) (م١٦٧٨) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

(نشر الدواوين)

وتنصب الموازين وتنشر الدواوين وتتطاير صحف الأعمال إلى الأيمان والشمائل: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ . فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا . وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا . وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ . فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا . وَيَصْلَى سَعِيرًا . إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا﴾.

...الشرح...

النشر لغة: فتح الكتاب أو بث الشيء.

وشرعاً: إظهار صحائف الأعمال يوم القيامة وتوزيعها.

والدواوين: جمع ديوان وهو لغة: الكتاب يحصى فيه الجند ونحوهم.

وشرعاً: الصحائف التي أحصيت فيها الأعمال التي كتبها الملائكة على العامل.

فنشر الدواوين إظهار صحائف الأعمال يوم القيامة، فتتطاير إلى الأيمان والشمائل، وهو ثابت بالكتاب، والسنة، وإجماع الأمة.

قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ* فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَاباً يَسِيراً* وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُوراً* وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ* فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُوراً* وَيَصْلَى سَعِيراً﴾(١). ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ﴾(٢).

وعن عائشة رضي الله عنها أنها سألت النبي صلى الله عليه وسلم: "هل تذكرون أهليكم؟ قال: أما في ثلاثة مواطن فلا يذكر أحد أحداً: عند الميزان حتى يعلم أيخف ميزانه أم يثقل، وعند تطاير الصحف حتى يعلم أين يقع كتابه في يمينه، أم في شماله، أم وراء ظهره، وعند

(١) سورة الانشقاق، الآيات: ٧ – ١٢.

(٢) سورة الحاقة، الآية: ٢٥.

الصراط إذا وضع بين ظهراني جهنم حتى يجاوز". رواه أبو داود والحاكم وقال: صحيح على شرطهما(١).

وأجمع المسلمون على ثبوت ذلك.

صفة أخذ الكتاب

المؤمن يأخذ كتابه بيمينه فيفرح ويستبشر ويقول: ﴿هَاؤُمُ اقْرَأُوا كِتَابِيَهْ﴾(٢).

والكافر يأخذه بشماله، أو من وراء ظهره فيدعو بالويل والثبور ويقول: ﴿يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ* وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ﴾(٣).

****

(١) (د ٤٧٥٥) (الحاكم ٤/ ٥٧٨) من طريق الحسن عن عائشة، وقال الحاكم صحيح لولا إرسال فيه بين الحسن وعائشة، ورواه أحمد (٦/ ١١٠) وغيره وفي سنده ابن لهيعه ضعيف، وضعفه الشيخ الألباني ومن حسنه بالطريقين فله وجه.

(٢) سورة الحاقة، الآية: ١٩.

(٣) سورة الحاقة، الآيتان: ٢٥، ٢٦.

[الموازين]

والميزان له كفتان ولسان(١) توزن به الأعمال: ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ﴾.

... الشرح ...

الموازين جمع ميزان، وهو لغة: ما تقدر به الأشياء خفة وثقلاً.

وشرعاً: ما يضعه الله يوم القيامة لوزن أعمال العباد.

وقد دل عليه الكتاب، والسنة، وإجماع السلف.

قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ* وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾(٢)، ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾(٣).

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "كلمتان حبيبتان إلى الرحمن، خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم" متفق عليه(٤).وأجمع السلف على ثبوت ذلك(٥).

---

(١) ذكر اللسان لا نعلم له دليلاً لكنه وارد عن السلف.

(٢) سورة المؤمنون، الآيتان: ١٠٢، ١٠٣.

(٣) سورة الأنبياء، الآية: ٤٧.

(٤) (خ ٦٤٠٦) (م ٢٦٩٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٥) وتأوله المبتدعة بالعدل الرد عليهم:

١- أن هذا خلاف الكتاب والسنة.

٢- أنه صرف لظاهر اللفظ إلى معنى مرجوح بدون دليل ولا قرينه.

وهو ميزان حقيقي، له كفتان، لحديث عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي صلى الله عليه وسلم في صاحب البطاقة قال: "فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة". الحديث رواه الترمذي وابن ماجه. قال الألباني: إسناده صحيح[(١)].

واختلف العلماء هل هو ميزان واحد أو متعدد؟

فقال بعضهم: متعدد بحسب الأمم، أو الأفراد، أو الأعمال؛ لأنه لم يرد في القرآن إلا مجموعاً وأما إفراده في الحديث فباعتبار الجنس.

وقال بعضهم: هو ميزان واحد؛ لأنه ورد في الحديث منفرداً، وأما جمعه في القرآن فباعتبار الموزون وكلا الأمرين محتمل[(٢)]. والله أعلم.

والذي يوزن العمل، لظاهر الآية السابقة والحديث بعدها.

وقيل: صحائف العمل لحديث صاحب البطاقة.

وقيل: العامل نفسه لحديث أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم: "إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة". وقال: اقرأوا: ﴿فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْناً﴾[(٣)]. متفق عليه[(١)].

٣- قوله في الحديث (وبيده الأخرى الميزان) فلا يصح أن يقال بيده العدل.

٤-حديث البطاقة حيث قال (فتوضع في كفة) والعدل معنوي لا كفة له فتأمل.

(١) (ت ٢٦٣٩) (جه ٤٣٠٠) وصححه الشيخان الألباني في السنن والوادعي في جامعه (١/ ٤٣٦).

(٢) ورجح الشيخ في الواسطية أنه ميزان واحد، وهو الحق إن شاء الله تعالى.

(٣) سورة الكهف، الآية: ١٠٥ .

وجمع بعض العلماء بين هذه النصوص بـأن الجميـع يـوزن، أو أن الـوزن حقيقـة للصـحائف وحيث إنها تثقل وتخف بحسب الأعمال المكتوبة صار الوزن كأنه للأعمال، وأما وزن صاحب العمل فالمراد به قدره وحرمته. وهذا جمع حسن والله أعلم.



(١) (خ ٤٧٢٩) (م ٢٧٨٥).

[الحوض]

ولنبينا محمد صلى الله عليه وسلم حوض في القيامة، ماؤه أشد بياضًا مـن اللـبن، وأحـلى مـن العسل، وأباريقه عدد نجوم السماء، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدًا.

... الشرح...

الحوض لغة: الجمع. يقال: حاض الماء يحوضه إذا جمعه، ويطلق على مجتمع الماء.

وشرعاً: حوض الماء النازل من الكوثر في عرصات القيامة للنبي صلى الله عليه وسلم.

ودل عليه السنة المتواترة، وأجمع عليه أهل السنة[١].

قال النبي صلى الله عليه وسلم: "إني فرطكم على الحوض". متفق عليه[٢].

وأجمع السلف أهل السنة على ثبوته، وقد أنكر المعتزلة ثبوت الحوض.

ونرد عليهم بأمرين:

١ – الأحاديث المتواترة[٣] عن الرسول صلى الله عليه وسلم.

٢ – إجماع أهل السنة [٤]على ذلك.

---

(١) قال الحافظ رحمه الله تعالى (١/ ٤٤٦ الفتح) وأجمع السلف على إثباته وأنكره المبتدعة – الخوارج والمعتزلة – ..١هـ

(٢) متفق عليه (خ ٦٥٨٣) (م ٢٢٩٠) من حديث سهل وجماعه رضي الله عنهم، منهم أبو سعيد وجندب وجابر بن سمره وأبو هريرة وغيرهم.

(٣) الطحاوية / ٢٢٧.

(٤) وأيضاً:

١ –أن هذا من أمور الغيب التي يجب فيه التسليم المطلق.

٢ –العقل لا يمنع من وجود ذلك فقد أوجد الله عز وجل الإنسان من عدم فهو على كل شيء وقدير.

صفة الحوض:

طوله شهر، وعرضه شهر، وزواياه سواء، وآنيته كنجوم السماء، وماؤه أبيض من اللبن، وأحلى من العسل، وأطيب من ريح المسك، فيه ميزابان يمدانه من الجنة، أحدهما من ذهب، والثاني من فضة، يرده المؤمنون من أمة محمد، ومن يشرب منه شربة لا يظمأ بعدها أبداً، وكل هذا ثابت في الصحيحين أو أحدهما(١).

وهو موجود الآن لقوله صلى الله عليه وسلم: "وإني والله لأنظر إلى حوضي الآن" رواه البخاري(٢).

واستمداده من الكوثر؛ لقوله صلى الله عليه وسلم: "وأعطاني الكوثر وهو نهر في الجنة يسيل في حوض". رواه أحمد. قال ابن كثير: وهو حسن الإسناد والمتن(٣).

ولكل نبي حوض، ولكن حوض نبي صلى الله عليه وسلم أكبرها وأعظمها وأكثرها واردة؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم: "إن لكل نبي حوضاً، وإنهم ليتباهون أيهم أكثر واردة، وإني لأرجو أن أكون أكثرهم واردة". رواه الترمذي وقال غريب(٤).

٣-قوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم (والله إني لأنظر إلى حوضي الآن) فقد رآه فلا مجال لإنكاره.

(١) انظر (خ ٦٥٧٩، ٦٥٨٠) (٦٥٧٥/ ٦٥٩٣) (م ٢٢٩٢، ٢٣٠٣، ٢٣٠١، ٢٢٨٩) وغيرها عن جماعه عن الصحابة.

(٢) بل متفق عليه (خ٦٥٩٠) (م ٢٢٩٦) من حديث عقبه بن عامر رضي الله عنه.

(٣) أحمد (٥/ ٢٩٣) حسن بمجموع طرقه، وفي سنده ابن لهيعة ضعيف، لكن له شواهد في الصحيح وغيره، وكلام ابن كثير في نهاية النهاية (٢/ ٢٤٤).

(٤)- (ت ٢٤٤٣) وجميع طرقه لا تخلوا من مقال. لكن صححه الألباني بمجموعها (الصحيحة ١٥٨٩) وللحافظ كلام نفيس حول هذا الحديث (الفتح ١١/ ٤٦٧).

وروى ذلك ابن أبي الدنيا وابن ماجه من حديث أبي سعيد، وفيه ضعف لكن صححه بعضهم من أجل تعدد الطرق.



[الصراط]

والصراط حق يجوزه الأبرار ويزل عنه الفجار.

... الشرح...

الصراط لغة: الطريق.

وشرعاً: الجسر الممدود على جهنم ليعبر الناس عليه إلى الجنة.

وهو ثابت بالكتاب، والسنة وقول السلف.

قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾[١]. فسرها عبد الله بن مسعود، وقتادة، وزيد بن أسلم بالمرور على الصراط[٢].

وفسرها جماعة، منهم ابن عباس بالدخول في النار لكن ينجون منها.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "ثم يضرب الجسر على جهنم وتحل الشفاعة ويقولون: اللهم سلم سلم" متفق عليه[٣]. واتفق أهل السنة على إثباته.

(١) سورة مريم، الآية: ٧١.

(٢) وهو الراجح وتدعمه ظواهر الأدلة.

(٣) (خ ٧٤٣٩) (م ١٨٣) من حديث ابن سعيد رضي الله عنه.

صفة الصراط:

سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الصراط فقال: "مدحضة مزلة، عليه خطاطيف وكلاليب، وحسكة مفلطحة لها شوكة عقيفاء، تكون بنجد، يقال لها: السعدان" رواه البخاري(١). وله من حديث أبي هريرة: "وبه كلاليب مثل شوك السعدان، غير أنها لا يعلم قدر عظمها إلا الله يخطف الناس بأعمالهم"(٢). وفي صحيح مسلم من حديث أبي سعيد رضي الله عنه قال: بلغني أنه أدق من الشعر، وأحد من السيف(٣).

وروى الإمام أحمد نحوه عن عائشة رضي الله عنها مرفوعاً.

العبور على الصراط وكيفيته:

لا يعبر الصراط إلا المؤمنون على قدر أعمالهم لحديث أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم، وفيه: "فيمر المؤمنون كطرف العين، وكالبرق، وكالريح، وكالطير، وكأجاويد الخيل والركاب، فناج مسلم، ومخدوش مرسل ومكدوس في جهنم" متفق عليه. وفي صحيح مسلم(٤): "ترجي بهم أعمالهم، ونبيكم قائم على الصراط يقول: يا رب سلم سلم، حتى تعجز أعمال العباد حتى يجيء الرجل فلا يستطيع السير إلا زحفاً". وفي صحيح البخاري: "حتى يمر آخرهم يسحب سحباً"(٥).

---

(١) بل متفق عليه من حديث أبي سعيد كما تقدم آنفاً.

(٢) بل متفق عليه (خ ٦٥٧٣) (م ١٨٢).

(٣) (م ١٨٣) عقب حديث أبي سعيد المتقدم.

(٤) (م ١٩٥) من حديث حذيفة أبي هريرة رضي الله عنهما.

(٥) (خ ٧٤٣٩) عن أبي سعيد رضي الله عنه.

وأول من يعبر الصراط من الأنبياء محمد صلى الله عليه وسلم، ومن الأمم أمته؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم: "فأكون أنا وأمتي أول من يجيزها، ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل، ودعاء الرسل يومئذ: اللهم سلم سلم" رواه البخاري.



[الشفاعة]

ويشفع نبينا صلى الله عليه وسلم فيمن دخل النار من أمته من أهل الكبائر؛ فيخرجون بشفاعته بعدما احترقوا وصاروا فحمًا وحِممًا فيدخلون الجنة بشفاعته.

ولسائر الأنبياء والمؤمنين والملائكة شفاعات قال تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾.

ولا تنفع الكافر شفاعة الشافعين.

... الشرح...

الشفاعة لغة: جعل الوتر شفعاً.

واصطلاحاً: التوسط للغير بجلب منفعة، أو دفع مضرة.

والشفاعة يوم القيامة نوعان: خاصة بالنبي صلى الله عليه وسلم، وعامة له ولغيره. فالخاصة به صلى الله عليه وسلم شفاعته العظمى في أهل الموقف عند الله ليقضي بينهم حين يلحقهم من الكرب والغم ما لا يطيقون، فيذهبون إلى آدم، فنوح، فإبراهيم، فموسى، فعيسى، وكلهم يعتذرون إلا النبي صلى الله عليه وسلم، فيشفع فيهم إلى الله فيأتي سبحانه وتعالى للقضاء بين عباده(١).

وقد ذكرت هذه الصفة في حديث الصور المشهور(٢) لكن سنده ضعيف متكلم فيه وحذفت من الأحاديث الصحيحة فاقتصر منها على ذكر الشفاعة في أهل الكبائر.

---

(١) كما في حديث أبي هريرة الطويل (خ ٤٧١٢)(م ١٩٤).

(٢) أخرجه الطبراني في الطوال (٢٥/ ٢٦٦) (٣٦) غيره، وفي سنده إسماعيل بن رافع عن محمد زياد عن محمد بن كعب القرظي عن أبي هريرة به وإسماعيل ضعيف جداً وذكره ابن كثير في تفسيره (٢/ ١٤٦) وقال : هذا حديث مشهور وهو غريب جداً.

قال ابن كثير وشارح الطحاوية[١]: وكان مقصود السلف من الاقتصار على الشفاعة في أهل الكبائر هو الرد على الخوارج ومن تابعهم من المعتزلة.

وهذه الشفاعة لا ينكرها المعتزلة والخوارج، ويشترط فيها إذن الله؛ لقوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلا بِإِذْنِهِ﴾[٢].

النوع الثاني العامة: وهي الشفاعة فيمن دخل النار من المؤمنين أهل الكبائر أن يخرجوا منها بعدما احترقوا وصاروا فحماً وحمياً؛ لحديث أبي سعيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أما أهل النار الذين هم أهلها فلا يموتون فيها ولا يحيون، ولكن أناس – أو كما قال – تصيبهم النار بذنوبهم – أو قال – بخطاياهم فيميتهم إماتة حتى إذا صاروا فحماً أذن في الشفاعة" الحديث رواه أحمد[٣].

قال ابن كثير في النهاية (ص٢٠٤ ج٢): وهذا إسناد صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجها من هذا الوجه[٤].

وهذه الشفاعة تكون للنبي صلى الله عليه وسلم وغيره من الأنبياء، والملائكة، والمؤمنين؛ لحديث أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم، وفيه: "فيقول الله تعالى: شفعت الملائكة،

واختلف عليه في إسناد هذا الحديث على وجوه كثيرة ... ويقال أنه جمعه من أحاديث كثيرة وجعله سياقاً واحداً فأنكر عليه بسبب ذلك. .أ.هـ فالحديث منكر جداً.

(١) الطحاوية (٢٣١).

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥.

(٣) رواه أحمد (٣/ ٥).

(٤) هو في مسلم بهذا اللفظ (١٥٠).

وشفع النبيون، وشفع المؤمنون، ولم يبق إلا أرحم الراحمين، فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوماً لم يعملوا خيراً قط قد عادوا حمماً" متفق عليه(١).

وهذه الشفاعة ينكرها المعتزلة(٢) والخوارج بناء على مذهبهم أن فاعل الكبيرة مخلد في النار فلا تنفعه الشفاعة.

ونرد عليهم بما يأتي:

١- أن ذلك مخالف للمتواتر من الأحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم.

٢- أنه مخالف لإجماع السلف.

ويشترط لهذه الشفاعة شرطان:

الأول: إذن الله في الشفاعة؛ لقوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾(٣).

---

(١) (خ ٧٤٣٩) (م ١٨٣) . من حديث أبي سعيد المتقدم.

(٢) وهذا الإنكار ناتج عن قولهم إن الله عز وجل لا يجوز عليه إخلاف الوعيد.

ونقول لهم نحن نرجو أن يشفع الله تعالى لأهل الكبائر منا وأنتم يلزم على قولكم بقاؤكم في النار فبدعكم هذه من أكبر الكبائر.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥.

الثاني: رضا الله عن الشافع والمشفوع له[1]؛ لقوله تعالى: ﴿وَلا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾[2]. فأما الكافر فلا شفاعة له؛ لقوله تعالى: ﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾[3]. أي لـو فـرض أن أحداً شفع لهم لم تنفعهم الشفاعة[4].

وأما شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم لعمه أبي طالب حتى كان في ضحضاح من نـار وعليـه نعلان يغلي منهما دماغه، وإنه لأهون أهل النار عذاباً، قال النبي صلى الله عليه وسلم: "ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار" رواه مسلم[5]. فهذا خاص بالنبي صلى الله عليه وسلم وبعمه أبي طالب فقط، وذلك والله أعلم لما قام به من نصرة النبي صلى الله عليه وسلم والدفاع عنه، وعما جاء به.



(١) وهناك شرطان آخران: ١-قدرة الشافع على الشفاعة فمن طلبها من غير قادر أشرك كما قال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

٢-إسلام الشافع والمشفوع كما قال تعالى: ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾

والمراد بالظالمين هنا الكافرين.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٢٨.

(٣) سورة المدثر، الآية: ٤٨.

(٤) كما في الحديث (إن إبراهيم يقول: يا رب ألم تعدني أنك لا تخزني يوم القيامة فأي خزي أعظم من أبي الأبعد. فيقول الله : إني حرمت الجنة على الكافرين ...) الحديث .

(٥) رواه مسلم (خ ٣٨٨٣) (م ٢٠٩) عن العباس، (خ ٣٨٨٥) (م ٥١٠) عن أبي سعيد، (م٢١١) (خ ٦٥٦١) عن النعمان بن بشير (م ٢١٢) عن ابن عباس رضي الله عنهم جميعًا.

الجنة والنار

والجنة والنار مخلوقتان لا تفنيان فالجنة مأوى أوليائه والنار عقاب لأعدائه وأهل الجنة فيها مخلدون، وأهل النار فيها مخلدون، ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ (٧٤) لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾

... الشرح...

الجنة لغة: البستان الكثير الأشجار.

وشرعاً: الدار التي أعدها الله في الآخرة للمتقين.

والنار لغة: معروفة.

وشرعاً: الدار التي أعدها الله في الآخرة للكافرين.

وهما مخلوقتان الآن لقوله تعالى في الجنة: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾[(١)]. وفي النار: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾[(٢)].

والإعداد: التهيئة. ولقوله صلى الله عليه وسلم حين صلى صلاة الكسوف: "إني رأيت الجنة فتناولت منها عنقوداً ولو أخذته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا، ورأيت النار فلم أر كاليوم منظراً قط أفظع" متفق عليه[(٣)].

والجنة والنار لا تفنيان لقوله: ﴿جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً﴾[(٤)].

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٣٣.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٤.

(٣) (خ ١٠٥٢، ٤٩٠١) (م ٩٠٧) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما وقد تقدم.

(٤) سورة البينة، الآية: ٨.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقاً* إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً﴾(١).وفي الأحزاب:﴿إِنَّ اللهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيراً* خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً﴾(٢).وفي الجن: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً﴾(٣) . وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ* لا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾(٤).

مكان الجنة والنار(٥) :

الجنة في أعلى عليين لقوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ﴾(٦) وقوله صلى الله عليه وسلم في حديث البراء بن عازب المشهور في قصة فتنة القبر: "فيقول الله عز وجل: اكتبوا كتاب عبدي في عليين، وأعيدوه إلى الأرض"(٧).

---

(١) سورة النساء، الآيتان: ١٦٨، ١٦٩.

(٢) سورة الأحزاب، الآيتان: ٦٤، ٦٥.

(٣) سورة الجن، الآية: ٢٣.

(٤) سورة الزخرف، الآيتان: ٧٤، ٧٥.

(٥) وقال بعض أهل الزيغ : إذا كانت الجنة عرضها السماوات والأرض فأين النار؟
الجواب: حيث شاء الله . كما أن الجنة عرضها كعرض السموات والأرض وطولها لا يعلم قدره إلا الله فقد قال صلى الله عليه وسلم: (في الجنة مائه درجة ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض أعدت للمجاهدين ...) هذه للمجاهدين فقط وبقيت درجات للأنبياء والعلماء وغيرهم من المسلمين وكل هذا حيث شاء الله تعالى وكذلك النار حيث شاء الله عز وجل.

(٦) سورة المطففين، الآية: ١٨.

(٧) رواه أحمد (٤ / ٢٨٧) وغيره وصححه الشيخان وقد تقدم.

والنار في أسفل سافلين لقوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ﴾(١). وقوله صلى الله عليه وسلم في حديث البراء بن عازب السابق: "فيقول الله تعالى: اكتبوا كتاب عبدي في سجين في الأرض السفلى".

أهل الجنة وأهل النار:

أهل الجنة كل مؤمن تقي لأنهم أولياء الله، قال الله تعالى في الجنة: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾(٢). ﴿أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾(٣).

وأهل النار كل كافر شقي، قال الله تعالى في النار: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾(٤). ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ﴾(٥).



(١) سورة المطففين، الآية: ٧.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٣٣.

(٣) سورة الحديد، الآية: ٢١.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٤.

(٥) سورة هود، الآية: ١٠٦.

[ذبح الموت]

ويؤتى بالموت في صورة كبش أملح فيذبح بين الجنة والنار، ثم يقال يا أهل الجنة خلود ولا موت، ويا أهل النار خلود ولا موت.

... الشرح...

الموت زوال الحياة، وكل نفس ذائقة الموت، وهو أمر معنوي غير محسوس بالرؤية، ولكن الله تعالى يجعله شيئاً مرئياً مجسماً ويذبح بين الجنة والنار؛ لحديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح، فينادي منادٍ: يا أهل الجنة، فيشرئبون وينظرون، فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم، هذا الموت وكلهم قد رآه، ثم ينادي: يا أهل النار، فيشرئبون وينظرون، فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم، هذا الموت. وكلهم قد رآه. فيذبح. ثم يقول: يا أهل الجنة، خلود فلا موت، ويا أهل النار، خلود فلا موت". ثم قرأ: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾(١). أخرجه البخاري في تفسير هذه الآية(٢)، وروى نحوه في صفة الجنة والنار من حديث ابن عمر مرفوعاً(٣).

****

(١) سورة مريم، الآية: ٣٩.

(٢) (خ ٤٧٣٠) مسلم رقم (٢٨٤٩).

(٣) (خ ٦٥٤٨) مسلم رقم (٢٨٥٠).

فصل في حقوق النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه

ومحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين وسيد المرسلين لا يصح إيمان عبد حتى يؤمن برسالته ويشهد بنبوته ولا يقضى بين الناس في القيامة إلا بشفاعته ولا يدخل الجنة أمة إلا بعد دخول أمته .

* صاحب لواء الحمد والمقام المحمود والحوض المورود وهو إمام النبيين وخطيبهم وصاحب شفاعتهم أمته خير الأمم وأصحابه خير أصحاب الأنبياء عليهم السلام.

... الشرح...

أفضل الخلق عند الله الرسل، ثم النبيون، ثم الصديقون، ثم الشهداء، ثم الصالحون. وقد ذكر الله هذه الطبقات في كتابه في قوله: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقاً﴾(١).

وأفضل الرسل أولوا العزم منهم، وهم خمسة: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد عليهم الصلوات من الله والتسليم، وقد ذكرهم الله في موضعين من كتابه في "الأحزاب": ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾(٢). وفي "الشورى": ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى﴾(٣).

---

(١) سورة النساء، الآية: ٦٩.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٧.

(٣) سورة الشورى، الآية: ١٣.

وأفضلهم محمد صلى الله عليه وسلم؛ لقوله صلى الله عليه وسلم: "أنا سيد الناس يوم القيامة" متفق عليه(١)، وصلاتهم خلفه ليلة المعراج(٢) وغير ذلك من الأدلة. ثم إبراهيم؛ لأنه أبو الأنبياء وملته أصل الملل، ثم موسى؛ لأنه أفضل أنبياء بني إسرائيل وشريعته أصل شرائعهم، ثم نوح وعيسى لا يجزم بالمفاضلة بينهما لأن لكل منهما مزية.



(١) (خ ٤٧١٢) (م١٩٤) من حديث أبي هريرة.

(٢) أخرجه مسلم (١٧٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

خصائص النبي صلى الله عليه وسلم

اختص النبي صلى الله عليه وسلم بخصائص نتكلم على ما ذكر المؤلف منها:

١- خاتم النبيين؛ لقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾(١).

٢- سيد المرسلين وسبق دليله.

٣- لا يتم إيمان عبد حتى يؤمن برسالته؛ لقوله تعالى: ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾(٢). وغيره من الأنبياء يبعثون إلى أقوام معينين كل إلى قومه.

٤- لا يقضى بين الناس إلا بشفاعته، وسبق دليل ذلك في الشفاعة.

٥- سبق أمته الأمم في دخول الجنة لعموم قوله صلى الله عليه وسلم: "نحن الآخرون السابقون يوم القيامة". وسبق.

٦- صاحب لواء الحمد، يحمله صلى الله عليه وسلم يوم القيامة ويكون الحامدون تحته، لحديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، وبيدي لواء الحمد ولا فخر، وما من نبي يومئذٍ آدم فمن سواه إلا تحت لوائي، وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر" رواه الترمذي(٣)، وقد روى الأولى والأخيرة مسلم(٤).

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٤٠.

(٢) سورة النساء، الآية: ٦٥.

(٣) (ت ٣١٤٨) وغيره من طريق على بن زيد بن جدعان وهو ضعيف وفي الحديث اختلاف أيضاً وله شواهد إلا ذكر اللواء.

(٤) (م ٢٢٧٨/ ٣) عن أبي هريرة.

٧- صاحب المقام المحمود، أي: العمل الذي يحمده عليه الخالق والمخلوق؛ لقوله تعالى: ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً﴾(١). وهذا المقام هو ما يحصل من مناقبه صلى الله عليه وسلم يوم القيامة من الشفاعة وغيرها.

٨- صاحب الحوض المورود، والمراد الحوض الكبير الكثير وارده، أما مجرد الحياض فقد مر أن لكل نبي حوضاً.

٩- ١١- إمام النبيين، وخطيبهم، وصاحب شفاعتهم؛ لحديث أبي بن كعب أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إذا كان يوم القيامة كنت إمام النبيين وخطيبهم، وصاحب شفاعتهم غير فخر". رواه الترمذي وحسنه(٢).

١٢- أمته خير الأمم؛ لقوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾(٣). فأما قوله تعالى: ﴿يَا بَنِي إِسْرائيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾(٤). فالمراد عالمي زمانهم.



(١) سورة الإسراء، الآية: ٧٩.

(٢) (ت ٣٦١٥) وابن ماجه (٤٣١٤) وأحمد (٥/ ١٣٧) وغيرهم وفي سنده ابن عقيل ضعيف وحسنه الألباني رحمه الله تعالى وأخرجه الدارمي (٤٨) والترمذي (٣٦١٠) نحوه وزيادة من طريقة ليث ابن أبي سليم وهو ضعيف مدلس.

وفي متنه نكاره وضعف هذه الطريق الألباني رحمه الله تعالى، وهو بالطريقتين محتمل للتحسين، والله أعلم.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١١٠.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٤٧.

فضائل الصحابة

وأفضل أمته أبو بكر الصديق ثم عمر الفاروق ثم عثمان ذو النورين ثم علي المرتضى - رضي الله عنهم أجمعين لما روى عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال كنا نقول والنبي صلى الله عليه وسلم حي أفضل هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي فيبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فلا ينكره.

وصحت الرواية عن علي رضي الله عنه أنه قال خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر ولو شئت لسميت الثالث[١].

وروى أبو الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ما طلعت الشمس ولا غربت بعد النبيين والمرسلين على أفضل من أبي بكر[٢].

وهو أحق خلق الله بالخلافة بعد النبي صلى الله عليه وسلم لفضله وسابقته وتقديم النبي صلى الله عليه وسلم له في الصلاة على جميع الصحابة رضي الله عنهم[٣] وإجماع الصحابة على تقديمه ومبايعته[٤] ولم يكن الله ليجمعهم على ضلالة.

ثم من بعده عمر رضي الله عنه لفضله وعهد أبي بكر إليه.

---

(١) صحيح رواه أحمد (١/ ١٠٦) وغيره بعدة أسانيد قويه فالأثر صحيح.

(٢) أخرجه ابن أبي عاصم في السنه (١٢٢٤) وغيره وفي سنده عبد الله بن سفيان الخزاعي ضعيف وبقية مدلس وقد عنعن وله طريق أخرى عند أبي نعيم في الحلية (١٠/ ٣٠١) وفيها إسماعيل بن يحيى التيمي كذاب فالحديث ضعيف.

(٣) (خ ٧١٢) (م٤١٨) عن عائشة رضي الله عنها.

(٤) (خ ٣٦٦٨).

ثم عثمان رضي الله عنه لتقديم أهل الشورى له(١).

ثم علي رضي الله عنه لفضله وإجماع أهل عصره عليه.

وهؤلاء الخلفاء الراشدون المهديون الذين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم: "عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ(٢)".

وقال صلى الله عليه وسلم: "الخلافة من بعدي ثلاثون سنة"(٣). فكان آخرها خلافة علي رضي الله عنه.

... الشرح...

الصحابي من اجتمع بالنبي صلى الله عليه وسلم مؤمناً به ومات على ذلك.

وأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أفضل أصحاب الأنبياء؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم: "خير الناس قرني". الحديث رواه البخاري(٤) وغيره.

وأفضل الصحابة المهاجرون لجمعهم بين الهجرة والنصرة، ثم الأنصار.

وأفضل المهاجرين الخلفاء الأربعة الراشدون: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي رضي الله عنهم.

فأبو بكر هو الصديق عبد الله بن عثمان بن عامر من بني تيم بن مرة بن كعب، أول من آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم من الرجال وصاحبه في الهجرة، ونائبه في الصلاة والحج،

---

(١) (خ ٣٧٠٠).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) أخرجه أبو داود (٤٦٤٦) والترمذي (٢٢٢٦) وأحمد (٥/ ٢٢٠) وغيرهم وصححه الألباني في السنن والوادعي في جامعه (٤/ ٥٠٤).

(٤) (خ ٣٦٥٠) (م ٢٥٣٥) عن عمران رضي الله عنه.

(خ ٣٦٥١) (م ٢٥٣٣) عن ابن مسعود رضي الله عنه.

وخليفته في أمته، اسلم على يديه خمسة من المبشرين بالجنة عثمان، والزبير، وطلحة، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، توفي في جمادى الآخرة سنة ١٣ هـ عن ٦٣ سنة وهؤلاء الخمسة مع أبي بكر، وعلي بن أبي طالب، وزيد بن حارثة، هم الثمانية الذين سبقوا الناس بالإسلام قاله ابن إسحاق يعني من الذكور بعد الرسالة.

وعمر هو أبو حفص الفاروق عمر بن الخطاب من بني عدي بن كعب بن لؤي، أسلم في السنة السادسة من البعثة بعد نحو أربعين رجلاً وإحدى عشرة امرأة، ففرح المسلمون به وظهر الإسلام بمكة بعده. استخلفه أبو بكر على الأمة فقام بأعباء الخلافة خير قيام إلى أن قتل شهيداً في ذي الحجة سنة ٢٣هـ عن ٦٣ سنة.

وعثمان هو أبو عبد الله ذو النورين عثمان بن عفان من بني أمية بن عبد شمس بن عبد مناف. أسلم قبل دخول النبي صلى الله عليه وسلم دار الأرقم كان غنياً سخياً، تولى الخلافة بعد عمر بن الخطاب باتفاق أهل الشورى إلى أن قتل شهيداً في ذي الحجة سنة ٣٥هـ عن ٩٠ سنة على أحد الأقوال.

وعلي وهو أبو الحسن علي بن أبي طالب، واسم أبي طالب عبد مناف بن عبد المطلب، أول من أسلم من الغلمان، أعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم الراية يوم خيبر ففتح الله على يديه(١)، وبويع بالخلافة بعد قتل عثمان رضي الله عنهما، فكان هو الخليفة شرعاً إلى أن قتل شهيداً في رمضان سنة ٤٠ هـ عن ٦٣ سنة.

وأفضل هؤلاء الأربعة أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي، لحديث ابن عمر رضي الله عنهما: "كنا نخير بين الناس في زمن النبي صلى الله عليه وسلم، فنخير أبا بكر، ثم عمر بن الخطاب،

(١) (خ ٣٧٠١) (م ٢٤٠٦) عن سهل بن سعد رضي الله عنه.

ثم عثمان بن عفان" رواه البخاري[١] ولأبي داود: "كنا نقول ورسول الله صلى الله عليه وسلم حي: أفضل أمة النبي صلى الله عليه وسلم بعده أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان"[٢] زاد الطبراني في رواية: "فيسمع ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فلا ينكره"[٣]. هذا ولم أجد اللفظ الذي ذكره المؤلف بزيادة علي بن أبي طالب.

وأحقهم بالخلافة بعد النبي صلى الله عليه وسلم أبو بكر رضي الله عنه؛ لأنه أفضلهم وأسبقهم إلى الإسلام، ولأن النبي صلى الله عليه وسلم قدمه في الصلاة، ولأن الصحابة رضي الله عنهم أجمعوا على تقديمه ومبايعته ولا يجمعهم الله على ضلالة، ثم عمر رضي الله عنه لأنه أفضل الصحابة بعد أبي بكر، ولأن أبا بكر عهد بالخلافة إليه، ثم عثمان رضي الله عنه لفضله، وتقديم أهل الشورى له وهم المذكورون في هذا البيت.

علي وعثمان وسعد وطلحة زبير وذو عوف رجال المشورة

ثم علي رضي الله عنه لفضله، وإجماع أهل عصره عليه.

****

---

(١) (خ ٣٦٥٥) (٣٦٩٧).

(٢) (د ٤٦٢٨) وسنده صحيح.

(٣) ضعيف (طب ١٢/ ٢٨٥) وهو في مجمع البحرين بسنده في الأوسط (٦/ ٣٦٥٢) إلا أن سنده ضعيف فهو في الكبير من طريق إسحاق بن زبريق عن عمرو بن الحارث، وإسحاق ضعيف جداً عن عمرو بن الحارث.

وقد روى بسند أحسن منه قبله وليس فيه هذه الزيادة.

وأما سند الأوسط فهو شاذ فيه ابن لهيعة والحديث روي عن نافع عن طرق كثيرة ليس فيها هذه الزيادة، وله طريق أخرى عن ابن لهيعة أضعف من الأولى عند أبي يعلى (٦٥٠٤).

وهؤلاء الأربعة هم الخلفاء الراشدون المهديون الذين قال فيهم النبي صلى الله عليه وسلم: "عليكم بسنتي، وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي، عضوا عليها بالنواجذ[(١)]".

وقال: "الخلافة بعدي ثلاثون سنة". رواه أحمد وأبو داود والترمذي[(٢)].

قال الألباني: وإسناده حسن. فكان آخرها خلافة علي، هكذا قال المؤلف وكأنه جعل خلافة الحسن تابعة لأبيه، أو لم يعتبرها حيث إنه رضي الله عنه تنازل عنها.

فخلافة أبي بكر رضي الله عنه سنتان وثلاثة أشهر وتسع ليال من ١٣ ربيع الأول سنة ١١هـ إلى ٢٢ جمادى الآخرة سنة ١٣هـ.

وخلافة عمر رضي الله عنه عشر سنوات وستة أشهر وثلاثة أيام من ٢٣ جمادى الآخرة سنة ١٣هـ إلى ٢٦ ذي الحجة سنة ٢٣هـ.

وخلافة عثمان رضي الله عنه أثنتا عشرة سنة إلا اثني عشر يوماً من ١ محرم سنة ٢٤هـ إلى ذي الحجة سنة ٣٥هـ.

وخلافة علي رضي الله عنه أربع سنوات وتسعة أشهر من ١٩ ذي الحجة سنة ٣٥هـ إلى ١٩ رمضان سنة ٤٠هـ.

فمجموع خلافة هؤلاء الأربعة تسع وعشرون سنة وستة أشهر وأربعة أيام.

(١) تقدم تخريجه في أول الكتاب.

(٢) رواه أحمد (٥/ ٢٢٠) (ت ٢٢٢٦) (د ٤٦٤٦) ، صحيح أبي داود (٤٨٨٢)، الجامع الصحيح (٤/ ٥٠٨) عن سفينة رضي الله عنه.

ثم بويع الحسن بن علي رضي الله عنهما يوم مات أبوه علي رضي الله عنه، وفي ربيع الأول سنة ٤١هـ سلم الأمر إلى معاوية وبذلك ظهرت آية النبي صلى الله عليه وسلم في قوله: "الخلافة بعدي ثلاثون سنة" وقوله في الحسن: "إن ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين". رواه البخاري(١).



(١) (خ ٢٧٠٤) من حديث أبي بكره رضي الله عنه.

[الشهادة بالجنة أو النار]

ونشهد للعشرة بالجنة كما شهد لهم النبي صلى الله عليه وسلم فقال: (أبو بكر في الجنة وعمر في الجنة وعثمان في الجنة وعلي في الجنة وطلحة في الجنة والزبير في الجنة وسعد في الجنة وسعيد في الجنة وعبد الرحمن بن عوف في الجنة وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة).

وكل من شهد له النبي صلى الله عليه وسلم شهدنا له بها كقوله الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة وقوله لثابت بن قيس إنه من أهل الجنة.

ولا نجزم لأحد من أهل القبلة بجنة ولا نار إلا من جزم له الرسول صلى الله عليه وسلم لكنا نرجو للمحسن ونخاف على المسيء.

... الشرح...

الشهادة بالجنة أو النار ليس للعقل فيها مدخل فهي موقوفة على الشرع، فمن شهد له الشارع بذلك شهدنا له، ومن لا فلا، لكننا نرجو للمحسن، ونخاف على المسيء.

وتنقسم الشهادة بالجنة أو النار إلى قسمين عامة وخاصة:

فالعامة هي المعلقة بالوصف مثل أن نشهد لكل مؤمن بأنه في الجنة أو لكل كافر بأنه في النار، أو نحو ذلك من الأوصاف التي جعلها الشارع سبباً لدخول الجنة أو النار.

والخاصة هي المعلقة بشخص مثل أن نشهد لشخص معين بأنه في الجنة، أو لشخص معين بأنه في النار فلا نعين إلا ما عينه الله أو رسوله.

المعينون من أهل الجنة:

المعينون من أهل الجنة كثيرون ومنهم: العشرة المبشرون بالجنة وخصوا بهذا الوصف لأن النبي صلى الله عليه وسلم جمعهم في حديث واحد فقال: "أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان

في الجنة، وعلي في الجنة، وطلحة في الجنة والزبير في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة، وسعد بن أبي وقاص في الجنة، وسعيد بن زيد في الجنة، وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة".

رواه الترمذي[1]وصححه الألباني.

وقد سبق الكلام على الخلفاء الأربعة، وأما الباقون فجمعوا في هذا البيت:

سعيد وسعد وابن عوف وطلحة وعامر فهرٍ والزبير الممدح.

فطلحة هو ابن عبيد الله من بني تميم بن مرة، أحد الثمانية السابقين إلى الإسلام، قتل يوم الجمل في جمادى الآخرة سنة ٣٦هـ عن ٦٤ سنة.

والزبير هو ابن العوام من بني قصي بن كلاب ابن عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم، انصرف يوم الجمل عن قتال علي فلقيه ابن جرموز فقتله في جمادى الأولى سنة ٣٦هـ عن ٦٧ سنة.

وعبد الرحمن بن عوف من بني زهرة بن كلاب، توفي سنة ٣٢هـ عن ٧٢ سنة ودفن بالبقيع.

وسعد بن أبي وقاص، هو ابن مالك من بني عبد مناف ابن زهرة، أول من رمى بسهم في سبيل الله، مات في قصره بالعقيق على عشرة أميال من المدينة ودفن بالبقيع سنة ٥٥هـ عن ٨٢ سنة.

وسعيد بن زيد، هو ابن زيد بن عمرو بن نفيل العدوي، كان من السابقين إلى الإسلام، توفي بالعقيق ودفن بالمدينة سنة ٥١هـ عن بضع وسبعين سنة.

أبو عبيده هو عامر بن عبد الله بن الجراح من بني فهر، من السابقين إلى الإسلام توفي في الأردن في طاعون عمواس سنة ١٨هـ عن ٥٨ سنة.

وممن شهد له النبي صلى الله عليه وسلم بالجنة الحسن، والحسين، وثابت بن قيس.

---

(١) (ت ٣٧٤٨) (د ٤٦٤٩) وغيرهما من حديث سعيد بن زيد رضي الله عنه وصححه العلامة الألباني رحمه الله تعالى واحتج به الشيخ مقبل رحمه الله تعالى.

قال النبي صلى الله عليه وسلم: "الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة". رواه الترمذي، وقال حسن صحيح(١).

قال صلى الله عليه وسلم في ثابت بن قيس: "إنك لست من أهل النار، ولكنك من أهل الجنة" رواه البخاري(٢).

فالحسن سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم وريحانته، وهو أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، ولد في ١٥ رمضان سنة ٣هـ، ومات في المدينة ودفن في البقيع في ربيع الأول سنة ٥٠هـ.

والحسين سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم وريحانته، وهو ابن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ولد في شعبان سنة ٤هـ، وقتل في كر بلاء في ١٠ محرم سنة ٦١هـ.

وثابت وهو ابن قيس بن شماس الأنصاري الخزرجي خطيب الأنصار، قتل شهيداً يوم اليمامة سنة ١١هـ في آخرها، أو أول سنة ١٢هـ.

المعينون من أهل النار في الكتاب والسنة:

من المعينين بالقرآن: أبو لهب عبد العزي بن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم، وامرأته أم جميل اروى بنت حرب بن أمية أخت أبي سفيان؛ لقوله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾(٣) إلى آخر السورة.

---

(١) (ت ٣٧٦٨) وأحمد (٣/ ١٦٦) وغيرهما وصححه الشيخان الألباني والوادعي في جامعه (٤/ باب فضائل الحسن والحسين).

(٢) (خ ٣٦١٣)(م ١١٩) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٣) سورة المسد، الآية: ١.

ومن المعينين بالسنة: أبو طالب عبد مناف بن عبد المطلب؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم: "أهون أهل النار عذاباً أبو طالب وهو منتعل نعلين يغلي منهما دماغه".

رواه البخاري[1].

ومنهم عمرو بن عامر بن لحي الخزاعي، قال النبي صلى الله عليه وسلم: "رأيته يجر أمعاءه في النار". رواه البخاري وغيره[2].



(١) متفق عليه عن النعمان بن بشير وغيره وقد تقدم في باب الشفاعة.

(٢) (خ ٤٦٢٤) (م ٩٠١) من حديث عائشه رضي الله عنها ، ومسلم (٩٠٤) من حديث جابر رضي الله عنه.

(خ ٣٥٢٠) عن عمران رضي الله عنه .(خ ٣٥٢١) (م ٢٨٥٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

[تكفير أهل القبلة بالمعاصي]

ولا نكفر أحداً من أهل القبلة بذنب ولا نخرجه عن الإسلام بعمل.

ونرى الحج والجهاد ماضيان مع طاعة كل إمام برا كان أو فاجرا وصلاة الجمعة خلفهم جائزة.

قال أنس قال النبي صلى الله عليه وسلم: "ثلاث من أصل الإيمان الكف عمن قال لا إله إلا الله ولا نكفره بذنب ولا نخرجه من الإسلام بعمل والجهاد ماض منذ بعثني الله عز وجل حتى يقاتل آخر أمتي الدجال لا يبطله جور جائر ولا عدل عادل والإيمان بالأقدار." رواه أبو داود[١].

... الشرح ...

أهل القبلة هم المسلمون المصلون إليها، لا يكفرون بفعل الكبائر، ولا يخرجون من الإسلام بذلك، ولا يخلدون في النار؛ لقوله تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾[٢] إلى قوله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾[٣]. فأثبت الأخوة الإيمانية مع القتال وهو من الكبائر، ولو كان كفراً لانتفت الأخوة الإيمانية.

---

(١) (د ٢٥٣٢) وغيره عن أنس، وفي سنده يزيد بن أبي نشبه مجهول وهو حديث ضعيف ضعفه الشيخ الألباني في ضعيف أبي داود وضعيف الجامع.

(٢) سورة الحجرات، الآية: ٩.

(٣) سورة الحجرات، الآية: ١٠.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "يقول الله تعالى: من كان في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان فأخرجوه". يعني من النار. متفق عليه(١).

وخالف في هذا طائفتان:

الأولى: الخوارج قالوا: فاعل الكبيرة كافر خالد في النار.

الثانية: المعتزلة قالوا: فاعل الكبيرة خارج عن الإيمان ليس بمؤمن ولا كافر في منزلة بين منزلتين وهو خالد في النار.

ونرد على الطائفتين بما يلي:

١- مخالفتهم نصوص الكتاب، والسنة.

٢- مخالفتهم لإجماع السلف.

****

(١) (خ ٤٤) (م ١٩٢/ ٣٢٥) من حديث أنس بنحو هذا اللفظ وجاء عن عدة من الصحابة بنحوه.

[حقوق الصحابة رضي الله عنهم]

ومن السنة تولي أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومحبتهم وذكر محاسنهم والترحم عليهم والاستغفار لهم والكف عن ذكر مساوئهم وما شجر بينهم واعتقاد فضلهم ومعرفة سابقتهم قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاً لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾.

وقال تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾.

... الشرح...

للصحابة رضي الله عنهم فضل عظيم على هذه الأمة حيث قاموا بنصرة الله، ورسوله، والجهاد في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم، وحفظ دين الله بحفظ كتابه، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، علماً، وعملاً، وتعليماً حتى بلغوه الأمة نقياً طرياً.

وقد أثنى الله عليهم في كتابه أعظم ثناء حيث يقول في سورة الفتح: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللهِ وَرِضْوَاناً﴾(١). إلى آخر السورة.

وحمى رسول الله صلى الله عليه وسلم حمى كرامتهم حيث يقول صلى الله عليه وسلم: "لا تسبوا أصحابي، والذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه". متفق عليه(٢).

فحقوقهم على الأمة من أعظم الحقوق، فلهم على الأمة:

١- محبتهم بالقلب، والثناء عليهم باللسان بما أسدوه من المعروف والإحسان.

---

(١) سورة الفتح، الآية: ٢٩.

(٢) (خ٣٦٧٣) (م ٢٥٤١) من حديث أبي سعيد رضي الله عنه.

٢- الترحم عليهم، والاستغفار لهم تحقيقاً لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاً لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾(١).

٣- الكف عن مساوئهم التي إن صدرت عن أحد منهم فهي قليلة بالنسبة لما لهم من المحاسن والفضائل، وربما تكون صادرة عن اجتهاد مغفور وعمل معذور لقوله صلى الله عليه وسلم: "لا تسبوا أصحابي". الحديث.



(١) سورة الحشر، الآية: ١٠.

[حكم سب الصحابة]

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "لا تسبوا أصحابي فإن أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه(١)".

... الشرح...

سب الصحابة على ثلاثة أقسام:

الأول: أن يسبهم بما يقتضي كفر أكثرهم، أو أن عامتهم فسقوا، فهذا كفر لأنه تكذيب لله ورسوله بالثناء عليهم والترضي عنهم، بل من شك في كفر مثل هذا فإن كفره متعين؛ لأن مضمون هذه المقالة أن نقلة الكتاب أو السنة كفار، أو فساق.

الثاني: أن يسبهم باللعن والتقبيح، ففي كفره قولان لأهل العلم، وعلى القول بأنه لا يكفر يجب أن يجلد ويحبس حتى يموت أو يرجع عما قال.

الثالث: أن يسبهم بما لا يقدح في دينهم كالجبن والبخل فلا يكفر، ولكن يعزر بما يردعه عن ذلك، ذكر معنى ذلك شيخ الإسلام ابن تيميه في كتاب "الصارم المسلول"، ونقل عن أحمد (ص٥٧٣) قوله: "لا يجوز لأحد أن يذكر شيئاً من مساوئهم، ولا يطعن على أحد منهم بعيب أو نقص، فمن فعل ذلك أدب، فإن تاب وإلا جلد في الحبس حتى يموت أو يرجع".

****

(١) تقدم قريباً .

[حقوق زوجات النبي صلى الله عليه وسلم]

ومن السنة الترضي عن أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم أمهات المؤمنين المطهرات المبرآت من كل سوء أفضلهم خديجة بنت خويلد وعائشة الصديقة بنت الصديق التي برأها الله في كتابه زوج النبي صلى الله عليه وسلم في الدنيا والآخرة فمن قذفها بما برأها الله منه فقد كفر بالله العظيم.

... الشرح...

زوجات النبي صلى الله عليه وسلم، زوجاته في الدنيا والآخرة، وأمهات المؤمنين، ولهن من الحرمة والتعظيم ما يليق بهن كزوجات لخاتم النبيين فهن من آل بيته طاهرات، مطهرات، طيبات، مطيبات، بريئات، مبرآت من كل سوء يقدح في أعراضهن وفرشهن، فالطيبات للطيبين، والطيبون للطيبات، فرضي الله عنهن وأرضاهن أجمعين، وصلى الله وسلم على نبيه الصادق الأمين.

زوجاته صلى الله عليه وسلم اللاتي كان فراقهن بالوفاة وهن:

١- خديجة بنت خويلد أم أولاده – ما عدا إبراهيم – تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد زوجين: الأول عتيق بن عابد. والثاني أبو هالة التميمي ولم يتزوج صلى الله عليه وسلم عليها حتى ماتت سنة ١٠هـ من البعثة قبل المعراج.

٢- عائشة بنت أبي بكر الصديق، أريها صلى الله عليه وسلم في المنام مرتين أو ثلاثاً. وقيل: هذه امرأتك، فعقد عليها ولها ست سنين بمكة ودخل عليها في المدينة ولها تسع سنين، توفيت سنة ٥٨هـ.

٣- سودة بنت زمعة العامرية، تزوجها بعد زوج مسلم هو السكران بن عمرو أخو سهيل بن عمرو، توفيت آخر خلافة عمر وقيل سنة ٥٤هـ.

٤ – حفصة بنت عمر بن الخطاب، تزوجها صلى الله عليه وسلم بعد زوج مسلم هو خنيس بن حذافة الذي قتل في أحد، وماتت سنة ٤١هـ.

٥– زينب بنت خزيمة الهلالية أم المساكين، تزوجها بعد استشهاد زوجها عبد الله بن جحش في أحد، وماتت سنة ٤هـ بعد زواجها بيسير.

٦– أم سلمة هند بنت أبي أمية المخزومية، تزوجها بعد موت زوجها أبي سلمة عبد الله بن عبد الأسد من جراحة أصابته في أحد، وماتت سنة ٦١هـ .

٧– زينب بنت جحش الأسدية بنت عمته صلى الله عليه وسلم، تزوجها بعد مولاه زيد بن حارثة سنة ٥هـ، وماتت سنة ٢٠هـ.

٨– جويرية بنت الحارث الخزاعية، تزوجها بعد زوجها مسافع بن صفوان وقيل: مالك بن صفوان سنة ٦هـ، وماتت سنة ٥٦هـ.

٩– أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان، تزوجها بعد زوج أسلم ثم تنصر[(١)] هو عبيد الله بن جحش، وماتت في المدينة في خلافة أخيها سنة ٤٤هـ.

١٠– صفية بنت حيي بن أخطب من بني النضير من ذرية هارون بن عمران صلى الله عليه وسلم، أعتقها وجعل عتقها صداقها بعد زوجين أولها سلام بن مشكم. والثاني كنانة بن أبي الحقيق بعد فتح خيبر سنة ٦هـ، وماتت سنة ٥٠هـ.

١١– ميمونة بنت الحارث الهلالية، تزوجها سنة ٧هـ في عمرة القضاء بعد زوجين: الأول ابن عبد ياليل والثاني أبورهم بن عبد العزي، بنى بها في سرف، وماتت فيه سنة ٥١هـ.

فهذه زوجات النبي صلى الله عليه وسلم، اللاتي كان فراقهن بالوفاة، اثنتان توفيتا قبله وهما: خديجة، وزينب بنت خزيمة، وتسع توفي عنهن وهن البواقي.

---

(١) فيه نظر لعدم صحة الدليل على تنصره.

وبقي اثنتان لم يدخل بهما، ولا يثبت لهما من الأحكام والفضيلة ما يثبت للسابقات وهما:

١ – أسماء بنت النعمان الكندية تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم ثم فارقها، واختلف في سبب الفراق، فقال ابن إسحاق: إنه وجد في كشحها بياضاً ففارقها فتزوجها بعده المهاجر بن أبي أمية.

٢– أميمة بنت النعمان بن شراحيل الجونية وهي التي قالت: "أعوذ بالله منك[١]" ففارقها والله أعلم.

وأفضل زوجات النبي صلى الله عليه وسلم خديجة، وعائشة رضي الله عنهما[٢]، ولكل منهما مزية على الأخرى، فلخديجة في أول الإسلام ما ليس لعائشة من السبق والمؤازرة، والنصرة، ولعائشة في آخر الأمر ما ليس لخديجة من نشر العلم، ونفع الأمة، وقد برأها الله مما رماها به أهل النفاق من الإفك في سورة النور.

قذف أمهات المؤمنين

قذف عائشة بما برأها الله منه كفر؛ لأنه تكذيب للقرآن، وفي قذف غيرها من أمهات المؤمنين قولان لأهل العلم: أصحهما أنه كفر؛ لأنه قدح في النبي صلى الله عليه وسلم، فإن الخبيثات للخبيثين.

---

(١) رواه البخاري (٥٢٥٤) عن عائشه رضي الله عنها .

(٢) وخديجه أفضل بنص الحديث لقوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم (خير نسائها خديجة) – أي هذه الأمة – رواه مسلم (٢٤٣٠) فلا مفاضلة بعد ورود النص، والله أعلم.

[معاوية بن أبي سفيان]

ومعاوية خال المؤمنين وكاتب وحي الله أحد خلفاء المسلمين رضي الله عنهم.

... الشرح...

هو أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب، ولد قبل البعثة بخمس سنين ، وأسلم عام الفتح وقيل: أسلم بعد الحديبية وكتم إسلامه، ولاه عمر الشام واستمر عليه، وتسمى بالخلافة بعد الحكمين عام ٣٧هـ، واجتمع الناس عليه بعد تنازل الحسن بن علي سنة ٤١هـ، كان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم، ومن جملة كتاب الوحي، توفي في رجب سنة ٦٠هـ عن ٧٨ سنة. وإنما ذكره المؤلف وأثنى عليه للرد على الروافض الذين يسبونه ويقدحون فيه، وسماه خال المؤمنين لأنه أخو أم حبيبة إحدى أمهات المؤمنين، وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيميه في منهاج السنة ص١٩٩ ج٢ نزاعاً بين العلماء: هل يقال لإخوة أمهات المؤمنين أخوال المؤمنين أم لا[١]؟

****

(١) والراجح عدم قول ذلك فلا دليل عليه. والله أعلم.

[الخلافة]

ومن السنة السمع والطاعة لأئمة المسلمين وأمراء المؤمنين برهم وفاجرهم ما لم يأمروا بمعصية الله فإنه لا طاعة لأحد في معصية الله.

ومن ولي الخلافة واجتمع عليه الناس ورضوا به أو غلبهم بسيفه حتى صار الخليفة وسمي أمير المؤمنين وجبت طاعته وحرمت مخالفته والخروج عليه وشق عصا المسلمين.

... الشرح...

الخلافة منصب كبير، ومسؤولية عظيمة، وهي تولي تدبير أمور المسلمين بحيث يكون هو المسؤول الأول في ذلك، وهي فرض كفاية؛ لأن أمور الناس لا تقوم إلا بها.

وتحصل الخلافة بواحد من أمور ثلاثة:

الأول: النص عليه من الخليفة السابق، كما في خلافة عمر بن الخطاب فإنها بنص من أبي بكر رضي الله عنه.

الثاني: اجتماع أهل الحل والعقد سواء كانوا معينين من الخليفة السابق كما في خلافة عثمان رضي الله عنه، فإنها باجتماع من أهل الحل والعقد المعينين من قبل عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أم غير معينين كما ي خلافة أبي بكر رضي الله عنه على أحد الأقوال، وكما في خلافة علي رضي الله عنه.

الثالث: القهر والغلبة كما في خلافة عبد الملك بن مروان حين قتل ابن الزبير وتمت الخلافة له.

حكم طاعة الخليفة

طاعة الخليفة وغيره من ولاة الأمور واجبة في غير معصية الله لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾(١).

---

(١) سورة النساء، الآية: ٥٩.

ولقوله صلى الله عليه وسلم: "السمع والطاعة على المسلم فيما أحب وكره، ما لم يؤمر بمعصية فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة". متفق عليه(١).

وسواء كان الإمام براً وهو القائم بأمر الله فعلاً وتركاً، أو فاجراً وهو الفاسق لقوله صلى الله عليه وسلم: "ألا من ولي عليه والٍ فرآه يأتي شيئاً من معصية الله فليكره ما يأتي من معصية الله ولا ينزعن يداً من طاعة". رواه مسلم(٢).

والحج والجهاد مع الأئمة ماضيان نافذان، وصلاة الجمعة خلفهم جائزة سواء كانوا أبراراً أو فجاراً؛ لأن مخالفتهم في ذلك توجب شق عصا المسلمين والتمرد عليهم.

والحديث الذي ذكره المؤلف "ثلاث من أصل الإيمان..." إلخ ضعيف كما رمز له السيوطي في الجامع الصغير، وفيه راو قال المزي: إنه مجهول. وقال المنذري في مختصر أبي داود: شبه مجهول.

والثلاث الخصال المذكورة فيه هي: "الكف عمن قال: لا إله إلا الله" والثانية: "الجهاد ماض" إلخ. والثالثة: "الإيمان بالأقدار".

والخروج على الإمام محرم لقول عبادة بن الصامت رضي الله عنه: "بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في منشطنا، ومكرهنا، وعسرنا، ويسرنا، وأثرة علينا، وأن لا ننازع الأمر أهله، إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم فيه من الله برهان". متفق عليه(٣).

---

(١) (خ ٧١٤٤) (م١٨٣٩) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) (م ١٨٥٥) من حديث عوف بن مالك رضي الله عنه.

(٣) (خ ٧٠٥٥) (م - الإمارة ٤٢/ ٤١).

وقال صلى الله عليه وسلم: "يكون عليكم أمراء تعرفون وتنكرون، فمن أنكر فقد برئ، ومن كره فقد سلم، ولكن من رضي وتابع" قالوا: أفلا نقاتلهم؟ قال: "لا، ما صلوا. لا، ما صلوا". أي من كره بقلبه وأنكر بقلبه. رواه مسلم(١).

ومن فوائد الحديثين أن ترك الصلاة كفر بواح(٢)؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يجز الخروج على الأئمة إلا بكفر بواح، وجعل المانع من قتالهم فعل الصلاة، فدل على أن تركها مبيح لقتالهم، وقتالهم لا يباح إلا بكفر بواح كما في حديث عبادة.

❊❊❊❊

(١) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

(٢) والجمهور على أنها كبيرة فقط. أ.هـ

[هجران أهل البدع]

ومن السنة هجران أهل البدع ومباينتهم وترك الجدال والخصومات في الدين وترك النظر في كتب المبتدعة والإصغاء إلى كلامهم وكل محدثة في الدين بدعة.

... الشرح ...

الهجران مصدر هجر وهو لغة: الترك.

والمراد بهجران أهل البدع: الابتعاد عنهم، وترك محبتهم، وموالاتهم، والسلام عليهم، وزيارتهم، وعيادتهم، ونحو ذلك.

وهجران أهل البدع واجب(١)؛ لقوله تعالى: ﴿لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ﴾(٢). ولأن النبي صلى الله عليه وسلم هجر كعب بن مالك وصاحبيه حين تخلفوا عن غزوة تبوك(٣).

---

(١) أجمع السلف على وجوب هجران أهل الأهواء من ذلك قول الإمام أحمد رحمه الله تعالى: الذي كنا نسمع وأدركنا عليه من أدركنا من أهل العلم أنهم يكرهون الكلام والجلوس مع أهل الزيغ... الإبانة لابن بطه (٢/ ٤٢٧).

وقال عبد الرحمن بن أبي حاتم: سمعت أبي وأبا زرعة يأمران بهجران أهل الزيغ والبدع ... وقال: قالا : أدركنا – على هذا العلماء في جميع الأمصار ...أ.هـ اللالكائي ١/ ١٩٧-٢٠٢ .

وقال ابن تيميه رحمه الله تعالى: رأى المسلمون أن يهجروا من ظهرت عليه علامات الزيغ من المظهرين للبدع ... الفتاوى (٢٤/ ١٧٤-١٧٥).

(٢) سورة المجادلة، الآية: ٢٢.

(٣) (خ ٤٤١٨ ، ٤٦٧٧) (م ٢٧٦٩) من حديث كعب رضي الله عنه.

لكن إن كان في مجالستهم مصلحة[(١)] لتبيين الحق لهم وتحذيرهم من البدعة فلا بأس بذلك، وربما يكون ذلك مطلوباً؛ لقوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[(٢)]. وهذا قد يكون بالمجالسة، والمشافهة، وقد يكون بالمراسلة، والمكاتبة، ومن هجر أهل البدع: ترك النظر في كتبهم[(٣)] خوفاً من الفتنة بها، أو ترويجها بين الناس، فالابتعاد عن مواطن الضلال واجب لقوله صلى الله عليه وسلم في الدجال: "من سمع به فلينأ عنه، فو الله إن الرجل ليأتيه وهو يحسب أنه مؤمن فيتبعه مما يبعث به من الشبهات". رواه أبو داود[(٤)]. قال الألباني: وإسناده صحيح.

---

(١) وتحققت وجود المصلحة بالظن الغالب ويكون المناقش لهم من أهل العلم الذين يؤمن عليهم الفتنه إن شاء الله.

(٢) سورة النحل، الآية: ١٢٥.

(٣) أجمع السلف على ترك النظر في كتب أهل والأهواء كما قال أبو القاسم الأصفهاني رحمه الله تعالى: ثم من السنه .. ترك النظر في كتبهم ، فهذه السنة التي اجتمعت عليها الأئمة وهي مأخوذة عن رسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم بأمر الله تبارك وتعالى.

(٤) (د ٤٣١٩) وغيره من حديث عمران بن حصين رضي الله عنهما وصححه الشيخان والألباني والوادعي في جامعه (١/ كتاب العلم).

لكن إن كان الغرض من النظر في كتبهم معرفة بدعتهم للرد عليها فلا بأس بذلك لمن كان عنده من العقيدة الصحيحة ما يتحصن به وكان قادراً على الرد عليهم، بل ربما كان واجباً؛ لأن رد البدعة واجب، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب(١).

الجدال والخصام في الدين

الجدال: مصدر جادل، والجدل منازعة الخصم للتغلب عليه، وفي القاموس الجدل: اللد في الخصومة، والخصام: المجادلة فهما بمعنى واحد.

ويتقسم الخصام والجدال في الدين إلى قسمين:

الأول: أن يكون الغرض من ذلك إثبات الحق وإبطال الباطل، وهذا مأمور به إما وجوباً، أو استحباباً بحسب الحال؛ لقوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾(٢).

الثاني: أن يكون الغرض منه التعنيت، أو الانتصار للنفس، أو للباطل فهذا قبيح منهي عنه؛ لقوله تعالى: ﴿مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾(٣). وقوله: ﴿وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾(٤).

---

(١) وأجمع السلف على التحذير من أهل الأهواء والبدع وقال شيخ الإسلام ابن تيمه رضي الله تعالى: ومثل أئمة البدع فإن بيان حالهم والتحذير منهم واجب باتفاق المسلمين ...أ.هـ الفتاوى (٢٨/ ١٣١).

(٢) سورة النحل، الآية: ١٢٥.

(٣) سورة غافر، الآية: ٤.

(٤) سورة غافر، الآية: ٥.

[علامة أهل البدع وذكر بعض طوائفهم]

وكل متسم بغير الإسلام والسنة مبتدع كالرافضة والجهمية والخوارج والقدرية والمرجئة والمعتزلة و الكرامية و السالمية والكلابية ونظائرهم فهذه فرق الضلال وطوائف البدع أعاذنا الله منها.

... الشرح...

لأهل البدع علامات منها (١):

١ – أنهم يتصفون بغير الإسلام والسنة، بما يحدثونه من البدع القولية، والفعلية، والعقيدية.

٢ – أنهم يتعصبون لآرائهم، فلا يرجعون إلى الحق وإن تبين لهم.

٣– أنهم يكرهون أئمة الإسلام والدين.

ومن طوائفهم:

١ – الرافضة: وهم الذين يغلون في آل البيت ويكفرون من عداهم من الصحابة، أو يفسقونهم، وهم فرق شتى فمنهم الغلاة الذين ادعوا أن علياً إله، ومنهم دون ذلك. وأول ما ظهرت بدعتهم في خلافة علي بن أبي طالب حين قال له عبد الله بن سبأ: أنت الإله، فأمر علي – رضي اله عنه – بإحراقهم وهرب زعيمهم عبد الله بن سبأ إلى المدائن.

ومذهبهم في الصفات مختلف: فمنهم المشبه، ومنهم المعطل، ومنهم المعتدل.

وسموا رافضة لأنهم رفضوا زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب حين سألوه عن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، فترحم عليهما فرفضوه وأبعدوا عنه.

وسموا أنفسهم شيعة؛ لأنهم يزعمون أنهم يتشيعون لآل البيت وينتصرون لهم ويطالبون بحقهم في الإمامة.

---

(١) ولنا رسالة (علامات أهل البدع والأهواء).

٢- الجهمية: نسبة إلى الجهم بن صفوان الذي قتله سالم أو سلم بن أحوز سنة ١٢١هـ.

مذهبهم في الصفات التعطيل، والنفي، وفي القدر القول بالجبر، وفي الإيمان القول بالإرجاء وهو أن الإيمان مجرد الإقرار بالقلب وليس القول والعمل من الإيمان، ففاعل الكبيرة عندهم مؤمن كامل الإيمان فهم معطلة، جبرية، مرجئة وهم فرق كثيرة.

٣- الخوارج: وهم الذين خرجوا لقتال علي بن أبي طالب بسبب التحكيم.

مذهبهم التبرؤ من عثمان، وعلي، والخروج على الإمام إذا خالف السنة وتكفير فاعل الكبيرة، وتخليده في النار، وهم فرق عديدة.

٤- القدرية: وهم الذين يقولون بنفي القدر عن أفعال العبد، وأن للعبد إرادة وقدرة مستقلين عن إرادة الله وقدرته، وأول من أظهر القول به معبد الجهني في أواخر عصر الصحابة تلقاه عن رجل مجوسي في البصرة.

وهم فرقتان غلاة، وغير غلاة، فالغلاة ينكرون علم الله، وإرادته، وقدرته، وخلقه لأفعال العبد وهؤلاء انقرضوا أو كادوا. وغير الغلاة يؤمنون بأن الله عالم بأفعال العباد، لكن ينكرون وقوعها بإرادة الله، وقدرته، وخلقه، وهو الذين استقر عليه مذهبهم.

٥- المرجئة: وهم الذين يقولون بإرجاء العمل عن الإيمان أي تأخيره عنه فليس العمل عندهم من الإيمان، والإيمان مجرد الإقرار بالقلب فالفاسق عندهم مؤمن كامل الإيمان وإن فعل ما فعل من المعاصي أو ترك ما ترك من الطاعات، وإذا حكمنا بكفر من ترك بعض شرائع الدين فذلك لعدم الإقرار بقلبه لا لترك هذا العمل، وهذا مذهب الجهمية وهو مع مذهب الخوارج على طرفي نقيض.

٦- المعتزلة: أتباع واصل بن عطاء الذي اعتزل مجلس الحسن البصري، وقرر أن الفاسق في منزلة بين منزلتين لا مؤمن ولا كافر، وهو مخلد في النار، وتابعه في ذلك عمرو بن عبيد.

ومذهبهم في الصفات التعطيل كالجهمية، وفي القدر قدرية ينكرون تعلق قضاء الله وقدره بأفعال العبد، وفي فاعل الكبيرة أنه مخلد في النار وخارج من الإيمان في منزلة بين منزلتين الإيمان والكفر، وهم عكس الجهمية في هذين الأصلين.

٧- الكرامية: أتباع محمد بن كرام المتوفى سنة ٢٥٥هـ يميلون إلى التشبيه، والقول بالإرجاء وهم طوائف متعددة.

٨- السالمية: أتباع رجل يقال له ابن سالم، يقولون بالتشبيه.

وهذه هي الطوائف التي ذكرها المؤلف ثم قال: ونظرائهم مثل الأشعرية أتباع الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، كان في أول أمره يميل إلى الاعتزال حتى بلغ الأربعين من عمره، ثم أعلن توبته من ذلك، وبين بطلان مذهب المعتزلة وتمسك بمذهب أهل السنة رحمه الله، أما من ينتسبون إليه فبقوا على مذهب خاص يعرف بمذهب الأشعرية لا يثبتون من الصفات إلا سبعاً زعموا أن العقل دل عليها ويؤولون ما عداها وهي المذكورة في هذا البيت:

حي عليم قدير والكلام له إرادة وكذاك السمع والبصر

ولهم بدع أخرى في معنى الكلام، والقدر وغير ذلك.

****

[الخلاف في الفروع]

وأما بالنسبة إلى إمام في فروع الدين كالطوائف الأربع فليس بمذموم فإن الاختلاف في الفروع رحمة والمختلفون فيه محمودون في اختلافهم مثابون في اجتهادهم واختلافهم رحمة واسعة واتفاقهم حجة قاطعة.

نسأل الله أن يعصمنا من البدع والفتنة ويحيينا على الإسلام والسنة ويجعلنا ممن يتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحياة ويحشرنا في زمرته بعد الممات برحمته وفضله آمين.

وهذا آخر المعتقد والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

... الشرح...

الفروع جمع فرع وهو لغة: ما بني على غيره.

واصطلاحاً: ما لا يتعلق بالعقائد كمسائل الطهارة، والصلاة ونحوها.

والاختلاف فيها ليس بمذموم حيث كان صادراً عن نية خالصة واجتهاد، لا عن هوى وتعصب، لأنه وقع في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، ولم ينكره حيث قال في غزوة بني قريظة: "لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة". فحضرت الصلاة قبل وصولهم فأخر بعضهم الصلاة حتى وصلوا بني قريظة، وصلى بعضهم حين خافوا خروج الوقت، ولم ينكر النبي صلى الله عليه وسلم على واحد منهم. رواه البخاري(١). ولأن الاختلاف فيها موجود في الصحابة وهم خير القرون، ولأنه لا يورث عداوة، ولا بغضاء، ولا تفرق كلمة بخلاف الاختلاف في الأصول.

وقول المؤلف: "المختلفون فيه محمودون في اختلافهم" ليس ثناء على الاختلاف فإن الاتفاق خير منه، وإنما المراد به نفي الذم عنه، وأن كل واحد محمود على ما قال، لأنه مجتهد فيه مريد

---

(١) (خ ٩٤٦) (م ١٧٧٠) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما وهو في مسلم بلفظ الظهر.

للحق فهو محمود على اجتهاده واتباع ما ظهر له من الحق وإن كان قد لا يصيب الحق، وقوله: "إن الاختلاف في الفروع رحمة وإن اختلافهم رحمة واسعة"، أي داخل في رحمة الله وعفوه حيث لم يكلفهم أكثر مما يستطيعون ولم يلزمهم بأكثر مما ظهر لهم" فليس عليهم حرج في هذا الاختلاف، بل هم فيه داخلون تحت رحمة الله وعفوه، إن أصابوا فلهم أجران، وإن أخطئوا فلهم أجر واحد.



الإجماع وحكمه

الإجماع لغة: العزم والاتفاق.

واصطلاحاً: اتفاق العلماء المجتهدين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم على حكم شرعي بعد النبي صلى الله عليه وسلم.

وهو حجة لقوله تعالى:﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُول﴾(١). وقول النبي صلى الله عليه وسلم: "لا تجتمع أمتي على ضلالة". رواه الترمذي(٢).

التقليد

التقليد لغة: وضع القلادة في العنق.

واصطلاحاً: إتباع قول الغير بلا حجة.

وهو جائز(٣) لمن لا يصل إلى العلم بنفسه لقوله تعالى: (فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ)(٤).

(١) سورة النساء، الآية: ٥٩.

(٢) (ت ٢١٦٧) وغيره من حديث ابن عمر وحسنه الألباني رواه الحاكم (١/ ١١٦) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما وصححه الشيخان وغيرهما.

(٣) الأصل في التقليد لعوام المسلمين إذا سألوا أهل العلم الموثوق بهم فأفتوهم فذلك ما أوجب الله تعالى عليهم والله أعلم. وانظر إعلام الموقعين (٢/ ١٧٨ ، ١٨٢).

(٤) سورة النحل، الآية: ٤٣.

والمذاهب المشهورة أربعة:

المذهب الحنفي: وإمامه أبو حنيفة النعمان بن ثابت إمام أهل العراق، ولد سنة ٨٠هـ، وتوفي سنة ١٥٠هـ.

المالكي: وإمامه أبو عبد الله مالك بن أنس، إمام دار الهجرة، ولد سنة ٩٣هـ، وتوفي سنة ١٧٩هـ.

الشافعي: وإمامه أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي، ولد سنة ١٥٠هـ، وتوفي سنة ٢٠٤هـ.

الحنبلي: وإمامه أبو عبد الله أحمد بن حنبل، ولد سنة ١٦٤هـ، وتوفي سنة ٢٤١هـ.

وهناك مذاهب أخرى كمذهب الظاهرية، والزيدية، والسفيانية، وغيرهم، وكل يؤخذ من قوله ما كان صواباً، ويترك من قوله ما كان خطأً، ولا عصمة إلا في كتاب الله، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم[١].

نسأل الله أن يجعلنا من المتمسكين بكتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ظاهراً وباطناً، وأن يتوفانا على ذلك، وأن يتولانا في الدنيا والآخرة، وأن لا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا، وأن يهب لنا منه رحمة إنه هو الوهاب.

والحمد لله كثيراً، كما يحب ربنا ويرضى، وكما ينبغي لكرم وجهه، عز جلاله، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات،

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.



(١) وقد اتخذ أهل البدع المذاهب ستارًا لنشر بدعهم، فأضلوا الكثير.

تم في عصر الجمعة الموافق ١٣٩٢/١/١٠هـ.

بقلـــــــم

مؤلفه الفقير إلى الله

محمد الصالح العثيمين(١)

(١) وتوفي رحمه الله تعالى ورفع درجته في عليين عام ١٤٢٢هـ، ونحسبه والله حسيبه ممن عاش مجدداً للدين والعلم حتى توفاه الله سبحانه وتعالى.

تم بحمد الله وتوفيقه.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

نسأل الله حسن القصدُ والختام

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك .

التَّعْلِيقُ المُيَسَّرُ

عَلَى

العَقِيدَةِ الطَّحَاوِيَّةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، الإله الحق، الواحد الأحد، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، الداعي إلى الكتاب والسنة، ونبذة الشرك والبدعة، صلى الله عليه وعلى آله وسلم، أما بعد:

فهذا تعليقٌ على العقيدة الطحاوية بذكر أدلتها من الكتاب أو السنة، وذلك كله باختصار، والله المستعان.

وفائدة ذلك عظيمة، وهي أن يفهم المسلم هذه العقيدة ويحفظها بأدلتها وشيء من معانيها، وقد قوبلت على ثلاث نسخ خطية: أحدِها تتبع مكتبة قاضي زادة بتركيا، واثنتين تتبع مكتبة المخطوطات المنوعة الكبرى[(١)]، والحمد لله أولاً وآخراً، وظاهرًا وباطنًا،

وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم[(٢)].

وكتب

أبو عبد الله المصنعي

١٤٣٠هـ دار الحديث معبر

❊❊❊❊

(١) مأخوذة من قناة (جامع المخطوطات).

(٢) جزى الله تعالى خيراً الشيخ عائضاً الربيعي على مراجعته للكتاب.

مَتْنُ
العَقِيدَةِ الطَّحَاوِيةِ

بسم الله الرحمن الرحيم

حسبي الله ونعم الوكيل، الحمد لله رب العالمين.

قال العلامة حجة الإسلام أبو جعفر الوراق الطحاوي بمصر رحمه الله تَعَالَى:

« هذا ذِكْر بيان عقيدة أهل السنة والجماعة على مذهب فقهاء الملة: أبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي وأبي يوسف يعقوب بن إبراهيم الأنصاري وأبي عبد الله محمد بن الحسن الشيباني رضوان الله عليهم جميعاً(١) وما يعتقدون في أصول الدين ويَدينون به لربِّ العالمين.

نَقُولُ فِي تَوْحِيدِ الله مُعْتَقِدِينَ بِتَوْفِيقِ الله: إِنَّ اللهَ وَاحِدٌ لَا شَرِيكَ لَهُ، ولا شيء مِثْلُهُ.

وَلَا شَيْءَ يُعْجِزُهُ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُهُ، قَدِيمٌ بِلَا ابْتِدَاءٍ. دَائِمٌ بِلَا انْتِهَاءٍ. لَا يَفْنَى وَلَا يَبِيدُ، وَلَا يَكُونُ إِلَّا مَا يُرِيدُ. لَا تَبْلُغُهُ الْأَوْهَامُ، وَلَا تُدْرِكُهُ الْأَفْهَامُ، وَلَا يُشْبِهُ(٢) الْأَنَامَ، حَيٌّ لَا يَمُوتُ، قَيُّومٌ لَا يَنَامُ، خَالِقٌ بِلَا حَاجَةٍ، رَازِقٌ بِلَا مُؤْنَةٍ، مُمِيتٌ بِلَا مَخَافَةٍ، بَاعِثٌ بِلَا مَشَقَّةٍ، مَا زَالَ بِصِفَاتِهِ قَدِيمًا قَبْلَ خَلْقِهِ، لَمْ يَزْدَدْ بِكَوْنِهِمْ شَيْئًا لَمْ يَكُنْ قَبْلَهُمْ مِنْ صِفَاتِهِ، وَكَمَا كَانَ بِصِفَاتِهِ أَزَلِيًّا كَذَلِكَ لَا يَزَالُ عَلَيْهَا أَبَدِيًّا،

لَيْسَ مُنْذُ خَلَقَ الْخَلْقَ اسْتَفَادَ اسْمَ الْخَالِقِ، وَلَا بِإِحْدَاثِ الْبَرِيَّةِ اسْتَفَادَ اسْمَ الْبَارِي. لَهُ مَعْنَى الرُّبُوبِيَّةِ وَلَا مَرْبُوبَ، وَمَعْنَى الخالق وَلَا مَخْلُوق.

(١) في مخطوطتي المنوعة (رحمة الله عليهم أجمعين).

(٢) في نسخة عبد المحسن القاسم (يشبهه)

وَكَمَا أَنَّهُ مُحْيِي الْمَوْتَى بَعْدَ مَا أَحْيَا، اسْتَحَقَّ هَذَا الِاسْمَ قَبْلَ إِحْيَائِهِمْ، كَذَلِكَ اسْتَحَقَّ اسْمَ الْخَالِقِ قَبْلَ إِنْشَائِهِمْ، ذَلِكَ بِأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَكُلُّ شَيْءٍ إِلَيْهِ فَقِيرٌ، وَكُلُّ أَمْرٍ عَلَيْهِ يَسِيرٌ، لَا يَحْتَاجُ إِلَى شَيْءٍ، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾.

خَلَقَ الْخَلْقَ بِعِلْمِهِ، وَقَدَّرَ لَهُمْ أَقْدَارًا، وَضَرَبَ لَهُمْ آجَالًا، وَلَمْ يَخْفَ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أفعالِهِم قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَهُمْ، وَعَلِمَ مَا هُمْ عَامِلُونَ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَهُمْ، وَأَمَرَهُمْ بِطَاعَتِهِ، وَنَهَاهُمْ عَنْ مَعْصِيَتِهِ. وَكُلُّ شَيْءٍ يَجْرِي بِقُدْرَتِهِ وَمَشِيئَتِهِ، وَمَشِيئَتُهُ تَنْفُذُ؛ لَا مَشِيئَةَ لِلْعِبَادِ إِلَّا مَا شَاءَ لَهُمْ؛ فَمَا شَاءَ لَهُمْ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ. يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَيَعْصِمُ وَيُعَافِي فَضْلًا، وَيُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ، وَيَخْذُلُ وَيَبْتَلِي عَدْلًا، وَكُلُّهُمْ يَتَقَلَّبُونَ فِي مَشِيئَتِهِ بَيْنَ فَضْلِهِ وَعَدْلِهِ، [وَهُوَ مُتَعَالٍ عَنِ الْأَضْدَادِ وَالْأَنْدَادِ[(١)]]، لَا رَادَّ لِقَضَائِهِ، وَلَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ، وَلَا غَالِبَ لِأَمْرِهِ. آمَنَّا بِذَلِكَ كُلِّهِ وَأَيْقَنَّا أَنَّ كُلًّا مِنْ عِنْدِهِ.

وَإِنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ الْمُصْطَفَى، وَنَبِيُّهُ الْمُجْتَبَى، وَرَسُولُهُ الْمُرْتَضَى. وَإِنَّهُ خَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ، وَإِمَامُ الْأَتْقِيَاءِ[(٢)]، وَسَيِّدُ الْمُرْسَلِينَ، وَحَبِيبُ رَبِّ الْعَالَمِينَ. وَكُلُّ دَعْوَى النُّبُوَّةِ بَعْدَهُ فَغَيٌّ وَهَوَى، وَهُوَ الْمَبْعُوثُ إِلَى عَامَّةِ الْجِنِّ وَكَافَّةِ الْوَرَى، بِالْحَقِّ وَالْهُدَى، وَبِالنُّورِ وَالضِّيَاءِ[(٣)].

وَأَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللهِ، مِنْهُ بَدَأَ بِلَا كَيْفِيَّةٍ قَوْلًا، وَأَنْزَلَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَحْيًا، وَصَدَّقَهُ الْمُؤْمِنُونَ عَلَى ذَلِكَ حَقًّا. وَأَيْقَنُوا أَنَّهُ كَلَامُ اللهِ تَعَالَى بِالْحَقِيقَةِ، لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ كَكَلَامِ الْبَرِيَّةِ، فَمَنْ سَمِعَهُ فَزَعَمَ

---

(١) ساقطة من كثير من النسخ المطبوعة والمثبت من المخطوطات.

(٢) في مخطوطة زادة وإحدى مخطوطتي المنوعة، زيادة هنا: (وشفيع الأمة يوم الجزاء).

وفي المخطوطة الأخرى للمنوعة: هكذا: (وأن محمدًا عبده ورسوله المرتضى خاتم الأنبياء وإمام الأتقياء المبعوث بالحق والهدى وأن القرآن...).

(٣) قوله: (وبالنور والضياء) ليست في مخطوطتي المنوعة.

أَنَّهُ كَلَامُ الْبَشَرِ فَقَدْ كَفَرَ، وَقَدْ ذَمَّهُ اللهُ تَعَالَى وَعَابَهُ، وَأَوْعَدَهُ عذابَهُ[١]؛ حَيْثُ قَالَ تَعَالَى: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾ فَلَمَّا أَوْعَدَ اللهُ بِسَقَرَ لِمَنْ قَالَ: : ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ﴾ عَلِمْنَا وَأَيْقَنَّا أَنَّهُ قَوْلُ خَالِقِ الْبَشَرِ، وَلَا يُشْبِهُ قَوْلَ الْبَشَرِ. وَمَنْ وَصَفَ اللهَ تَعَالَى بِمَعْنًى مِنْ مَعَانِي الْبَشَرِ فَقَدْ كَفَرَ، فَمَنْ أَبْصَرَ هَذَا اعْتَبَرَ، وَعَنْ مِثْلِ قَوْلِ الْكُفَّارِ انْزَجَرَ، وَعَلِمَ أَنَّ اللهَ تَعَالَى بِصِفَاتِهِ لَيْسَ كَالْبَشَرِ.

وَالرُّؤْيَةُ حَقٌّ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ بِغَيْرِ إِحَاطَةٍ وَلَا كَيْفِيَّةٍ كَمَا نَطَقَ بِهِ كِتَابُ رَبِّنَا: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة:٢٢-٢٣]، وَتَفْسِيرُهُ عَلَى مَا أَرَادَهُ اللهُ تَعَالَى وَعَلِمَهُ، وَكُلُّ مَا جَاءَ فِي ذَلِكَ مِنَ الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَهُوَ كَمَا قَالَ، وَمَعْنَاهُ عَلَى مَا أَرَادَ؛ لَا نَدْخُلُ فِي ذَلِكَ مُتَأَوِّلِينَ بِآرَائِنَا، وَلَا مُتَوَهِّمِينَ بِأَهْوَائِنَا، فَإِنَّهُ مَا سَلِمَ فِي دِينِهِ إِلَّا مَنْ سَلَّمَ للهِ عَزَّ وَجَلَّ وَلِرَسُولِهِ ﷺ، وَرَدَّ عِلْمَ مَا اشْتَبَهَ عَلَيْهِ إِلَى عَالِمِهِ، وَلَا تَثْبُتُ قَدَمُ الْإِسْلَامِ إِلَّا عَلَى ظَهْرِ التَّسْلِيمِ وَالِاسْتِسْلَامِ؛ فَمَنْ رَامَ عِلْمَ مَا حُظِرَ عَنْهُ عِلْمُهُ، وَلَمْ يَقْنَعْ بِالتَّسْلِيمِ فَهْمُهُ، حَجَبَهُ مَرَامُهُ عَنْ خَالِصِ التَّوْحِيدِ، وَصَافِي الْمَعْرِفَةِ، وَصَحِيحِ الْإِيمَانِ، فَيَتَذَبْذَبُ بَيْنَ: الْكُفْرِ وَالْإِيمَانِ، وَالتَّصْدِيقِ وَالتَّكْذِيبِ، وَالْإِقْرَارِ وَالْإِنْكَارِ؛ مُوَسْوِسًا، تَائِهًا، شَاكًّا زائِغًا؛ لَا مُؤْمِنًا مُصَدِّقًا، وَلَا جَاحِدًا مُكَذِّبًا، وَلَا يَصِحُّ الْإِيمَانُ بِالرُّؤْيَةِ لِأَهْلِ دَارِ السَّلَامِ لِمَنِ اعْتَبَرَهَا مِنْهُمْ بِوَهْمٍ، أَوْ تَأَوَّلَهَا بِفَهْمٍ، إِذْ كَانَ تَأْوِيلُ الرُّؤْيَةِ وَتَأْوِيلُ كُلِّ مَعْنًى يُضَافُ إِلَى الربوبية ترك التَّأْوِيلِ وَلُزُومَ التَّسْلِيمِ وَعَلَيْهِ دِينُ الْمُسْلِمِينَ.

وَمَنْ لَمْ يَتَوَقَّ النَّفْيَ وَالتَّشْبِيهَ زَلَّ وَلَمْ يُصِبِ التَّنْزِيهَ، فَإِنَّ رَبَّنَا جَلَّ وَعَلَا مَوْصُوفٌ بِصِفَاتِ الْوَحْدَانِيَّةِ، مَنْعُوتٌ بِنُعُوتِ الْفَرْدَانِيَّةِ، لَيْسَ فِي مَعْنَاهُ أَحَدٌ مِنَ الْبَرِيَّةِ، تَعَالَى عَنِ الْحُدُودِ وَالْغَايَاتِ، وَالْأَرْكَانِ وَالْأَعْضَاءِ[٢] وَالْأَدَوَاتِ، لَا تَحْوِيهِ الْجِهَاتُ السِّتُّ كَسَائِرِ الْمُبْتَدَعَاتِ،

---

(١) في بعض النسخ: (وأوعده بسقر).

(٢) في مخطوطة زاده: (الأعضاء والأركان)، وهذه اللفظة مما انتقدت كما في الشرح.

وَالْمِعْرَاجُ حَقٌّ، وَقَدْ أُسْرِيَ بِالنَّبِيِّ ﷺ، وَعُرِجَ بِشَخْصِهِ فِي الْيَقَظَةِ إِلَى السَّمَاءِ، ثُمَّ إِلَى حَيْثُ شَاءَ اللهُ مِنَ الْعُلَا، وَأَكْرَمَهُ اللهُ تعالى بِمَا شَاءَ، وَأَوْحَى إِلَيْهِ مَا أَوْحَى [﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ﴾ فَصَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْآخِرَةِ وَالْأُولَى[(١)]].

وَالْحَوْضُ الَّذِي أَكْرَمَهُ اللهُ تَعَالَى بِهِ غِيَاثًا لِأُمَّتِهِ حَقٌّ، وَالشَّفَاعَةُ الَّتِي ادَّخَرَهَا لَهُمْ حَقٌّ كَمَا رُوِيَ فِي الْأَخْبَارِ، وَالْمِيثَاقُ الَّذِي أَخَذَهُ اللهُ تَعَالَى مِنْ آدَمَ عليه السلامُ وَذُرِّيَّتِهِ حَقٌّ، وَقَدْ عَلِمَ اللهُ تَعَالَى - فِيمَا لَمْ يَزَلْ - عَدَدَ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ، وَعَدَدَ مَنْ يَدْخُلُ النَّارَ جُمْلَةً وَاحِدَةً؛ فَلَا يُزَادُ فِي ذَلِكَ الْعَدَدِ، وَلَا يُنْقَصُ مِنْهُ، وَكَذَلِكَ أَفْعَالُهُمْ فِيمَا عَلِمَ مِنْهُمْ أَنْ يَفْعَلُوهُ، وَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ، وَالْأَعْمَالُ بِالْخَوَاتِيمِ.

وَالسَّعِيدُ: مَنْ سَعِدَ بِقَضَاءِ اللهِ تَعَالَى، وَالشَّقِيُّ: مَنْ شَقِيَ بِقَضَاءِ اللهِ تَعَالَى.

وَأَصْلُ الْقَدَرِ سِرُّ اللهِ تَعَالَى فِي خَلْقِهِ؛ لَمْ يَطَّلِعْ عَلَى ذَلِكَ مَلَكٌ مُقَرَّبٌ، وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ، وَالتَّعَمُّقُ وَالنَّظَرُ فِي ذَلِكَ ذَرِيعَةُ الْخِذْلَانِ، وَسُلَّمُ الْحِرْمَانِ، وَدَرَجَةُ الطُّغْيَانِ؛ فَالْحَذَرَ كُلَّ الْحَذَرِ مِنْ ذَلِكَ نَظَرًا وَفِكْرًا وَوَسْوَسَةً؛ فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى طَوَى عِلْمَ الْقَدَرِ عَنْ أَنَامِهِ، وَنَهَاهُمْ عَنْ مَرَامِهِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ: ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ فَمَنْ سَأَلَ: لِمَ فَعَلَ؟ فَقَدْ رَدَّ حُكْمَ الْكِتَابِ؛ وَمَنْ رَدَّ حُكْمَ الْكِتَابِ كَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ، فَهَذَا جُمْلَةُ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مَنْ هُوَ مُنَوَّرٌ قَلْبُهُ مِنْ أَوْلِيَاءِ اللهِ تَعَالَى، وَهِيَ دَرَجَةُ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ؛ لِأَنَّ الْعِلْمَ عِلْمَانِ: عِلْمٌ فِي الْخَلْقِ مَوْجُودٌ وَعِلْمٌ فِي الْخَلْقِ مَفْقُودٌ، فَإِنْكَارُ الْعِلْمِ الْمَوْجُودِ كُفْرٌ، وَادِّعَاءُ الْعِلْمِ الْمَفْقُودِ كُفْرٌ، وَلَا يَصِحُّ[(٢)] الْإِيمَانُ إِلَّا بِقَبُولِ الْعِلْمِ الْمَوْجُودِ، وَتَرْكِ طَلَبِ الْعِلْمِ الْمَفْقُودِ.

وَنُؤْمِنُ بِاللَّوْحِ وَالْقَلَمِ، وَبِجَمِيعِ مَا فِيهِ قَدْ رُقِمَ؛ فَلَوِ اجْتَمَعَ الْخَلْقُ كُلُّهُمْ عَلَى شَيْءٍ كَتَبَهُ اللهُ

---

(١) ساقطة من نسخة القاسم.

(٢) في مخطوطة زاده: (يثبت) والمثبت من مخطوطتي المنوعة وغيرهما.

تَعَالَى فِيهِ أَنَّهُ كَائِنٌ لِيَجْعَلُوهُ غَيْرَ كَائِنٍ لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ،

وَلَوِ اجْتَمَعُوا كُلُّهُمْ عَلَى شَيْءٍ كَتَبَهُ اللهُ تَعَالَى فِيهِ أَنَّهُ غيرُ كائِنٌ لِيَجْعَلُوهُ كَائِنًا لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ؛ جَفَّ الْقَلَمُ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

وَمَا أَخْطَأَ الْعَبْدَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ، وَمَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ، وَعَلَى الْعَبْدِ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ اللهَ تَعَالَى قَدْ سَبَقَ عِلْمُهُ فِي كُلِّ كَائِنٍ مِنْ خَلْقِهِ، فَقَدَّرَ ذَلِكَ تَقْدِيرًا مُحْكَمًا مُبْرَمًا[1]؛ لَيْسَ فِيهِ نَاقِضٌ، وَلَا مُعَقِّبٌ، وَلَا مُزِيلٌ، وَلَا مُغَيِّرٌ، وَلَا مُحَوِّلٌ، وَلَا نَاقِصٌ، وَلَا زَائِدٌ مِنْ خَلْقِهِ فِي سَمَاوَاتِهِ وَأَرْضِهِ؛ وَذَلِكَ مِنْ عَقْدِ الْإِيمَانِ، وَأُصُولِ الْمَعْرِفَةِ، وَالِاعْتِرَافِ بِتَوْحِيدِ اللهِ تَعَالَى وَرُبُوبِيَّتِه، كَمَا قَالَ تَعَالَى [فِي كِتَابِهِ]: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان:٢]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا﴾ [الأحزاب:٣٨].

فَوَيْلٌ لِمَنْ صَارَ للهِ تَعَالَى [فِي الْقَدَرِ خَصِيمًا][2]، وَأَحْضَرَ لِلنَّظَرِ فِيهِ قَلْبًا سَقِيمًا، لَقَدِ الْتَمَسَ بِوَهْمِهِ فِي فَحْصِ الْغَيْبِ سِرًّا كَتِيمًا، وَعَادَ بِمَا قَالَ فِيهِ أَفَّاكًا أَثِيمًا.

وَالْعَرْشُ وَالْكُرْسِيُّ حَقٌّ[3]، وَهُوَ مُسْتَغْنٍ عَنِ الْعَرْشِ وَمَا دُونَهُ، مُحِيطٌ بِكُلِّ شَيْءٍ وَفَوْقَهُ.

وَقَدْ أَعْجَزَ عَنِ الْإِحَاطَةِ خَلْقَهُ، وَنَقُولُ: إِنَّ اللهَ اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا، وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيمًا، إِيمَانًا، وَتَصْدِيقًا، وَتَسْلِيمًا، وَنُؤْمِنُ بِالْمَلَائِكَةِ، وَالنَّبِيِّينَ، وَالْكُتُبِ الْمُنَزَّلَةِ عَلَى الْمُرْسَلِينَ، وَنَشْهَدُ أَنَّهُمْ كَانُوا عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ، وَنُسَمِّي أَهْلَ قِبْلَتِنَا مُسْلِمِينَ مُؤْمِنِينَ، مَا دَامُوا بِمَا جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ مُعْتَرِفِينَ، وَلَهُ بِكُلِّ مَا قَالَ وَأَخْبَرَ مُصَدِّقِينَ.

وَلَا نَخُوضُ فِي اللهِ تعالى، وَلَا نُمَارِي فِي الدِّينِ، وَلَا نُجَادِلُ فِي الْقُرْآنِ، وَنَشْهَدُ أَنَّهُ كَلَامُ رَبِّ

---

(١) قوله (مبرما) ساقطة من مخطوطة زاده.

(٢) ساقطة من مخطوطة زاده.

(٣) في نسخة القاسم زيادة هنا: (كما بيَّن الله تعالى في كتابه).

الْعَالَمِينَ، نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ، فَعَلَّمَهُ سَيِّدَ الْمُرْسَلِينَ مُحَمَّدًا ﷺ، وَهُوَ كَلَامُ اللهِ تَعَالَى لَا يُسَاوِيهِ شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ الْمَخْلُوقِينَ، وَلَا نَقُولُ بِخَلْقِهِ، وَلَا نُخَالِفُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ.

وَلَا نُكَفِّرُ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ بِذَنْبٍ مَا لَمْ يَسْتَحِلَّهُ، وَلَا نَقُولُ لَا يَضُرُّ مَعَ الْإِيمَانِ ذَنْبٌ لِمَنْ عَمِلَهُ، وَنَرْجُو لِلْمُحْسِنِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَيُدْخِلَهُمُ الْجَنَّةَ [بِرَحْمَتِهِ]، وَلَا نَأْمَنُ عَلَيْهِمْ، وَلَا نَشْهَدُ لَهُمْ بِالْجَنَّةِ، وَنَسْتَغْفِرُ لِمُسِيئِهِمْ، وَنَخَافُ عَلَيْهِ، وَلَا نُقَنِّطُهُمْ، وَالْأَمْنُ وَالْإِيَاسُ يَنْقُلَانِ عَنْ مِلَّةِ الْإِسْلَامِ، وَسَبِيلُ الْحَقِّ بَيْنَهُمَا لِأَهْلِ الْقِبْلَةِ، وَلَا يَخْرُجُ الْعَبْدُ مِنَ الْإِيمَانِ إِلَّا بِجُحُودِ مَا أَدْخَلَهُ فِيهِ.

وَالْإِيمَانُ هُوَ الْإِقْرَارُ بِاللِّسَانِ، وَالتَّصْدِيقُ بِالْجَنَانِ.

وإنَّ جميعَ ما أنزلَ اللهُ تعالى في الْقُرْآنِ، وَجَمِيعَ مَا صَحَّ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنَ الشَّرْعِ وَالْبَيَانِ كُلُّهُ حَقٌّ، وَالْإِيمَانُ وَاحِدٌ وَأَهْلُهُ فِي أَصْلِهِ سَوَاءٌ[١]،

وَالتَّفَاضُلُ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِيقَةِ[٢] وَالتَّقوى وَمُخَالَفَةِ الْهَوَى وَمُلَازَمَةِ الْأَوْلَى.

وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّهُمْ أَوْلِيَاءُ الرَّحْمَنِ.

وَأَكْرَمُهُمْ [عِنْدَ اللهِ][٣] أَطْوَعُهُمْ وَأَتْبَعُهُمْ لِلْقُرْآنِ، وَالْإِيمَانُ هُوَ الْإِيمَانُ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ وَحُلْوِهِ وَمُرِّهِ مِنَ اللهِ تَعَالَى.

وَنَحْنُ نُؤْمِنُ بِذَلِكَ كُلِّهِ، وَلَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ.

وَنُصَدِّقُهُمْ كُلَّهُمْ عَلَى مَا جَاؤوا بِهِ، وَأَهْلُ الْكَبَائِرِ[٤] فِي النَّارِ لَا يُخَلَّدُونَ إِذَا مَاتُوا وَهُمْ مُوَحِّدُونَ

---

(١) أخطأ رحمه الله تعالى، فالناس تتفاوت في الإيمان، لأن الإيمان قول وعمل واعتقاد يزيد وينقص.

(٢) في المخطوطات الأربع: (بالحقيقة) وفي نسخة أخرى (بالخشية والتُّقى).

(٣) ما بين المعكوفين ساقط من مخطوطتي المنوعة.

(٤) المثبت من المخطوطات، وفي نسخة الألباني المطبوعة زيادة: (من أمة محمدٍ ﷺ) وقال: حذفها أصح.

وَإِنْ كَانُوا غَيْرَ تَائِبِينَ. بَعْدَ أَنْ لَقُوا اللهَ عَارِفِينَ [مُؤْمِنِينَ[١]]،

وَهُمْ فِي مَشِيئَتِهِ وَحُكْمِهِ، إِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُمْ وَعَفَا عَنْهُمْ بِفَضْلِهِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ:

﴿وَيَغْفِرُ مَادُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء:٤٨]، وَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُمْ فِي النَّارِ [بِقَدرِ جِنَايَتِهِمْ[٢]] بِعَدْلِهِ،

ثُمَّ يُخْرِجُهُمْ مِنْهَا بِرَحْمَتِهِ، وَشَفَاعَةِ الشَّافِعِينَ مِنْ أَهْلِ طَاعَتِهِ،

ثُمَّ يَبْعَثُهُمْ إِلَى جَنَّتِهِ؛ وَذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ تَعَالَى تَوَلَّى أَهْلَ مَعْرِفَتِهِ، وَلَمْ يَجْعَلْهُمْ فِي الدَّارَيْنِ كَأَهْلِ نُكْرَتِهِ،

الَّذِينَ خَابُوا مِنْ هِدَايَتِهِ وَلَمْ يَنَالُوا مِنْ وَلَايَتِهِ.

اللَّهُمَّ يَا وَلِيَّ الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ مَسِّكْنَا بِالْإِسْلَامِ[٣] حَتَّى نَلْقَاكَ بِهِ.

وَنَرَى الصَّلَاةَ خَلْفَ كُلِّ بَرٍّ وَفَاجِرٍ مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ، وَعَلَى مَنْ مَاتَ مِنْهُمْ، وَلَا نُنْزِلُ أَحَدًا مِنْهُمْ جَنَّةً وَلَا نَارًا.

وَلَا نَشْهَدُ عَلَيْهِمْ بِكُفْرٍ، وَلَا بِشِرْكٍ، وَلَا بِنِفَاقٍ، مَا لَمْ يَظْهَرْ مِنْهُمْ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ، وَنَذَرُ سَرَائِرَهُمْ إِلَى اللهِ تَعَالَى، وَلَا نَرَى السَّيْفَ عَلَى أَحَدٍ مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ إِلَّا مَنْ وَجَبَ عَلَيْهِ السَّيْفُ.

وَلَا نَرَى الْخُرُوجَ عَلَى أَئِمَّتِنَا وَوُلَاةِ أُمُورِنَا وَإِنْ جَارُوا، وَلَا نَدْعُو عَلَيْهِمْ، وَلَا نَنْزِعُ يَدًا مِنْ طَاعَتِهِمْ، وَنَرَى طَاعَتَهُمْ

مِنْ طَاعَةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فَرِيضَةً؛ مَا لَمْ يَأْمُرُوا بِمَعْصِيَةٍ.

وَنَدْعُو لَهُمْ بِالصَّلَاحِ وَالْمُعَافَاةِ وَنَتَّبِعُ السُّنَّةَ وَالْجَمَاعَةَ، وَنَجْتَنِبُ الشُّذُوذَ، وَالْخِلَافَ، وَالْفُرْقَةَ، وَنُحِبُّ أَهْلَ الْعَدْلِ وَالْأَمَانَةِ ، وَنُبْغِضُ أَهْلَ الْجَوْرِ وَالْخِيَانَةِ، وَنَقُولُ: اللهُ أَعْلَمُ؛ فِيمَا اشْتَبَهَ عَلَيْنَا

لأن الحكم عام في جميع الأمم.

(١) زيادة من بعض النسخ.

(٢) ما بين المعكوفين زيادة من المخطوطات الثلاث.

(٣) في المخطوطات الثلاث (مسكنا بالإسلام) وفي المطبوع (ثبتنا على الإسلام).

عِلْمُهُ. وَنَرَى الْمَسْحَ عَلَى الْخُفَّيْنِ فِي السَّفَرِ وَالْحَضَرِ كَمَا جَاءَ فِي الْأَثَرِ

وَالْحَجُّ وَالْجِهَادُ فَرْضَانِ مَاضِيَانِ مَعَ أُولِي الْأَمْرِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ -بَرِّهِمْ وَفَاجِرِهِمْ- إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ، لَا يُبْطِلُهُمَا شَيْءٌ وَلَا يَنْقُضُهُمَا، وَنُؤْمِنُ بِالْكِرَامِ الْكَاتِبِينَ؛ فَإِنَّ اللهَ قَدْ جَعَلَهُمْ عَلَيْنَا حَافِظِينَ. وَنُؤْمِنُ بِمَلَكِ الْمَوْتِ الْمُوَكَّلِ بِقَبْضِ أَرْوَاحِ الْعَالَمِينَ، وَبِعَذَابِ الْقَبْرِ وَنَعِيمِهِ لِمَنْ كَانَ لَهُ أَهْلًا، وَسُؤَالِ مُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ لِلْمَيِّتِ فِي قَبْرِهِ عَنْ: رَبِّهِ، وَدِينِهِ، وَنَبِيِّهِ، عَلَى مَا جَاءَتْ بِهِ الْأَخْبَارُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَعَنِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ.

وَالْقَبْرُ رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ، أَوْ حُفْرَةٌ مِنْ حُفَرِ النِّيرَانِ[1]،وَنُؤْمِنُ بِالْبَعْثِ، وَجَزَاءِ الْأَعْمَالِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَالْعَرْضِ، وَالْحِسَابِ، وَقِرَاءَةِ الْكِتَابِ، وَالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ، وَالصِّرَاطِ، وَالْمِيزَانِ.

وَالْجَنَّةُ وَالنَّارُ مَخْلُوقَتَانِ لَا تَفْنَيَانِ أَبَدًا، وَلَا تَبِيدَانِ.

وَإِنَّ اللهَ تَعَالَى خَلَقَ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ قَبْلَ خَلْقِ الْخَلْقِ

وَخَلَقَ لَهُمَا أَهْلًا، فَمَنْ شَاءَ مِنْهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ فَضْلاً مِنْهُ، وَمَنْ شَاءَ مِنْهُمْ إِلَى النَّارِ عَدْلاً مِنْهُ.

وَكُلٌّ يَعْمَلُ لِمَا قَدْ فُرِغَ لَهُ، وَصَائِرٌ إِلَى مَا خُلِقَ لَهُ.

وَالْخَيْرُ وَالشَّرُّ مُقَدَّرَانِ عَلَى الْعِبَادِ، وَالِاسْتِطَاعَةُ الَّتِي يَجِبُ بِهَا الْفِعْلُ مِنْ نَحْوِ التَّوْفِيقِ الَّذِي لَا يَجُوزُ أَنْ يُوصَفَ الْمَخْلُوقُ بِهِ، فَهِيَ مَعَ الْفِعْلِ، وَأَمَّا الِاسْتِطَاعَةُ مِنْ جِهَةِ الصِّحَّةِ، وَالْوُسْعِ، وَالتَّمَكُّنِ، وَسَلَامَةِ الْآلَاتِ، فَهِيَ قَبْلَ الْفِعْلِ، وَبِهَا يَتَعَلَّقُ الْخِطَابُ[2]، وَهُوَ كَمَا قَالَ تَعَالَى:

﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [سورة البقرة:٢٨٦]لِمَن .

وَأَفْعَالُ الْعِبَادِ هِيَ خَلْقُ اللهِ تَعَالَى، وَكَسْبٌ مِنَ الْعِبَادِ، وَلَمْ يُكَلِّفْهُمُ إِلَّا مَا يُطِيقُونَ، وَلَا يُطِيقُونَ إِلَّا مَا كَلَّفَهُمْ!!؛

---

(١) (النيران) كذا في مخطوطة زاده، وفي مخطوطة المنوعة (النار).

(٢) قوله (وبها يتعلق الخطاب) ساقطة من مخطوطة زاده.

وَهُوَ تَفْسِيرُ: (لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِالله)؛ نَقُولُ: لَا حِيلَةَ لِأَحَدٍ، وَلَا حَرَكَةَ لِأَحَدٍ، وَلَا تَحَوُّلَ لِأَحَدٍ عَنْ مَعْصِيَةِ الله إِلَّا بِمَعُونَةِ الله، وَلَا قُوَّةَ لِأَحَدٍ عَلَى إِقَامَةِ طَاعَةِ الله وَالثَّبَاتِ عَلَيْهَا إِلَّا بِتَوْفِيقِ الله، وَكُلُّ شَيْءٍ يَجْرِي بِمَشِيئَةِ الله تَعَالَى، وَعِلْمِهِ، وَقَضَائِهِ، وَقَدَرِهِ؛

غَلَبَتْ مَشِيئَتُهُ الْمَشِيئَاتِ كُلَّهَا[1]، وَغَلَبَ قَضَاؤُهُ الْحِيَلَ كُلَّهَا،

يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ أَبَدًا، تَقَدَّسَ عَنْ كُلِّ سَوْءٍ وَحَيْنٍ، وَتَنَزَّهَ عَنْ كُلِّ عَيْبٍ وَشَيْنٍ،

﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ [سورة الأنبياء:٢٣].

وَفِي دُعَاءِ الْأَحْيَاءِ وَصَدَقَاتِهِمْ مَنْفَعَةٌ لِلْأَمْوَاتِ، وَاللهُ تَعَالَى يَسْتَجِيبُ الدَّعَوَاتِ، وَيَقْضِي الْحَاجَاتِ، [وَيَمْلِكُ كُلَّ شَيْءٍ، وَلَا يَمْلِكُهُ شَيْءٌ. وَلَا غِنًى عَنِ الله تَعَالَى طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَمَنِ اسْتَغْنَى عَنِ الله طَرْفَةَ عَيْنٍ، فَقَدْ كَفَرَ وَصَارَ مِنْ أَهْلِ الْحَيْنِ][2].

وَاللهُ تَعَالَى يَغْضَبُ وَيَرْضَى لَا كَأَحَدٍ مِنَ الْوَرَى.

وَنُحِبُّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَلَا نُفْرِطُ فِي حُبِّ أَحَدٍ مِنْهُمْ، وَلَا نَتَبَرَّأُ مِنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ، وَنُبْغِضُ مَنْ يُبْغِضُهُمْ، وَبِغَيْرِ الْخَيْرِ يَذْكُرُهُمْ. وَلَا نَذْكُرُهُمْ إِلَّا بِخَيْرٍ،

وَحُبُّهُمْ دِينٌ وَإِيمَانٌ وَإِحْسَانٌ، وَبُغْضُهُمْ كُفْرٌ وَنِفَاقٌ وَطُغْيَانٌ، وَنُثْبِتُ الْخِلَافَةَ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَوَّلًا لِأَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه ، تَفْضِيلًا لَهُ وَتَقْدِيمًا عَلَى جَمِيعِ الْأُمَّةِ ثُمَّ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه ، ثُمَّ لِعُثْمَانَ بنِ عَفَّانَ رضي الله عنه، ثُمَّ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه.

وَهُمُ الْخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ، وَالْأَئِمَّةُ الْمَهْدِيُّونَ، وَإِنَّ الْعَشَرَةَ الَّذِينَ سَمَّاهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ [وَبَشَّرَهُمْ

---

(١) في مخطوطة زاده في هذا الموضع زاد: (وغلبت إرادته الإرادات جميعها).

(٢) قوله: (وَيَمْلِكُ كُلَّ شَيْءٍ) إلى قوله: (مِنْ أَهْلِ الْحَيْنِ) هذه زيادة من المخطوطات الثلاث، في هذا الموضع دون كثير من النسخ المطبوعة وغيرها، والله أعلم.

بِالْجَنَّةِ(١)]، نَشْهَدُ لَهُمْ بِالْجَنَّةِ، عَلَى مَا شَهِدَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَقَوْلُهُ الْحَقُّ، وَهُمْ. أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَعُثْمَانُ، وَعَلِيٌّ، وَطِلْحَةُ، وَالزُّبَيْرُ، وَسَعْدٌ، وَسَعِيدٌ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ، وَهُوَ أَمِينُ هَذِهِ الْأُمَّةِ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ

وَمَنْ أَحْسَنَ الْقَوْلَ فِي أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَأَزْوَاجِهِ [الطَّاهِرَاتِ مِنْ كُلِّ دَنَسٍ]، وَذُرِّيَّاتِهِ [الْمُقَدَّسِينَ مِنْ كُلِّ رِجْسٍ](٢)، فَقَدْ بَرِئَ مِنَ النِّفَاقِ، وَعُلَمَاءُ السَّلَفِ مِنَ السَّابِقِينَ، وَمَنْ بَعْدَهُمْ مِنَ التَّابِعِينَ - أَهْلِ [الْخَبَرِ](٣) وَالْأَثَرِ، وَأَهْلِ الْفِقْهِ وَالنَّظَرِ - لَا يُذْكَرُونَ إِلَّا بِالْجَمِيلِ، وَمَنْ ذَكَرَهُمْ بِسُوءٍ فَهُوَ عَلَى غَيْرِ السَّبِيلِ.

وَلَا نُفَضِّلُ أَحَدًا مِنَ الْأَوْلِيَاءِ عَلَى أَحَدٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وَنَقُولُ: نَبِيٌّ وَاحِدٌ أَفْضَلُ مِنْ جَمِيعِ الْأَوْلِيَاءِ، وَنُؤْمِنُ بِمَا جَاءَ مِنْ كَرَامَاتِهِمْ، وَصَحَّ عَنِ الثِّقَاتِ مِنْ رِوَايَاتِهِمْ، وَنُؤْمِنُ بِأَشْرَاطِ السَّاعَةِ(٤): مِنْ خُرُوجِ الدَّجَّالِ، وَنُزُولِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ السَّمَاءِ، وَنُؤْمِنُ بِطُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَخُرُوجِ دَابَّةِ الْأَرْضِ مِنْ مَوْضِعِهَا، وَلَا نُصَدِّقُ كَاهِنًا وَلَا عَرَّافًا.

وَلَا مَنْ يَدَّعِي شَيْئًا يُخَالِفُ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ وَإِجْمَاعَ الْأُمَّةِ، وَنَرَى الْجَمَاعَةَ حَقًّا وَصَوَابًا ، وَالْفُرْقَةَ زَيْغًا وَعَذَابًا، وَدِينُ اللهِ فِي الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ وَاحِدٌ، وَهُوَ دِينُ الْإِسْلَامِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [سورة آل عمران:١٩]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [سورة المائدة:٣]

وَهُوَ بَيْنَ الْغُلُوِّ وَالتَّقْصِيرِ، وَبَيْنَ التَّشْبِيهِ وَالتَّعْطِيلِ، وَبَيْنَ الْجَبْرِ وَالْقَدَرِ، وَبَيْنَ الْأَمْنِ وَالْإِيَاسِ.

---

(١) ما بين المعكوفين من مخطوطة زادة، دون البقية.

(٢) ما بين المعكوفين في الموضعين من مخطوطة زادة دون مخطوطتي المنوعة.

(٣) في المخطوطات الثلاث (الخبر) بالباء، وفي بعض المطبوعات (الخير) بالياء.

(٤) قوله: (بأشراط الساعة) ساقطة من إحدى مطبوعتي المنوعة.

فَهَذَا دِينُنَا وَاعْتِقَادُنَا ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، وَنَحْنُ بَرَاءٌ إِلَى اللهِ تَعَالَى مِنْ كُلِّ مَنْ خَالَفَ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ وَبَيَّنَّاهُ[1]، وَنَسْأَلُ اللهَ تَعَالَى أَنْ يُثَبِّتَنَا عَلَى الْإِيمَانِ، وَيَخْتِمَ لَنَا بِهِ، وَيَعْصِمَنَا مِنَ الْأَهْوَاءِ الْمُخْتَلِفَةِ، وَالْآرَاءِ الْمُتَفَرِّقَةِ، وَالْمَذَاهِبِ الرَّدِيَّةِ: مِثْلِ الْمُشَبِّهَةِ، وَالْمُعْتَزِلَةِ، وَالْجَهْمِيَّةِ، وَالْجَبْرِيَّةِ، وَالْقَدَرِيَّةِ، وَغَيْرِهِمْ، مِنَ الَّذِينَ خَالَفُوا السُّنَّةَ الْجَمَاعَةَ، وَحَالَفُوا الضَّلَالَةَ وَنَحْنُ مِنْهُمْ بَرَاءٌ، وَهُمْ عِنْدَنَا ضُلَّالٌ وَأَرْدِيَاءُ.

وَبِاللهِ الْعِصْمَةُ وَالتَّوْفِيقُ.

[تمت بحمد الله تعالى].



(١) إنما تكون البراءة مما خالف الكتاب والسنة، لا سيما وقد أخطأ رحمه الله تعالى في مواضع.

بسم الله الرحمن الرحيم

حسبي الله ونعم الوكيل، الحمد لله رب العالمين.

قال العلامة حجة الإسلام أبو جعفر الوراق الطحاوي بمصر رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: هذا ذِكْر بيان عقيدة أهل السنة والجماعة على مذهب فقهاء الملة: أبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي وأبي يوسف يعقوب بن إبراهيم الأنصاري وأبي عبد الله محمد بن الحسن الشيباني رضوان الله عليهم جميعاً وما يعتقدون في أصول الدين ويَدينون به لرب العالمين.

قوله: (**أهل السنة والجماعة**) أهل السنة: نسبة إلى سنة النبي ﷺ.

والجماعة: سموا بذلك لاجتماعهم على الحق وللزومهم جماعة المسلمين وإمامهم.

قال الله تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عمران:١٠٣].

فالسني: هو من اتبع كتاب الله تَعَالَى وسنة رسوله ﷺ ولزم جماعة المسلمين، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء:٥٩]، وقال ﷺ: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ»، رواه أبو داود عن العرباض رضي الله عنه، وصححه الألباني والوادعي.



نَقُولُ فِي تَوْحِيدِ الله مُعْتَقِدِينَ بِتَوْفِيقِ الله: إِنَّ اللهَ وَاحِدٌ لَا شَرِيكَ لَهُ، ولا شيء مِثْلُهُ.

قوله: (**نَقُولُ فِي تَوْحِيدِ اللَّهِ**) التوحيد: هو إفراد الله تعالى بالربوبية والألوهية والأسماء والصفات.

قوله: (**بِتَوْفِيقِ اللَّهِ**) توفيق الله: إلهام الله تعالى للعبد بالصواب والثبات عليه وتسديده وإعانته له. وفيه إثبات صفة التوفيق لله تعالى، كما قال تعالى عن نبيه شعيب عليه السلام:

﴿وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [هود:٨٨].

قوله: (**إِنَّ اللهَ وَاحِدٌ لَا شَرِيكَ لَهُ**) قال الله تعالى: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ٢ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ٣ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ٤﴾ [الإخلاص:١-٤]، وقال تعالى: ﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ﴾ [الأعراف:٥٩]، ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢﴾ [الفاتحة:٢]، ﴿لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء:٢٢]، ﴿هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم:٦٥].

وأقسام التوحيد ثلاثة: توحيد الألوهية، وتوحيد الربوبية، وتوحيد الأسماء والصفات.

قوله: (**ولا شيء مِثْلُه**) قال تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾ [الشورى:١١]، لا مثيل له، لا في ذاته ولا في أسمائه، ولا صفاته ولا في أفعاله.

وفيه إثبات توحيد الأسماء والصفات، ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾ ردٌّ على الممثلة، ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ ردٌّ على المعطلة، وقال تعالى: ﴿وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ٤﴾ [الإخلاص:٤].



وَلَا شَيْءَ يُعْجِزُهُ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُهُ، قَدِيمٌ بِلَا ابْتِدَاءٍ.

قوله: (وَلَا شَيْءَ يُعْجِزُه) قال تعالى: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المائدة:١٢٠]، ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ۚ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ [فاطر:٤٤].

هذا فيه إثبات كمال قدرته سبحانه على كل شيء، إذا أراد شيئاً فإنما يقول له كن فيكون. و فيه إثبات توحيد الربوبية.

قوله: (وَلَا إِلَهَ غَيْرُه) قال تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾ [البقرة:١٦٣]، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء:٢٥]، ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء:٣٦]، وهذا فيه إثبات توحيد الألوهية وهو معنى (لا إله إلا الله) كلمة التوحيد، ومعناها: لا معبود بحقٍّ إلا الله تعالى.

قوله: (قَدِيمٌ بِلَا ابْتِدَاءٍ) قال علماء السنة: «القديم: ليس من أسماء الله تعالى ولا من صفاته، وإنما هو من باب الإخبار، ولا يجوز أن يُطلق على الله تعالى إلا بهذا القيد: (بلا ابتداء)، ويغني عنه اسمه تعالى: الأول، قال تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾ [الحديد:٣]».

وفي الصحيح أن النبي ﷺ قال: «اللَّهُمَّ أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ»، (م ٢٧١٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه.



دَائِمٌ بِلَا انْتِهَاءٍ. لَا يَفْنَى وَلَا يَبِيدُ، وَلَا يَكُونُ إِلَّا مَا يُرِيدُ.

قوله: (**دَائِمٌ بِلَا انْتِهَاءٍ**) الدائم: كذلك ليس من أسماء الله تعالى، وذكره المؤلف من باب الإخبار، ولا يجوز إطلاقه على الله تعالى إلا مع القيد (بلا انتهاء)، ويغني عنه اسمه تعالى (الآخر) و(الحي) وغيرها.

قوله: (**لَا يَفْنَى وَلَا يَبِيدُ**) قال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمن:٢٦-٢٧]، ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص:٨٨]، فالله تعالى موصوف بالحياة الكاملة الدائمة كما يليق بجلاله.

قوله: (**وَلَا يَكُونُ إِلَّا مَا يُرِيدُ**) قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ [المائدة:١]، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ [الحج:١٨]، ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الإنسان:٣٠]، ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ [الأنعام:١٢٥]، هذه الآية تبين أن الإرادة قسمان: إرادة كونية، وهي موافقة لمعنى المشيئة، وأن ما شاء الله تعالى كان.

وإرادة شرعية، وهي المتعلقة بما أحبه الله تعالى ورضيه، وليس كل ما أراده الله شرعاً يقع، وذلك لحكمة أرادها سبحانه وتعالى، وهو الحكيم العليم، ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنبياء:٢٣]، وأفعال الخلق لا تكون إلا كما أراد الله تعالى كوناً، كما سيأتي في بابه إن شاء الله تعالى.



لَا تَبْلُغُهُ الْأَوْهَامُ، وَلَا تُدْرِكُهُ الْأَفْهَامُ، وَلَا يُشْبِهُ الْأَنَامَ، حَيٌّ لَا يَمُوتُ.

قوله: (**وَلَا تُدْرِكُهُ الْأَفْهَامُ**) قال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه:١١٠]، ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النحل:٦٠]، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١]، فالله عز وجل عظيم وموصوف بالكمال، ولم يَرِد في الكتاب والسنة بيان كيفية ذاته وصفاته، فوجب الكف عن البحث عنها، مع إيماننا أن الله تعالى له ذات وصفات كما يليق بجلاله، وأن لها كيفية لا نعلمها.

قوله: (**وَلَا يُشْبِهُ الْأَنَامَ**) قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١]، فنفى المماثلة وأثبت الصفات، وهذا ردٌّ على الممثلة الذين يمثلون الله تعالى بخلقه كاليهود وأتباع مقاتل بن سليمان وغيره من الممثلة.

قوله: (**حَيٌّ لَا يَمُوتُ**) قال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان:٥٨]، ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [غافر:٦٥]، وفيه إثبات صفة الحياة الكاملة (التي لم يسبقها عدم ولا يلحقها فناء) لله عز وجل كما يليق بجلاله وعظمته.



قَيُّومٌ لَا يَنَامُ، خَالِقٌ بِلَا حَاجَةٍ، رَازِقٌ بِلَا مُؤْنَةٍ.

قوله: (**قَيُّومٌ لَا يَنَامُ**) قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞ﴾ [البقرة:٢٥٥]، فنفي السِّنَة – وهي النعاس – والنوم دليل على كمال حياته وقيوميته.

وقال سبحانه: ﴿وَعَنَتِ ٱلۡوُجُوهُ لِلۡحَيِّ ٱلۡقَيُّومِ﴾ [طه:١١١]، وقال ﷺ: «إِنَّ اللهَ لَا يَنَامُ، وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ»، رواه مسلم.

قوله: (**خَالِقٌ بِلَا حَاجَةٍ**) أي: خلق الخلق لا لحاجة إليهم، إنما خلقهم لعبادته وهو الغني الحميد، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ۝١٥﴾ [فاطر:١٥]، ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ۝٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ ۝٥٧﴾ [الذاريات:٥٦-٥٧].

واعلم أن الله تعالى خلق العباد لحكمة ولم يخلقهم عبثاً، كما سيأتي في بابه إن شاء الله تعالى.

قوله: (**رَازِقٌ بِلَا مُؤْنَةٍ**) أي: رازقٌ للخلق بلا كَلَفة ولا ثقل، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ ۝٥٨﴾ [الذاريات:٥٨].

وفي حديث أبي ذر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «قال الله تعالى: يا عبادي، لو أن أولكم وآخركم، وإنسكم وجِنَّكم قاموا على صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل واحد مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أُدخل البحر». وقال تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا﴾ [هود:٦].



مُمِيتٌ بِلَا مَخَافَةٍ، بَاعِثٌ بِلَا مَشَقَّةٍ.

قوله: (**مُمِيتٌ بِلَا مَخَافَةٍ**) أي: مميت للخلق إذا كملت آجالهم، لا لأنه خائفٌ منهم، بل لحكمة أرادها سبحانه وتعالى، ولا يخاف إذا أماتهم عاقبة، قال عز وجل: ﴿لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٢﴾ [الحديد:٢]، ﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ۝١٤ وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا ۝١٥﴾ [الشمس:١٤-١٥]، ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك:٢].

قوله: (**بَاعِثٌ بِلَا مَشَقَّةٍ**) قال عز وجل: ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ [لقمان:٢٨]، ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم:٢٧]، ﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ۝٨١ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٨٢﴾ [يس:٨١-٨٢]، وهذا لكماله سبحانه وتعالى وكمال قدرته وعلمه.



مَا زَالَ بِصِفَاتِهِ قَدِيمًا قَبْلَ خَلْقِهِ، لَمْ يَزْدَدْ بِكَوْنِهِمْ شَيْئًا لَمْ يَكُنْ قَبْلَهُمْ مِنْ صِفَاتِهِ، وَكَمَا كَانَ بِصِفَاتِهِ أَزَلِيًّا كَذَلِكَ لَا يَزَالُ عَلَيْهَا أَبَدِيًّا.

قوله: (مَا زَالَ بِصِفَاتِهِ قَدِيمًا قَبْلَ خَلْقِهِ) أي: أن الله تعالى متصفٌ بصفاته قبل أن يخلق الخلق، فكما أنه سبحانه الأول ليس قبله شيء فكذلك صفاته؛ لأن الصفات تابعة لذاته عز وجل، وهذا ردٌّ على المعطلة، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾ [الحديد:٣]، ﴿وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [فاطر:١٥].

قوله: (لَمْ يَزْدَدْ بِكَوْنِهِمْ شَيْئًا لَمْ يَكُنْ قَبْلَهُمْ مِنْ صِفَاتِهِ) أي: لم يزدد شيئاً من صفاته بعد خلقهم، بل صفاته كلها أوليَّة.

قوله: (وَكَمَا كَانَ بِصِفَاتِهِ أَزَلِيًّا كَذَلِكَ لَا يَزَالُ عَلَيْهَا أَبَدِيًّا) صفاته تعالى أولية وأبدية؛ لأنها قائمة بذاته سبحانه، سواء كانت صفات ذاتية أو صفات فعلية، ولا ينافي هذا تعلقها بالمشيئة، قال تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص:٨٨]، ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان:٥٨].

ومعنى أزليًا: أنها ليست مخلوقة، بل أولية؛ لأنها صفة للرب تعالى.

ومعنى أبديًا: أنها دائمة لا تفنى ولا تبيد.



لَيْسَ بَعْدَ خَلْقِ الْخَلْقِ اسْتَفَادَ اسْمَ الْخَالِقِ، وَلَا بِإِحْدَاثِ الْبَرِيَّةَ اسْتَفَادَ اسْمَ الْبَارِي.

لَهُ مَعْنَى الرُّبُوبِيَّةِ وَلَا مَرْبُوب، وَمَعْنَى الخالق وَلَا مَخْلُوقَ.

وَكَمَا أَنَّهُ مُحْيِي الْمَوْتَى بَعْدَ مَا أَحْيَا، اسْتَحَقَّ هَذَا الِاسْمَ قَبْلَ إِحْيَائِهِمْ، كَذَلِكَ اسْتَحَقَّ اسْمَ الْخَالِقِ قَبْلَ إِنْشَائِهِمْ.

قوله: (وَلَا بِإِحْدَاثِ الْبَرِيَّةَ اسْتَفَادَ اسْمَ الْبَارِي) هذا تفصيل لما سبق، فأسماؤه كلها أزلية كصفاته، فهي أسماء لذاته المقدسة سبحانه وتعالى، وهذا ردٌّ على المعتزلة والجهمية وبعض الأشاعرة الذين يقولون: إن أسماء وأفعال الله تعالى وصفاته حادثة بعد أن لم تكن.

وقد انتُقدت على المؤلف هذه الجُمَل، انظر لذلك في شرح ابن أبي العز وشرح الشيخ صالح آل الشيخ.

قوله: (اسْتَحَقَّ اسْمَ الْخَالِقِ قَبْلَ إِنْشَائِهِمْ) أراد الرد على المعتزلة وغيرهم الذين يقولون: إن أسماء الله وصفاته حادثة بعد أن لم تكن، تعالى الله عما يقولون! ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١]، ﴿وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [فاطر:١٥].



ذَلِك بِأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَكُلُّ شَيْءٍ إِلَيْهِ فَقِيرٌ، وَكُلُّ أَمْرٍ عَلَيْهِ يَسِيرٌ.

قوله: (**ذَلِك بِأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**) تقدمت الأدلة عند قوله: (ولا شيء يعجزه).

قوله: (**وَكُلُّ شَيْءٍ إِلَيْهِ فَقِيرٌ**) قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (١٥)﴾ [فاطر:١٥]، ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢)﴾ [الإخلاص:١-٢].

الصمد: الغني وكل شيء محتاج إليه، ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ (٥٣)﴾ [النحل:٥٣]، ﴿وَلَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ﴾ [الروم:٢٦].

قوله: (**وَكُلُّ أَمْرٍ عَلَيْهِ يَسِيرٌ**) قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة:٢٠]، ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [التغابن:٧]، ﴿إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج:٧٠]، ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (١٩)﴾ [العنكبوت:١٩]، ﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ (٤٤)﴾ [ق:٤٤] يسيرٌ عليه سبحانه لكمال قدرته وعلمه.



لَا يَحْتَاجُ إِلَى شَيْءٍ، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾.
خَلَقَ الْخَلْقَ بِعِلْمِهِ، وَقَدَّرَ لَهُمْ أَقْدَارًا.

قوله: (لَا يَحْتَاجُ إِلَى شَيْءٍ) سبق نحوه عند قوله: (خالق بلا حاجة) فراجعه.

وقال تعالى: ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾﴾ [الإخلاص:٢] أي: الكامل المستغني عن كل ما سواه.

وقال تعالى: ﴿لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِن يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنكُمْ﴾ [الحج:٣٧]، فلا يحتاج إلى شيء لكمال غناه وصفاته.

قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ هذه الآية استدلال لما سبق وقد سبق شرحها.

قوله: (خَلَقَ الْخَلْقَ بِعِلْمِهِ) قال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [الملك:١٤]، ﴿وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ [يس:٨١]، ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾ [الأنعام:٥٩]، وفي الباب أحاديث كثيرة.

قوله: (وَقَدَّرَ لَهُمْ أَقْدَارًا) قال تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾﴾ [الفرقان:٢]، ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [القمر:٤٩]، ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ [الأحزاب:٣٨].

وفي صحيح مسلم (٢٦٥٣) عن عبد الله بن عمرو ‏ أن النبي ﷺ قال: «كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ».



وَضَرَبَ لَهُمْ آجَالًا، وَلَمْ يَخْفَ عَلَيْهِ شَيْءٌ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَهُمْ، وَعَلِمَ مَا هُمْ عَامِلُونَ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَهُمْ.

قوله: (وَضَرَبَ لَهُمْ آجَالًا) قال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [الأعراف:٣٤]، ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾﴾ [الرعد:٣٨]، ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّؤَجَّلًا﴾ [آل عمران:١٤٥]، ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾ [فاطر:١١].

قوله: (وَعَلِمَ مَا هُمْ عَامِلُونَ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَهُمْ) قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٨٢]، ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الصافات:٩٦]، فالله تعالى يعلم ما كان وما سيكون وما لم يكن لو كان كيف سيكون، كما قال تعالى في الكفار: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾ [الأنعام:٢٨]، وفي حديث علي رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «اعْمَلُوا، فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ»، (خ ١٣٦٢)، (م ٢٦٤٧).



وَأَمَرَهُمْ بِطَاعَتِهِ، وَنَهَاهُمْ عَنْ مَعْصِيَتِهِ. وَكُلُّ شَيْءٍ يَجْرِي بِقُدْرَتِهِ وَمَشِيئَتِهِ، وَمَشِيئَتُهُ تَنْفُذُ؛ لَا مَشِيئَةَ لِلْعِبَادِ إِلَّا مَا شَاءَ لَهُمْ؛ فَمَا شَاءَ لَهُمْ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ.

قوله: (وَأَمَرَهُمْ بِطَاعَتِهِ، وَنَهَاهُمْ عَنْ مَعْصِيَتِهِ) قال الله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ [آل عمران:١٣٢]، ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾ [النساء:١٣-١٤].

وقال ﷺ: «مَنْ أَطَاعَنِي، دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي، فَقَدْ أَبَى»، رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه.

قوله: (وَكُلُّ شَيْءٍ يَجْرِي بِقُدْرَتِهِ وَمَشِيئَتِهِ) قال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾﴾ [الأعلى:٢-٣]، ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ﴾ [الرعد:٨]، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ [الحج:١٨].

قوله: (وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ) قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾﴾ [الإنسان:٣٠]، ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [التكوير:٢٩]، ﴿مَّا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الأنعام:١١١]، ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾ [الأنعام:١١٢]، ﴿مَن يَشَإِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٩﴾﴾ [الأنعام:٣٩].

فما شاء الله تعالى كان، وما لم يشأ لم يكن، ومشيئة الله تعالى كونية، وجعل للعباد إرادة ومشيئة لكنها تابعة لمشيئة الله تعالى، لكنه سبحانه يهدي من يعلم أنه يصلح للهداية ويحرص عليها، يضل من يشاء بسبب إعراضه عن طلب الهداية والخير، ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ﴾ [الأنفال:٢٣].

والعبد محاسب على أعماله وأقواله؛ لأن له إرادة واختياراً، ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠﴾ [الشمس:٧-١٠]، ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ۝٤٦﴾ [فصلت:٤٦]، ﴿وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٣٩﴾ [الصافات:٣٩].

وفي هذا ردٌّ على المعتزلة والقدرية القائلين أن الله تعالى لم يقدر المعاصي.

ورد على الجبرية أيضًا الذين نفوا اختيار العبد وإرادته.



يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ، وَيَعْصِمُ وَيُعَافِي فَضْلًا، وَيُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ، وَيَخْذُلُ وَيَبْتَلِي عَدلًا، وَكُلُّهُمْ يَتَقَلَّبُونَ فِي مَشِيئَتِهِ بَيْنَ فَضْلِهِ وَعَدْلِهِ.

قوله: (يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ... إلخ) الهداية والتوفيق فضل الله تعالى يؤتيه من يشاء، وعلى العبد بذل السبب لنيل الهداية، ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠﴾ [الليل:٥-١٠]، فكان السبب من العبد والتقدير من الله تعالى، والجزاء من جنس العمل.

قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾ [فصلت:٤٦]، ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة:٢٥٨]، ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة:٢٦٤]، فجعل الظلم والكفر... سبب لعدم الهداية، ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَٰكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [النحل:٣٣].

قوله: (بَيْنَ فَضْلِهِ وَعَدْلِهِ) فالهداية فضل الله تعالى، والإضلال عدله، كما سبق.



وَهُوَ مُتَعَالٍ عَنِ الْأَضْدَادِ وَالْأَنْدَادِ، لَا رَادَّ لِقَضَائِهِ، وَلَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ، وَلَا غَالِبَ لِأَمْرِهِ. آمَنَّا بِذَلِكَ كُلِّهِ وَأَيْقَنَّا أَنَّ كُلًّا مِنْ عِنْدِهِ.

قوله: (وَهُوَ مُتَعَالٍ عَنِ الْأَضْدَادِ وَالْأَنْدَادِ) قال تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الإخلاص:٤]، ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم:٦٥]، ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢٢]، ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النحل:٦٠]، ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه:١١٠]، ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [البقرة:٢٥٥]، ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝١٧﴾ [النحل:١٧]، ﴿فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ۝٣٢﴾ [يونس:٣٢]، ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ۝٦٢﴾ [الحج:٦٢]، ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل:٧٤].

قوله: (لَا رَادَّ لِقَضَائِهِ) أي: لا راد لقضائه وقدره، ولا مؤخر لحكمه ولا يغلب أمره غالب، قال تعالى: ﴿لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ۝٤١﴾ [الرعد:٤١]، ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران:٤٧]، ﴿وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ۝١١٠﴾ [يوسف:١١٠]، ﴿يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَآ ۖ إِنَّهُۥ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ۝٧٦﴾ [هود:٧٦].

وقال ﷺ في دعاء القنوت: «إنك تَقضي بالحق ولا يُقضى عليك»، رواه أحمد عن الحسن رضي الله عنه.

قوله: (آمَنَّا بِذَلِكَ كُلِّهِ... إلخ) قال تعالى: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران:٧]، فواجبٌ علينا الإيمان والتسليم، ﴿۞ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ [لقمان:٢٢].



وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ الْمُصْطَفَى، وَنَبِيُّهُ الْمُجْتَبَى، وَرَسُولُهُ الْمُرْتَضَى.

وَأَنَّهُ خَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ، وَإِمَامُ الْأَتْقِيَاءِ، وَسَيِّدُ الْمُرْسَلِينَ، وَحَبِيبُ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

قوله: (وَأَنَّ مُحَمَّدًا... إلخ) نبينا محمد ﷺ عبد الله ورسوله، عبدٌ فلا يُعبد، ورسولٌ فلا يُعصى ولا يُكذَّب.

قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾ [الإسراء:١]، ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ﴾ [الجن:١٩]، ﴿فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى ﴿١٠﴾﴾ [النجم:١٠]، ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ﴾ [الفتح:٢٩]، ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ [آل عمران:١٤٤]، ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ﴾ [الأحزاب:٤٠]، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ:٢٨]، ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾ [الحج:٧٥]، والمصطفى: المختار.

قوله: (وَأَنَّهُ خَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ) قال تعالى: ﴿وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب:٤٠]، وقد سبق ذكرها آنفاً.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «أنا خاتم النبيين»، (م ٢٢٨٦)، (خ ٣٥٣٥).

وعن ثوبان رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: « وَإِنِّي خَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ، لَا نَبِيَّ بَعْدِي، »، رواه ابن حبان (٦٧١٤).

قوله: (وَإِمَامُ الْأَتْقِيَاءِ) الإمام الذي يقتدى به.

قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ [الأحزاب:٢١]، ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر:٧].

ولعل المؤلف أراد بيان عظمة تقواه لله تعالى.

فعن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: «ما بال رجال بلغهم عن أمر فرخصت فيه فكرهوه وتنزهوا عنه، فوالله لأنا أعلمهم بالله وأشدهم له خشية»، (خ ٦١٠١)، (م ٢٣٥٦).

وفي حديث امرأة من الأنصار أن النبي ﷺ قال: «أنا أتقاكم لله وأعلمكم بحدود الله»، رواه أحمد (٥/ ٤٣٤)، وهو صحيح.

وصلى بالأنبياء إماماً ليلة الإسراء، كما في الصحيحين عن أنس.

قوله: (وَسَيِّدُ الْمُرْسَلِينَ) فهو ﷺ إمامهم وأفضلهم.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة»، (م ٢٢٧٨)، وهو في البخاري (٤٧٢١)، (م ١٩٤) نحوه. وأخبر بذلك من باب التحدث بالنعمة والبيان للأمة.

قوله: (وَحَبِيبُ رَبِّ الْعَالَمِينَ) له أعلى درجات المحبة ﷺ وهي الخلة، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «ولكنَّ صاحبَكم خليلُ الرحمن»، (م ٢٣٨٢). وقال ﷺ: «إن الله اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً».



وَكُلُّ دَعْوَى النُّبُوَّةِ بَعْدَهُ فَغَيٌّ وَهَوَى، وَهُوَ الْمَبْعُوثُ إِلَى عَامَّةِ الْجِنِّ وَكَافَّةِ الْوَرَى، بِالْحَقِّ وَالْهُدَى، وَبِالنُّورِ وَالضِّيَاءِ.

قوله: (وَكُلُّ دَعْوَى النُّبُوَّةِ بَعْدَهُ فَغَيٌّ وَهَوَى) عن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «وَإِنَّهُ سَيَخْرُجُ مِنْ أُمَّتِي كَذَّابُونَ دَجَّالُونَ قَرِيبًا مِنْ ثَلَاثِينَ، وَإِنِّي خَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ، لَا نَبِيَّ بَعْدِي». فمن ادعى النبوة فذلك ناشئ عن جرأته على الكذب وهوى في قلبه، وهو كافرٌ بإجماع المسلمين.

قوله: (وَهُوَ الْمَبْعُوثُ إِلَى عَامَّةِ الْجِنِّ) الرسل مبعوثة من الإنس إلى الجن والإنس، قال تعالى عن الجن: ﴿يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ﴾ [الأحقاف:٣١]، وقالوا: ﴿قَالُواْ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الأحقاف:٣٠]، فموسى وغيره أرسلوا إلى الإنس والجن، وفي المسألة تفاصيل تراجع الشروح.

قوله: (وَكَافَّةِ الْوَرَى) قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ﴾ [سبأ:٢٨]، ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١﴾ [الفرقان:١]، ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف:١٥٨]، ﴿وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ۝٧٩﴾ [النساء:٧٩].

وفي مسلم (١٥٢) أنه ﷺ قال: «والذي نفس محمدٍ بيده، لا يسمع بي أحدٌ من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أُرسلت به إلا كان من أصحاب النار».

قوله: (بِالْحَقِّ وَالْهُدَى... إلخ) قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ﴾ [التوبة:٣٣]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ۝٤٦﴾ [الأحزاب:٤٥-٤٦]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ۝١٧٤﴾ [النساء:١٧٤].



وَأَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللهِ، مِنْهُ بَدَا بِلَا كَيْفِيَّةٍ قَوْلًا.

قوله: (وَأَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللهِ) قال تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ [التوبة:٦]، ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [الأعراف:٥٤]، الأمر كلامه سبحانه.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ [فصلت:٤١-٤٢]، فالقرآن منزَّلٌ من عند الله تعالى، ﴿تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾﴾ [الزمر:١]، ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ﴾ [البقرة:٢٥٢] وسيأتي ذِكْرُ أدلة كثيرة.

قوله: (مِنْهُ بَدَا بِلَا كَيْفِيَّةٍ قَوْلًا) كلام الله تعالى صفة من صفاته سبحانه وتعالى، وهو حروف وكلمات، يتكلم الله تعالى متى شاء كيف شاء بما يشاء.

قال تعالى: ﴿تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ﴾ [الزمر:١]، فهذا دليل قوله: (منه بدأ).

وقوله: (بلا كيفية) كما قال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ [طه:١١٠]، فالكيفية يعلمها الله تعالى، ونحن نؤمن أن كلامه تعالى صفة له كما يليق بجلاله.



وَأَنْزَلَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَحْيًا، وَصَدَّقَهُ الْمُؤْمِنُونَ عَلَى ذَلِكَ حَقًّا. وَأَيْقَنُوا أَنَّهُ كَلَامُ اللهِ تَعَالَى بِالْحَقِيقَةِ، لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ كَكَلَامِ الْبَرِيَّةِ.

قوله: (وَأَنْزَلَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَحْيًا) قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى:٥٢]، ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾﴾ [الشعراء:١٩٢-١٩٣].

قوله: (وَصَدَّقَهُ الْمُؤْمِنُونَ عَلَى ذَلِكَ حَقًّا) قال تعالى: ﴿لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ [النساء:١٦٢]، ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ إلى قوله: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران:٧]. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾ [النساء:١٣٦].

قوله: (وَأَيْقَنُوا أَنَّهُ كَلَامُ اللهِ ... إلخ) رَدٌّ على المعتزلة وغيرهم الذين يقولون: هو كلام الله تعالى مجاز لا حقيقة وهو مخلوق خلقه الله في غيره، والرد عليهم من قوله تعالى: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾﴾ [القصص:٣٠]، ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [الأعراف:١٤٣].

هذه أدلة على أن كلام الله تعالى حقيقة، وسماع موسى له بحرف وصوت، والقرآن من كلامه تعالى، ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة:٦]، أي: القرآن.

وقال سبحانه: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ﴾ [الإسراء:٨٨]، لأنه كلام الله تعالى حقيقة لا يشبه كلام المخلوق.

وقال تعالى: ﴿فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ [البقرة:٢٣] ولو كان مخلوقاً لما عجزوا.



فَمَنْ سَمِعَهُ فَزَعَمَ أَنَّهُ كَلَامُ الْبَشَرِ فَقَدْ كَفَرَ، وَقَدْ ذَمَّهُ اللهُ تَعَالَى وَعَابَهُ وَأَوْعَدَهُ بِسَقَرَ؛ حَيْثُ قَالَ تَعَالَى: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾. فَلَمَّا أَوْعَدَ اللهُ بِسَقَرَ لِمَنْ قَالَ: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ﴾ عَلِمْنَا وَأَيْقَنَّا أَنَّهُ قَوْلُ خَالِقِ الْبَشَرِ، وَلَا يُشْبِهُ قَوْلَ الْبَشَرِ. وَمَنْ وَصَفَ اللهَ تَعَالَى بِمَعْنًى مِنْ مَعَانِي الْبَشَرِ فَقَدْ كَفَرَ.

قوله: (فَمَنْ سَمِعَهُ فَزَعَمَ أَنَّهُ كَلَامُ الْبَشَرِ... إلخ) القرآن كلام الله تعالى ليس بمخلوق للأدلة الكثيرة السابقة.

وقد ذهب عامة السلف (وحكاه بعضهم إجماعًا) إلى كفر من قال القرآن مخلوق، لأن هذا إلحاد في صفاته تعالى وجحود للقرآن، وقد كفَّر الله تعالى من زعم أنه قول البشر، ومن قال إنه مخلوق فقد جاء بمثل ذلك القول.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾﴾ [النحل:١٠٣]، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآۗ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۚ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[فصلت:٤٠].

قوله: (وَلَا يُشْبِهُ قَوْلَ الْبَشَرِ) قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء:٨٧]، ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء:١٢٢]، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١]، ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النحل:٦٠]، ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾ [الصافات:١٨٠-١٨٢]، فنزَّه نفسه عما يصفه به المنحرفون، ثم سلم على المرسلين لسلامة ما وصفوه به سبحانه وتعالى.

قوله: (وَمَنْ وَصَفَ اللهَ تَعَالَى بِمَعْنًى مِنْ مَعَانِي الْبَشَرِ فَقَدْ كَفَرَ) قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة:١٧]، ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌۚ

غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [المائدة:٦٤]، ﴿أَلَا إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٥٢﴾﴾ [الصافات:١٥١-١٥٢]، فكذبهم ولعنهم وكفَّرهم لأنهم وصفوا الله تعالى بصفات البشر.



فَمَنْ أَبْصَرَ هَذَا اعْتَبَرَ، وَعَنْ مِثْلِ قَوْلِ الْكُفَّارِ انْزَجَرَ، وَعَلِمَ أَنَّ اللهَ تَعَالَى بِصِفَاتِهِ لَيْسَ كَالْبَشَرِ.

قوله: (فَمَنْ أَبْصَرَ هَذَا اعْتَبَرَ) قال تعالى: ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة:٢٦٩]، وذكر سبحانه هلاك فرعون وقارون وهامان وجهال المشركين ثم قال: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [العنكبوت:٤٣] والأدلة كثيرة.

قوله: (وَعَنْ مِثْلِ قَوْلِ الْكُفَّارِ انْزَجَرَ) ابتعد عن قول الكفار: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴿٢٥﴾﴾ [المدثر:٢٥]، أو قال: كلام الله مخلوق، كل هذا كفر يجب البراءة منه، ﴿أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ [هود:٥٤].

قوله: (وَعَلِمَ أَنَّ اللهَ تَعَالَى بِصِفَاتِهِ لَيْسَ كَالْبَشَرِ) قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١]، ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾ [النحل:٦٠]، ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾﴾ [النحل:١٧]، ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢١٦]، ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان:٥٨]، ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النساء:٨٢].



وَالرُّؤْيَةُ حَقٌّ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ بِغَيْرِ إِحَاطَةٍ وَلَا كَيْفِيَّةٍ كَمَا نَطَقَ بِهِ كِتَابُ رَبِّنَا: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة:٢٢-٢٣]، وَتَفْسِيرُهُ عَلَى مَا أَرَادَهُ اللهُ تَعَالَى وَعَلِمَهُ.

قوله: (وَالرُّؤْيَةُ حَقٌّ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ بِغَيْرِ إِحَاطَةٍ وَلَا كَيْفِيَّةٍ) لقوله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه:١١٠]، ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأنعام:١٠٣]، فكيفية صفاته تعالى لا يعلمها إلا هو سبحانه، ونحن نؤمن أن صفاته كما يليق بجلاله، قال تعالى في الرؤية - وهي النظر إلى وجهه تعالى -: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة:٢٢-٢٣]، ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس:٢٦]، الزيادة: النظر إلى وجهه تعالى. ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾ [المطففين:١٥] لما حجب الكفار لسخطه عليهم دل على أن المؤمنين يرونه لرضاه عنهم.

وفي الصحيحين (خ ٥٥٤) (م ٦٣٣) عن جرير رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر لا تُضامُّون في رؤيته»، يراه المؤمنون رؤية واضحة كما يرون القمر دون مشقة ولا زحام، فشبَّه الرؤية بالرؤية. وفي الباب أكثر من مائة دليل، فلتخسأ أعين المبتدعة.

قوله: (وَتَفْسِيرُهُ عَلَى مَا أَرَادَهُ اللهُ تَعَالَى وَعَلِمَهُ) أي: تفسير ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة:٢٣] أي: على ما أرده الله جل وعلا وهو المعاينة بالأبصار على الكيفية التي شاءها تعالى، لا على ما أراده المبتدعة.



وَكُلُّ مَا جَاءَ فِي ذَلِكَ مِنَ الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَهُوَ كَمَا قَالَ، وَمَعْنَاهُ عَلَى مَا أَرَادَ؛ لَا نَدْخُلُ فِي ذَلِكَ مُتَأَوِّلِينَ بِآرَائِنَا، وَلَا مُتَوَهِّمِينَ بِأَهْوَائِنَا.

قوله: (وَكُلُّ مَا جَاءَ فِي ذَلِكَ... إلخ) أي: وهو المعاينة بالأبصار، كما سبق.

وعقيدة أهل السنة: الإيمان بالصفات الواردة في الكتاب وصحيح السنة ومعانيها كما دلت عليه اللغة العربية، إلا أننا لا نكيِّف شيئاً من ذلك، مع إيماننا أنها كما يليق بجلال الرب العظيم سبحانه وتعالى.

وأما من نفى العلم بالمعنى والكيفية فهو مفوض مبتدع، مخالف لما عليه السلف وسائر أهل السنة والجماعة.

قوله: (لَا نَدْخُلُ فِي ذَلِكَ مُتَأَوِّلِينَ بِآرَائِنَا ... إلخ) أي: لا نتأول الصفات بالآراء كما فعلت الأشاعرة وغيرهم، حيث فسروها بآرائهم وخالفوا ظاهر الأدلة.

ولا نمثلها أو نتخيل لها كيفية كما فعلت الممثلة، بل نؤمن بها وبمعانيها وأنها حقيقة كما يليق بجلال الله تعالى، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ نفى المماثلة، ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١] أثبت الصفات، ﴿وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ﴾ [القصص:٥٣].

والرد على الفرق الضالة، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [الإسراء:٣٦]، ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾ [الصف:٧]، ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف:٣]، ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾﴾ [القصص:٥٠].



فَإِنَّهُ مَا سَلِمَ فِي دِينِهِ إِلَّا مَنْ سَلَّمَ للهِ عَزَّ وَجَلَّ وَلِرَسُولِهِ ﷺ، وَرَدَّ عِلْمَ مَا اشْتَبَهَ عَلَيْهِ إِلَى عَالِمِهِ.

قوله: (وَرَدَّ عِلْمَ مَا اشْتَبَهَ عَلَيْهِ إِلَى عَالِمِهِ) أي: يرد ما لا يعلم معناه إلى قائله، لأنه أعلم بكلامه من غيره، وهذا حق، وصفات الله تعالى معلومة معانيها، كما قال تعالى: ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ﴾ [الزمر:٢٨]، ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٢﴾ [يوسف:٢]، وقال في رسوله: ﴿وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾ [النحل:١٠٣]، أي: عربي واضح البيان، فالقرآن بيِّنٌ واضح المعاني، وكذا السنة.

وإن كان قد يشكل على بعض الناس فهذا عليه أن يؤمن إيماناً مجملاً: أن كلام الله تعالى حق، وما فيه من الصفات حق، وأن لها معاني معلومة، وأنها كما يليق بجلال الرب سبحانه، فلا تمثيل ولا تعطيل، بل يرد المتشابه إلى المحكم.



وَلَا تَثْبُتُ قَدَمُ الْإِسْلَامِ إِلَّا عَلَى ظَهْرِ التَّسْلِيمِ وَالِاسْتِسْلَامِ؛ فَمَنْ رَامَ عِلْمَ مَا حُظِرَ عَنْهُ عِلْمُهُ، وَلَمْ يَقْنَعْ بِالتَّسْلِيمِ فَهْمُهُ، حَجَبَهُ مَرَامُهُ عَنْ خَالِصِ التَّوْحِيدِ، وَصَافِي الْمَعْرِفَةِ، وَصَحِيحِ الْإِيمَانِ.

قوله: (وَلَا تَثْبُتُ قَدَمُ الْإِسْلَامِ إِلَّا عَلَى ظَهْرِ التَّسْلِيمِ وَالِاسْتِسْلَامِ) قال تعالى: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾﴾ [لقمان:٢٢]، ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران:١٩]، والإسلام هو الاستسلام.

﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر:٧]، ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء:٦٥]، ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ ٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ أَوِ ٱخْرُجُوا۟ مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ۖ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾ [النساء:٦٦]، ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾﴾ [النور:٥١]، والآيات والأحاديث كثيرة في هذا.

قوله: (فَمَنْ رَامَ عِلْمَ مَا حُظِرَ عَنْهُ عِلْمُهُ... إلخ) هذا نهي عن أن يتعد المؤمن ما علمه إلى ما حجب عنه من علم الغيب، وأمر بالاقتصار على ما يعلمه، وهذا رد على أصحاب علم الكلام والمكاشفات، ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [الإسراء:٣٦]، ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا﴾ [البقرة:٢٦]، ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٨﴾ ثَانِىَ عِطْفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ لَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٩﴾﴾ [الحج:٨-٩]، ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [القصص:٥٠].



فَيَتَذَبْذَبُ بَيْنَ: الْكُفْرِ وَالْإِيمَانِ، وَالتَّصْدِيقِ وَالتَّكْذِيبِ، وَالْإِقْرَارِ وَالْإِنْكَارِ؛ مُوَسْوِسًا، تَائِهًا، شَاكًّا؛ لَا مُؤْمِنًا مُصَدِّقًا، وَلَا جَاحِدًا مُكَذِّبًا.

وَلَا يَصِحُّ الْإِيمَانُ بِالرُّؤْيَةِ لِأَهْلِ دَارِ السَّلَامِ لِمَنِ اعْتَبَرَهَا مِنْهُمْ بِوَهْمٍ، أَوْ تَأَوَّلَهَا بِفَهْمٍ.

قوله: (**فَيتَذَبْذَبُ بَيْنَ: الْكُفْرِ وَالْإِيمَانِ... إلخ**) هذا وصف لأصحاب علم الكلام وزعماء الصوفية الذين غلوا في طلب المعرفة حتى تزندق بعضهم، وأمثالهم من أهل الباطل كثير، قال تعالى: ﴿فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾ [التوبة:٤٥]، ﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ [النساء:١٤٣].

وقد ذُكر عن علماء الكلام من الحيرة ما يدل على تشككهم وحيرتهم وتذبذبهم.

قوله: (**وَلَا يَصِحُّ الْإِيمَانُ بِالرُّؤْيَةِ... إلخ**) يبين المؤلف ضلال نفاة الرؤية، وأن من مثَّل رؤية الله تعالى بكذا مما يتوهمه أو نفى الرؤية لتأويل فهمه فليسوا جميعاً ممن يؤمن بالرؤية، وهذا ردٌّ على المعطلة والممثلة.

والمؤمنون بالرؤية هم من آمنوا وصدقوا بها على ما جاء في الكتاب والسنة، ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة:٢٢-٢٣]، وقال ﷺ: «إنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر»، متفق عليه عن جرير رضي الله عنه.



إِذْ كَانَ تَأْوِيلُ الرُّؤْيَةِ وَتَأْوِيلُ كُلِّ مَعْنًى يُضَافُ إِلَى الربوبية بترك التَّأْوِيلِ وَلُزُومَ التَّسْلِيمِ وَعَلَيْهِ دِينُ الْمُسْلِمِينَ.

وَمَنْ لَمْ يَتَوَقَّ النَّفْيَ وَالتَّشْبِيهَ زَلَّ وَلَمْ يُصِبِ التَّنْزِيهَ.

قوله: (وَعَلَيْهِ دِينُ الْمُسْلِمِينَ) هذا تأكيد لما سبق وراجع التعليق عند قوله: (ورد علم ما اشتبه عليه إلى عالمه).

قوله: (وَمَنْ لَمْ يَتَوَقّ النّفيَ وَالتّشْبِيهَ زَلّ ... إلخ) يريد بالنفي (التعطيل) وبالتشبيه (التمثيل)، فمن مثَّل الله تعالى بخلقه فقد افترى على الله تعالى واستحق اللعنة كاليهود، ومن عطَّل صفات الله تعالى فقد وصفه بالنقص، وكلاهما ملحد، والحق بين ذلك: إثبات بلا تمثيل وتنزيه بلا تعطيل، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١﴾ [الشورى:١١].



فَإِنَّ رَبَّنَا جَلَّ وَعَلَا مَوْصُوفٌ بِصِفَاتِ الْوَحْدَانِيَّةِ، مَنْعُوتٌ بِنُعُوتِ الْفَرْدَانِيَّةِ، لَيْسَ فِي مَعْنَاهُ أَحَدٌ مِنَ الْبَرِيَّةِ، وَتَعَالَى عَنِ الْحُدُودِ وَالْغَايَاتِ، وَالْأَرْكَانِ وَالْأَعْضَاءِ وَالْأَدَوَاتِ، لَا تَحْوِيهِ الْجِهَاتُ السِّتُّ كَسَائِرِ الْمُبْتَدَعَاتِ.

قوله: (لَيْسَ فِي مَعْنَاهُ أَحَدٌ مِنَ الْبَرِيَّةِ) قال الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الإخلاص:١-٤]، فربنا جل وعلا ليس له مثيل ولا نظير في ذاته ولا صفاته ولا أفعاله، ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النحل:٦٠]، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١]، فهو الواحد الأحد، فرد في صفاته وأفعاله، لا يماثله المخلوق الناقص، ولكن الممثلة والمعطلة لا يعقلون.

قوله: (وَتَعَالَى عَنِ الْحُدُودِ وَالْغَايَاتِ... إلخ) أي: تنزه عن مشابهة الخلق في حدودهم وغاياتهم وغير ذلك. هكذا حملوا مراد المؤلف، مع ما فيه ...

ومذهب أهل السنة في الألفاظ المجملة التي لم يرد في الكتاب والسنة نفيها ولا إثباتها: التفصيل والاستفسار عن معانيها، فما كان موافقاً للكتاب والسنة قيل: قد ورد هذا المعنى في الدليل كذا، وما لم يرد في الكتاب والسنة رُدَّ على قائله، وعلى كُلٍّ فالتمسك والاستدلال بالألفاظ المجملة علامة أهل البدع.

فيقال لمن نفى الأعضاء عن الله تعالى: إن كنت تريد أنه لا يشبه المخلوق فهذا حق، وقد ورد ذلك في غير هذا اللفظ المجمل، وإن كنت تريد نفي صفات الذات للرب سبحانه كالوجه واليدين ونحوها ... فهذا باطل مردود، فهي ثابتة بأدلة صحيحة صريحة.

وقوله: (المبتدعات) أي: المخلوقات.

وآيات وأحاديث الصفات بينة لا غامضة المعنى، والأصل في نفي النقائص الإجمال إلا ما ندر.

قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١]،

فنفى مجملاً وأثبت مفصلاً.

وأما ما ندر فنحو قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ (٤)﴾ [الإخلاص:١-٤]، وتفصيل المؤلف من هذا القبيل، لكن قوله: (كسائر المبتدعات) فيه نظر، فالعرش سطح العالم لا تحويه الجهات الوجودية، وتفاصيل ذلك في جامع شروح الطحاوية، فراجعه.



وَالْمِعْرَاجُ حَقٌّ، وَقَدْ أُسْرِيَ بِالنَّبِيِّ ﷺ، وَعُرِجَ بِشَخْصِهِ فِي الْيَقَظَةِ إِلَى السَّمَاءِ، ثُمَّ إِلَى حَيْثُ شَاءَ اللهُ مِنَ الْعُلَا، وَأَكْرَمَهُ اللهُ بِمَا شَاءَ.

قوله: (وَالْمِعْرَاجُ حَقٌّ) المعراج في اللغة: الآلة التي يُعرج فيها، وهو بمنزلة (السُّلَّم)، ولا نعلم كيفيته، وحكمه كحكم سائر المغيبات. ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ [الإسراء:٣٦]، ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ [البقرة:٣] في سياق مدح المؤمنين، ودليل المعراج قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾﴾ [النجم:١٣-١٤] مع الأحاديث الآتية.

قوله: (وَقَدْ أُسْرِيَ بِالنَّبِيِّ ﷺ) قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾ [الإسراء:١]، والإسراء: هو السير ليلاً.

قوله: (وَعُرِجَ بِشَخْصِهِ) صعد إلى السماوات بروحه وجسمه كما هو ظاهر الأدلة، وكان مرة واحدة فقط قبل الهجرة.

قوله: (وَأَكْرَمَهُ اللهُ بِمَا شَاءَ) ورد ذلك من حديث أنس وأبي ذر ومالك بن صعصعة وجمع من الصحابة، (خ ٣٥٧٠، ٣٤٩، ٣٢٠٧)، (م ١٦٢، ١٦٣، ١٦٤).

وفي حديث أنس: «أتيت البراق فركبته حتى أتيت بيت المقدس... ثم عرج بنا إلى السماء - الدنيا - فإذا أنا بآدم، ثم عرج بنا إلى السماء الثانية فإذا عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا، ثم السماء الثالثة فإذا أنا بيوسف، ثم الرابعة فإذا أنا بإدريس، ثم الخامسة فإذا أنا بهارون، ثم السادسة فإذا أنا بموسى، ثم السابعة فإذا أنا بإبراهيم، ثم ذُهِب بي إلى سدرة المنتهى فأوحى الله إليَّ ما أوحى ففرض علي خمسين صلاة، فلم أزل أرجع بين ربي وبين موسى حتى قال: يا محمد، إنهن خمس صلوات كل يوم وليلة...» انتهى مختصراً.



وَأَوْحَى إِلَيْهِ مَا أَوْحَى ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾، فَصَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْآخِرَةِ وَالْأُولَى.

وَالْحَوْضُ الَّذِي أَكْرَمَهُ اللهُ تَعَالَى بِهِ غِيَاثًا لِأُمَّتِهِ حَقٌّ.

قوله: (فَصَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسلّمَ فِي الْآخِرَة وَالْأُولَى) هذا الكلام من المؤلف للسجع لا لبيان أنه في قصة المعراج، والصلاة من الله: الثناء عليه، ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (٥٦)﴾ [الأحزاب:٥٦].

قوله: (وَالْحَوْضُ الّذي أَكْرَمَهُ اللّهُ تَعالَى بِهِ... إلخ) الحوض هو: حوض الماء النازل من الكوثر في عرصات القيامة.

قال تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ (١)﴾ [الكوثر:١]، وهو النهر الذي يصب في الحوض.

وعن أبي ذر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قيل له: ما آنية الحوض؟ فقال: «والذي نفس محمدٍ بيده، لآنيته أكثر من عدد نجوم السماء وكواكبها، من شرب منه لم يظمأ، آخرُ ما عليه ميزابان من الجنة، عرضه مثل طوله ما بين عمَّان إلى أيلة، ماؤه أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل»، (م ٢٣٠٠).

وفي الباب عن أكثر من ثلاثين صحابياً، منهم ثوبان وجندب وسهل وأبي سعيد وعبد الله بن عمرو وأسماء وعائشة وأم سلمة وعقبة بن عامر وابن مسعود وحذيفة وحارثة بن وهب وابن عمر وأبي هريرة وأنس وجابر بن سمرة، كلها في الصحيح، وخارج الصحيح من الصحاح أكثر منها، فأحاديث الحوض متواترة.

وقوله: (غِيَاثًا لِأُمّتِهِ) أي: عند حاجتهم إليه وعطشهم، وذلك بعد خروجهم من الأرض وقبل الحساب، بدلالة قوله ﷺ: «ترد علي أمتي»، «أنا فرطكم على الحوض»، وهذا إنما يكون قبل الحساب والله أعلم.



وَالشَّفَاعَةُ الَّتِي ادَّخَرَهَا لَهُمْ حَقٌّ كَمَا رُوِيَ فِي الْأَخْبَارِ.

قوله: (**وَالشَّفَاعَةُ الَّتِي ادَّخَرَهَا... إلخ**) الشفاعة لغة: سؤال الشافع للمشفوع له في حاجة ما وطلب ذلك. وفي الاصطلاح: الدعاء إلى الله تعالى لجلب نفع للغير أو دفع ضر عنه.

وأقسام الشفاعة المثبتة هي:

أ) الشفاعة لأهل الموقف أن يأتي الله تعالى ليحاسبهم كما في حديث أبي هريرة الطويل (خ ٤٧٢١)، (م ١٩٤) وهو المقام المحمود، قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾﴾ [الإسراء:٧٩]. وهذه خاصة بنبينا ﷺ.

ب) شفاعة رسولنا ﷺ في عمه أبي يطالب، وهي خاصة بالشافع والمشفوع - لتخفيف العذاب عن أبي طالب -.

عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: ذكر عند رسول الله ﷺ عمه أبو طالب فقال: «لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة، فيجعل في ضحضاح من نار يبلغ كعبيه يغلي منه دماغه»، (خ ٣٨٨٥)، (م ٢١٠).

ج) الشفاعة لأهل الجنة أن يدخلوا الجنة، وهذه خاصة بنبينا ﷺ.

عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «أنا أول شفيعٍ في الجنة، وأنا أكثر الأنبياء تبعاً»، (م ١٩٦).

د) شفاعة في رفع درجات أقوام في الجنة، وهذا مجمَعٌ عليه، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الطور:٢١]، فيرفع الله تعالى الأبناء إلى منزلة الآباء، ويرفع الله الآباء بدعاء الأبناء.

س) الشفاعة في قوم أُمِر بهم إلى النار حتى لا يدخلوها، فالقرآن يشفع، والأنبياء يشفعون، والأفراط.

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن سورة من القرآن ثلاثون آية شفعت

لرجل حتى غفر له، وهي سورة تبارك الذي بيده الملك»، رواه أبو داود (٢/ ١١٩/ العون)، وصححه العلامة الألباني من طرق.

ص) الشفاعة في أهل الكبائر الذين دخلوا النار، وفيها أكثر من مائة دليل من الكتاب والسنة. ومنها عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن بُرة...»، (خ ٧٥١٠)، (م ١٩٢).

والشفاعة لا تُقبل إلا من الموحدين للموحدين، قال تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ [الأنبياء:٢٨]،

وقال في حق غير الموحدين: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ ﴿١٠٠﴾﴾ [الشعراء:١٠٠]، ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [المدثر:٤٨]، والشرط الآخر: إذن الله تعالى للشافع، ورضاه عن الشافع والمشفوع له، قال تعالى: ﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة:٢٥٥].



وَالْمِيثَاقُ الَّذِي أَخَذَهُ اللهُ تَعَالَى مِنْ آدَمَ وَذُرِّيَّتِهِ حَقٌّ.

قوله: (**والميثاق الذي أخذه الله تعالى... إلخ**) قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾ [الأعراف:١٧٢].

ومسألة الميثاق تابعة لمسألة القدر، وقد سبق. وفي الباب أحاديث عدة.

والميثاق حق، والإشهاد حق على ظاهره، وجواب الناس حقيقي (**قَالُوا۟ بَلَىٰ**) بلسان المقال، والفطرة ثمرة له، خلافاً للمعتزلة.



وَقَدْ عَلِمَ اللهُ تَعَالَى - فِيمَا لَمْ يَزَلْ - عَدَدَ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ، وَعَدَدَ مَنْ يَدْخُلُ النَّارَ جُمْلَةً وَاحِدَةً؛ فَلَا يُزَادُ فِي ذَلِكَ الْعَدَدِ، وَلَا يُنْقَصُ مِنْهُ، وَكَذَلِكَ أَفْعَالُهُمْ فِيمَا عَلِمَ مِنْهُمْ أَنْ يَفْعَلُوهُ، وَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ.

قوله: (وَقدْ علِمَ اللهُ تعالَى...إلخ) قال الله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾ [الأحزاب:٤٠].

وعن عبد الله بن عمرو ﭬ قال: خرج علينا النبي ﷺ وفي يده كتابان فقال: «أتدرون ما هذان الكتابان؟» فقلنا: لا يا رسول الله إلا أن تخبرنا. فقال للذي في يده اليمنى: «هذا كتاب من رب العالمين، فيه أسماء أهل الجنة وأسماء آبائهم وقبائلهم، ثم أجمل على آخرهم فلا يزاد فيهم ولا ينقص منهم أبداً»، وقال للذي في شماله: «هذا كتاب من رب العالمين، فيه أسماء أهل النار وأسماء آبائهم وقبائلهم، ثم أجمل على آخرهم فلا يزاد فيهم ولا ينقص منهم أبداً»، ﴿فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ﴾ [الشورى:٧]»، رواه الترمذي (٢١٤١) وصححه الشيخان. وذكر الكتابين في يده من باب التمثيل ليفهم السامع.

ومراتب القدر أربع: العلم، والكتابة، والمشيئة، والخلق.

قوله: (وَكلٌ مُيسّرٌ لِما خُلِقَ لَهُ) سبق دليله من حديث عمران.



وَالْأَعْمَالُ بِالخَوَاتِيم.

وَالسَّعِيدُ: مَنْ سَعِدَ بِقَضَاءِ الله تَعَالَى، وَالشَّقِيُّ: مَنْ شَقِيَ بِقَضَاءِ الله تَعَالَى.

وَأَصْلُ الْقَدَرِ سِرُّ الله تَعَالَى فِي خَلْقِهِ؛ لَمْ يَطَّلِعْ عَلَى ذَلِكَ مَلَكٌ مُقَرَّبٌ، وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ.

قوله: (**وَالْأَعْمَالُ بِالْخَوَاتِيمِ**) عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إنما الأعمال بالخواتيم»، (خ ٦٤٩٣).

قوله: (**وَالسَّعِيدُ: مَنْ سَعِدَ بِقَضَاءِ اللَّهِ تَعَالَى... إلخ**) عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «الشقي من شقي في بطن أمه، والسعيد من سعد في بطن أمه»، رواه البزار في مسنده وصححه الشيخان.

فالعبد يسعد ويشقى بما قدره الله تعالى له من عمل، ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠﴾ [الليل:٥-١٠].

قوله: (**وَأَصْلُ الْقَدَرِ سِرُّ اللَّهِ تَعَالَى... إلخ**) قال الله تعالى: ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ۝٢٣﴾ [الأنبياء:٢٣]، فعليك الإيمان والإكثار من الصالحات، ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ [الإسراء:٣٦]، وآمن أن قضاء الله وقدره حق، ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ۝٤٦﴾ [فصلت:٤٦].



وَالتَّعَمُّقُ وَالنَّظَرُ فِي ذَلِكَ ذَرِيعَةُ الْخِذْلَانِ، وَسُلَّمُ الْحِرْمَانِ، وَدَرَجَةُ الطُّغْيَانِ؛ فَالْحَذَرَ كُلَّ الْحَذَرِ مِنْ ذَلِكَ نَظَرًا وَفِكْرًا وَوَسْوَسَةً؛ فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى طَوَى عِلْمَ الْقَدَرِ عَنْ أَنَامِهِ، وَنَهَاهُمْ عَنْ مَرَامِهِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ: ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾، فَمَنْ سَأَلَ: لِمَ فَعَلَ؟ فَقَدْ رَدَّ حُكْمَ الْكِتَابِ؛ وَمَنْ رَدَّ حُكْمَ الْكِتَابِ كَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ.

قوله: (وَالتّعَمّقُ وَالنّظرُ في ذَلك ذَرِيعَةُ الْخِذْلَان... إلخ) قال الله تعالى: ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام:١٤٨]، فسمى التعمق في القدر تكذيباً موجباً للعذاب، وأنه لا يجادل فيه إلا ذوو الريب أو الشرك والكفر.

قوله: (فَالْحَذَرَ كُلّ الْحَذَرِ مِنْ ذَلك... إلخ) عن أبي مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا ذُكِر القدر فأمسكوا»، رواه الطبراني وانظر «الصحيحة» (٣٤).

وقال تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾﴾ [الأعراف:٢٠٠].

قوله: (وَمَنْ رَدّ حكمَ الْكِتَابِ كَانَ مِن الْكَافِرين) قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ [النساء:٦٥] الآية. ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾﴾ [النساء:٦٠-٦١]، ﴿وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [النور:٤٨]. ﴿بَلْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [النور:٥٠].



فَهَذَا جُمْلَةُ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مَنْ هُوَ مُنَوَّرٌ قَلْبُهُ مِنْ أَوْلِيَاءِ الله تَعَالَى، وَهِيَ دَرَجَةُ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ؛ لِأَنَّ الْعِلْمَ عِلْمَانِ: عِلْمٌ فِي الْخَلْقِ مَوْجُودٌ وَعِلْمٌ فِي الْخَلْقِ مَفْقُودٌ.

قوله: (مِنْ أَوْلِيَاءِ اللَّه تَعَالَى) قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [يونس:٦٢-٦٣]، فوصفهم بالإيمان والتقوى اللذان يحملان على فعل الطاعات والتسليم للكتاب والسنة، وترك الجدل والمنكرات المخالفة للكتاب والسنة.

قوله: (وَهِيَ دَرَجَةُ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ) قال تعالى: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران:٧]، ﴿لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ [النساء:١٦٢] الآية.

قوله: (لِأَنَّ الْعِلْمَ عِلْمَانِ... إلخ) العلم الموجود: علم الكتاب والسنة، وعلوم الآلة التي تعين على فهمها، والعلم المفقود في الخلق: علم الغيب.

قال تعالى في العلم الشرعي: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [الأعراف:٣]، ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر:٧].

وأما علم الغيب فقال تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ ﴿٢٧﴾﴾ [الجن:٢٦-٢٧]، أي: ما يوحى إلى الرسل من العلم الشرعي، فلا يعلم الرسل إلا ما علمهم الله تعالى.

وقال سبحانه: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النمل:٦٥].



فَإِنْكَارُ الْعِلْمِ الْمَوْجُودِ كُفْرٌ، وَادِّعَاءُ الْعِلْمِ الْمَفْقُودِ كُفْرٌ، وَلَا يصِحُّ الْإِيمَانُ إِلَّا بِقَبُولِ الْعِلْمِ الْمَوْجُودِ، وَتَرْكِ طَلَبِ الْعِلْمِ الْمَفْقُودِ.

قوله: (**فَإِنْكَارُ الْعِلْمِ الْمَوْجُودِ كُفْرٌ**...) لأن إنكار الشريعة كفر إذا قامت الحجة، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴿١٠٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾﴾ [النحل:١٠٣-١٠٤]، ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ﴾ [العنكبوت:٤٧].

وادعاء علم الغيب كفر؛ لأنه -أيضاً- تكذيب لله تعالى ورسوله: ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾﴾ [مريم:٧٧-٧٨]، ﴿وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾﴾ [سبأ:٥٣]، ﴿فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ﴾ [يونس:٢٠].

قوله: (**وَلَا يصِحُّ الْإِيمَانُ إِلَّا بِقَبُولِ الْعِلْمِ... إلخ**) لأن هذا هو التسليم، ﴿وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء:٦٥]، كما سبق عند قوله: (ولا تثبت قدم الإسلام إلا على ظهر التسليم).



وَنُؤْمِنُ بِاللَّوْحِ وَالْقَلَمِ، وَبِجَمِيعِ مَا فِيهِ قَدْ رُقِمَ؛ فَلَوِ اجْتَمَعَ الْخَلْقُ كُلُّهُمْ عَلَى شَيْءٍ كَتَبَهُ اللهُ تَعَالَى فِيهِ أَنَّهُ كَائِنٌ لِيَجْعَلُوهُ غَيْرَ كَائِنٍ لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ.

قوله: (وَنُؤْمِنُ بِاللَّوْحِ) قال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝٢١ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ۝٢٢﴾ [البروج:٢١-٢٢]، ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ۝٧٧ فِي كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ۝٧٨ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ۝٧٩﴾ [الواقعة:٧٧-٧٩] الآية.

قوله: (وَبِجَمِيعِ مَا فِيهِ قَدْ رُقِمَ) قال تعالى: ﴿نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ [القلم:١].

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال لابنه: يا بُنيَّ إنَّك لن تَجِدَ طعمَ حقيقةِ الإيمان حتّى تَعلمَ أن ما أصابَكَ لم يكُنْ ليُخْطئَكَ، وما أخطَاكَ لم يكُنْ ليُصيبَك، سمعتُ رسولَ الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: "إن أوَّلَ ما خلقَ الله القلمُ، فقال له: اكتُبْ، قال: ربِّ، وماذا أكتُبُ؟ قال: اكتُبْ مقاديرَ كل شيءٍ حتى تقومَ الساعةُ"، يا بني، إني سمعتُ رسولَ الله -صلى الله عليه وسلم يقول: «مَنْ ماتَ على غير هذا فليسَ منّي»، رواه أبو داود (٤٧٠٠) وصححه الشيخان الألباني والوادعي.



وَلَوِ اجْتَمَعُوا كُلُّهُمْ عَلَى شَيْءٍ لَمْ يَكْتُبْهُ اللهُ تَعَالَى فِيهِ أَنَّهُ غيرُ كائِنٍ لِيَجْعَلُوهُ كَائِنًا لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ؛ جَفَّ الْقَلَمُ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

وَمَا أَخْطَأَ الْعَبْدَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ، وَمَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ.

قوله: (**وَلَوِ اجْتَمَعُوا كُلُّهُمْ عَلَى شَيْءٍ... إلخ**) عن ابن عباس ﭬ قال: قال رسول الله ﷺ: «واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف»، رواه الترمذي (٧/ ٢١٩/ تحفة) وصححه الشيخان.

وقال تعالى: ﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ٢٩﴾ [ق:٢٩]، هذا في اللوح المحفوظ، وهو أم الكتاب.

أما الألواح التي بأيدي الملائكة فهي المرادة بقوله تعالى: ﴿يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ٣٩﴾ [الرعد:٣٩]، فالمحو يكون فيها كما يشاء الله تعالى لا في أم الكتاب.

قوله: (**وَمَا أَخْطَأَ الْعَبْدَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ... إلخ**) قال تعالى: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾ [التوبة:٥١].

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لكل شيءٍ حقيقة، وما بلغ عبدٌ حقيقة الإيمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه»، رواه أحمد (٦/ ٤٤١)، وصححه الشيخان.

والمعنى: ما قضاه الله تعالى وقدَّره على العبد لابد أن يقع، وما لم يكتبه الله تعالى على العبد فلا يقع.



وَعَلَى الْعَبْدِ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ اللهَ تَعَالَى قَدْ سَبَقَ عِلْمُهُ فِي كُلِّ كَائِنٍ مِنْ خَلْقِهِ، فَقَدَّرَ ذَلِكَ تَقْدِيرًا مُحْكَمًا مُبْرَمًا؛ لَيْسَ فِيهِ نَاقِضٌ، وَلَا مُعَقِّبٌ، وَلَا مُزِيلٌ، وَلَا مُغَيِّرٌ، وَلَا مُحَوِّلٌ، وَلَا نَاقِصٌ، وَلَا زَائِدٌ مِنْ خَلْقِهِ فِي سَمَاوَاتِهِ وَأَرْضِهِ؛ وَذَلِكَ مِنْ عَقْدِ الْإِيمَانِ، وَأُصُولِ الْمَعْرِفَةِ، وَالِاعْتِرَافِ بِتَوْحِيدِ اللهِ تَعَالَى وَرُبُوبِيَّتِه ، كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان:٢]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا﴾ [الأحزاب:٣٨].

فَوَيْلٌ لِمَنْ صَارَ لله تَعَالَى فِي الْقَدَرِ خَصِيمًا، وَأَحْضَرَ لِلنَّظَرِ فِيهِ قَلْبًا سَقِيمًا، لَقَدِ الْتَمَسَ بِوَهْمِهِ فِي فَحْصِ الْغَيْبِ سِرًّا كَتِيمًا، وَعَادَ بِمَا قَالَ فِيهِ أَفَّاكًا أَثِيمًا.

قوله: (... فِي سَمَاوَاتِهِ وَأَرْضِهِ) مراتب القدر أربع، أولها: العلم كما شرح المؤلف ﴿وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ﴾ [الرعد:٤١].

قال الله تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [الملك:١٤]، ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان:٢]، ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٨٢]، وقد سبقت أدلة كثيرة.

قوله: (وَذَلِكَ مِنْ عَقْدِ الْإِيمَانِ... إلخ) يعني: الإيمان بالقدر من أصول العقيدة وأركان الإيمان والتوحيد.

عن عمر رضي الله عنه في حديث جبريل أنه سأل النبي ﷺ عن الإيمان، فقال ﷺ: «الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وباليوم الآخر وبالقدر خيره وشره»، رواه مسلم (٨).

وعن أُبي بن كعب رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لو أنفقت مثل أحدٍ ذهباً في سبيل الله ما قبله الله منك حتى تؤمن بالقدر، وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، ولو مت على غير ذلك لدخلت النار»، رواه أحمد (٥/ ١٨٢)، وصححه الوادعي.

ووجه إدخال القدر في التوحيد – بعد ذكر الإيمان – الرد على القدرية الذين قالوا: إن الله لم يقدِّر الشر، أو: إن العبد يخلق فعله، فجعلوا مع الله تعالى خالقاً آخر، وهذا شرك، فالعبد

الموحَّد يؤمن أن كل شيء قدَّره الله تعالى وخلقه، لا متصرف في الكون سواه سبحانه وتعالى.

قوله: (**فَوَيْلٌ لِمَنْ صَارَ للهِ تَعَالَى فِي الْقَدَرِ خَصِيمًا... إلخ**) وقد سبق نحو هذا الكلام مع أدلته.

وقال تعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ ﴾ [الإسراء:٨٢]، ففي القرآن الشفاء، ولكن المتشككون في القدر ظلموا أنفسهم ومن تبعهم على ضلالهم.



وَالْعَرْشُ وَالْكُرْسِيُّ حَقٌّ، وَهُوَ مُسْتَغْنٍ عَنِ الْعَرْشِ وَمَا دُونَهُ، مُحِيطٌ بِكُلِّ شَيْءٍ وَفَوْقَهُ. وَقَدْ أَعْجَزَ عَنِ الْإِحَاطَةِ خَلْقَهُ.

قوله: (وَالْعَرْشُ وَالْكُرْسِيُّ حَقٌّ) قال تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه:٥]، ﴿ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ۝١٥﴾ [البروج:١٥]، ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ﴾ [المؤمنون:١١٦]، ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۝٢٦﴾ [النمل:٢٦]، ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ﴾ [الحاقة:١٧]، ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ [الزمر:٧٥].

وقال عز وجل: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [البقرة:٢٥٥].

وقال ابن عباس: «الكرسي موضع القدمين، والعرش لا يقدر قدره إلا الله تعالى»، رواه ابن أبي شيبة وسنده حسن.

وقال غير واحدٍ من السلف: الكرسي بين يدي العرش كالمرقاة إليه.

والعرش غير الكرسي عند عامة أهل السنة.

قوله: (وَهُوَ مُسْتَغْنٍ عَنِ الْعَرْشِ وَمَا دُونَهُ) قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [العنكبوت:٦]، ﴿هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [لقمان:٢٦]، فالله غنيٌّ عن العرش والكرسي، والله تعالى هو المسك لهما بقدرته، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا﴾ [فاطر:٤١].

قوله: (مُحِيطٌ بِكُلِّ شَيْءٍ وَفَوْقَهُ) والله محيطٌ بكل شيء وفوق كل شيء.

قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ۝٢٠﴾ [البروج:٢٠]، ﴿أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌۢ﴾ [فصلت:٥٤]، ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا ۝١٢٦﴾ [النساء:١٢٦]، ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام:١٨]، ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل:٥٠]، ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١﴾ [الأعلى:١].

وقيل في الإحاطة: إحاطة علمه وقدرته وعظمته.

وقيل: محيطٌ بكل شيء كما يليق بجلاله وعلوه وفوقيته، ولا نقول: كيف؟ بل نبقي الأدلة على ظاهرها، والله أعلم.

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١]، إثبات بلا تمثيل ولا تكييف.

ونفى كثير من العلماء توهُّم من توهَّم أن الله تعالى بذاته محيطٌ بالمخلوقات من كل جهة، بل الله تعالى في العلو وفوق جميع المخلوقات.

قوله: (**وَقَدْ أَعْجَزَ عَنِ الْإِحَاطَةِ خَلْقَهُ**) قال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه:١١٠]، ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾ [الأنعام:١٠٣]، ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ [البقرة:٢٥٥].



وَنَقُولُ: إِنَّ اللهَ اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا، وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيمًا، إِيمَانًا، وَتَصْدِيقًا، وَتَسْلِيمًا.

قوله: (وَنَقُولُ: إِنّ اللهَ اتّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا) قال تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء:١٢٥]، وسبق حديث: «إن الله اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً» عند قوله: (وحبيب رب العالمين).

وفي حديث الشفاعة الطويل عن أبي هريرة مرفوعاً، وفيه: «فيأتون إبراهيم فيقولون: أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض...»، (خ ٤٧٢١)، (م ١٩٤).

قوله: (وَكَلّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيمًا) قال الله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء:١٦٤]، ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ [الأعراف:١٤٣]، وفي حديث الشفاعة: «فيأتون موسى فيقولون: يا موسى، أنت رسول الله فضَّلك الله برسالاته وبتكليمه على الناس...»، وفيه إثبات صفة الكلام لله تعالى، وقد سبق نحو هذا عند قوله: (وأن القرآن كلام الله).

قوله: (إِيمَانًا، وَتَصْدِيقًا، وَتَسْلِيمًا) نؤمن ونصدق ونسلم بما جاء عن ربنا عز وجل وعن نبينا ﷺ ومنها ما تقدم ذكره. ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾ [البقرة:٢٨٥]، ﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ﴾ [المائدة:٨٤]، ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ ۙ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [الزمر:٣٣]، ﴿وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾﴾ [الأحزاب:٢٢].



وَنُؤْمِنُ بِالْمَلَائِكَةِ، وَالنَّبِيِّينَ، وَالْكُتُبِ الْمُنَزَّلَةِ عَلَى الْمُرْسَلِينَ، وَنَشْهَدُ أَنَّهُمْ كَانُوا عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ.

قوله: (وَنُؤْمِنُ بِالْمَلَائِكَة) قال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۧنَ﴾ [البقرة:١٧٧]، ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء:١٣٦]، ﴿جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾ [فاطر:١]، ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الأنبياء:٢٦-٢٧]، ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الأنبياء:٢٠]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾ [التحريم:٦]، نؤمن بالملائكة وصفاتهم وأعمالهم جملة وتفصيلاً، كما ورد في الكتاب والسنة.

قوله: (وَالنَّبِيِّينَ) نؤمن بالنبيين كما ورد في الكتاب والسنة، وبمن ذكر منهم ومن لم يذكر، وأنهم بُعِثوا بالحق وبلغوا رسالات ربهم، وأن محمداً ﷺ خاتمهم، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ [غافر:٧٨]، وفي السنة أدلة كثيرة في هذا.

قوله: (وَالْكُتُبِ الْمُنَزَّلَةِ عَلَى الْمُرْسَلِينَ) قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾ [النساء:١٣٦]، ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾﴾ [الواقعة:٧٧-٨٠]، ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾ [الإسراء:٥٥]،

﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٣﴾ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ

ٱلْفُرْقَانَ ﴿٤﴾﴾ [آل عمران:٣-٤]، ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾﴾ [الأعلى:١٨-١٩].

وهذا الكتب حق، وهي من كلام الله تعالى، وقد حرَّف أهل الكتب – اليهود والنصارى – كتبهم وحفظ الله تعالى القرآن الكريم فنسخها، كما قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة:٤٨].

ومن كفر ببعض الكتب الإلهية فقد كفر بالجميع، ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [البقرة:٨٥].

قوله: (**وَنَشْهَدُ أَنَّهُمْ كَانُوا عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ**) قال تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ﴾ [البقرة:٢١٣]، ﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ﴾ [سبأ:٦].



وَنُسَمِّي أَهْلَ قِبْلَتِنَا مُسْلِمِينَ مُؤْمِنِينَ، مَا دَامُوا بِمَا جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ مُعْتَرِفِينَ، وَلَهُ بِكُلِّ مَا قَالَ وَأَخْبَرَ مُصَدِّقِينَ.

قوله: (وَنُسَمِّي أَهْلَ قِبْلَتِنَا مُسْلِمِينَ مُؤْمِنِينَ) قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ﴾ [الحج:٧٧] إلى قوله: ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا﴾ [الحج:٧٨] الآية.

وفي الصحيح (خ ٣٩١) عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من صلى صلاتنا، واستقبل قبلتنا، وأكل ذبيحتنا، فذلك المسلم الذي له ذمة الله وذمة رسوله، فلا تخفروا الله في ذمته».

وفي الحديث الطويل للحارث الأشعري أن النبي ﷺ قال: «فادعوا بدعوى الله الذي سماكم المسلمين المؤمنين عباد الله»، رواه الترمذي وهو في «الصحيح المسند» (٢٨٥).

قوله: (مَا دَامُوا بِمَا جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ مُعْتَرِفِينَ) هذا توكيد لما سبق وتوضيح، وأن المسلم لا يخرج من الإسلام إلا إذا أتى بناقض لإسلامه واضح بالأدلة، وسيأتي توضيح عند قوله: (ولا نكفِّر أهل القبلة بذنب...).



وَلَا نَخُوضُ فِي اللهِ، وَلَا نُمَارِي فِي الدِّينِ، وَلَا نُجَادِلُ فِي الْقُرْآنِ، وَنَشْهَدُ أَنَّهُ كَلَامُ رَبِّ الْعَالَمِينَ، نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ، فَعَلَّمَهُ سَيِّدَ الْمُرْسَلِينَ مُحَمَّدًا ﷺ، وَهُوَ كَلَامُ اللهِ تَعَالَى لَا يُسَاوِيهِ شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ الْمَخْلُوقِينَ.

قوله: (وَلَا نَخُوضُ فِي اللّهِ) لا نخوض في ذات الله تعالى بما لم يرد في كتاب ولا سنة، [وما يقال: إن وصف الله تعالى بما لم يرد في الكتاب والسنة من باب الإخبار – إن صح معناه – فيه نظر، فيا حبذا لو حررت هذه المسألة]، وهذه الجملة من المؤلف ردٌّ على المتكلمة. قال تعالى: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٢٣﴾﴾ [النجم:٢٣]، ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [الإسراء:٣٦].

قوله: (وَلَا نُمَارِي فِي الدِّينِ) أي: ولا نجادل في دين الله تعالى كما يفعل أهل الكلام من معتزلة وأشاعرة، بل أهل السنة يسلِّمون لله تعالى، قال تعالى: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [الزخرف:٥٨].

قوله: (وَلَا نُجَادِلُ فِي الْقُرْآنِ) لا نجادل في القرآن بالباطل ولا في القراءات التي صح بها السند، فعن عمرو بن العاص رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «نزل القرآن على سبعة أحرف، على أيِّ حرف قرأتم فقد أصبتم، فلا تتماروا فيه، فإن المراء فيه كفر»، رواه أحمد (٤/ ٢٠٤) وصححه الشيخان الألباني والوادعي.

قوله: (وَنَشْهَدُ أَنَّهُ كَلَامُ رَبِّ الْعَالَمِينَ) سبق نحو هذا عند قوله: (وأن القرآن كلام الله...)، وقد فرَّق المؤلف الكلام على القدر والقرآن في مواضع، وليته جمعها في موضع واحد.



وَلَا نَقُولُ بِخَلْقِهِ، وَلَا نُخَالِفُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ. وَلَا نُكَفِّرُ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ بِذَنْبٍ مَا لَمْ يَسْتَحِلَّهُ.

قوله: (وَلَا نَقُولُ بِخَلْقِهِ) لا نقول كلام الله مخلوق فهذا كفر... وقد سبق.

قوله: (وَلَا نُخَالِفُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ) لأن سلف الأمة وسائر المسلمين يقولون: هو كلام الله تعالى غير مخلوق، وشذ بعض المبتدعة فقالوا: كلام الله مخلوق. قاتلهم الله تعالى! ﴿وَجَٰدَلُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّ﴾ [غافر:٥]، ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ٨٢﴾ [النساء:٨٢]، ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عمران:١٠٣]، ويد الله مع الجماعة المتمسكة بالحق.

قوله: (وَلَا نُكَفِّرُ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ... إلخ) أي: لا نكفِّر موحداً بذنب دون الشرك إلا إذا استحله، أو ارتكب ناقضاً وقامت عليه الحجة، أو جحد ما هو معلوم من الدين بالضرورة، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ٦﴾ [الحجرات:٦]، فيجب التثبت وعدم التسرع في التكفير.

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنۡ أَلۡقَىٰٓ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسۡتَ مُؤۡمِنٗا﴾ [النساء:٩٤].

وعن ابن عمر ؓ أن النبي ﷺ قال: «إذا كفَّر الرجل أخاه فقد باء بها أحدهما»، (خ ٦١٠٠)، (م ٦٠).

وفي رواية: «أيما امرئ قال لأخيه: يا كافر فقد باء بها أحدهما، إن كان كما قال وإلا رجعت عليه» تفرد به مسلم.

وهذه الجملة من المؤلف ردٌّ على الخوارج والمعتزلة الذين يكفِّرون بالكبائر.



وَلَا نَقُولُ لَا يَضُرُّ مَعَ الْإِيمَانِ ذَنْبٌ لِمَنْ عَمِلَهُ.

قوله: (وَلَا نَقُولُ لَا يَضُرُّ مَعَ الْإِيمَانِ ذَنْبٌ لِمَنْ عَمِلَهُ) لا نقول هذا لأنه قولٌ باطل مؤدٍّ إلى التكذيب بآيات الوعيد، وهو قولٌ لا يصدر إلا من منافق، قال الله تعالى: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِۦ﴾ [العنكبوت:٤٠]، ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ ۚ وَٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ هَٰٓؤُلَآءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥١﴾﴾ [الزمر:٥١]، ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١١﴾﴾ [آل عمران:١١]، ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾﴾ [النساء:٩٣]، ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰا۟ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾ [البقرة:٢٧٥] الآيات.

وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «اثنتان في الناس هما بهم كفر: الطعن في النسب، والنياحة على الميت»، رواه مسلم (٦٧).



وَنَرْجُو لِلْمُحْسِنِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَيُدْخِلَهُمُ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِهِ، وَلَا نَأْمَنُ عَلَيْهِمْ.

قوله: (وَنَرْجُو لِلْمُحْسِنِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) أي: الموحدين، والمحسنون هم من كثرت حسناتهم وقلَّت سيئاتهم. وهذا الكلام ردٌّ على المرجئة والخوارج.

قوله: (وَيُدْخِلَهُمُ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِهِ) قال الله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [يونس:٢]، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الأحقاف:١٦]، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾﴾ [الكهف:١٠٧].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لن يُدخل أحد منكم الجنة عملُه»، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «ولا أنا إلا أن يتغمدني الله منه بفضل ورحمة»، (م ٢٨١٦/ ٧٥).

فالأعمال سبب وبها تتفاوت الدرجات في الجنة، ودخول الجنة برحمة الرب تعالى.

قوله: (وَلَا نَأْمَنُ عَلَيْهِمْ) لا نأمن على المؤمن في حياته من الضلال أو العذاب، وكذلك لا نأمن في الآخرة من العذاب بسبب معاصينا.

قال تعالى: ﴿أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [الأعراف:٩٩]، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾﴾ [الإسراء:٥٧].



وَلَا نَشْهَدُ لَهُمْ بِالْجُنَّةِ، وَنَسْتَغْفِرُ لِمُسِيئِهِمْ، وَنَخَافُ عَلَيْه، وَلَا نُقَنِّطُهُمْ.

قوله: (وَلَا نَشْهَدُ لَهُمْ بِالْجَنَّةِ) أي: لا نقطع لأحدٍ بالجنة بدون دليل، وسيأتي الكلام عليه عند قوله: (ولا ننزل أحداً منهم جنة ولا ناراً...).

قوله: (وَنَسْتَغْفِرُ لِمُسِيئِهِمْ) قال الله تعالى: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [محمد:١٩]، وقال عن نوح عليه السلام: ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [نوح:٢٨].

قوله: (وَنَخَافُ عَلَيْه) قال الله تعالى: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾﴾ [النساء:١٢٣]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء:٤٨]، وراجع الأدلة السابقة في الرد على المرجئة.

قوله: (وَلَا نُقَنِّطُهُمْ) قال الله تعالى: ﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [الزمر:٥٣]، ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾﴾ [نوح:١٠]، ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [هود:١١٤]، ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [الأعراف:١٥٦]، ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾ [النجم:٣٢]، ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [التوبة:١٠٢].

هذه الأدلة وأمثالها ردٌّ على الخوارج، وأما أهل السنة فإنهم يجمعون بين الرجاء والخوف عملاً بكتاب ربهم سبحانه وسنة نبيهم ﷺ.



وَالْأَمْنُ وَالْإِيَاسُ يَنْقُلَانِ عَنْ مِلَّةِ الْإِسْلَامِ، وَسَبِيلُ الْحَقِّ بَيْنَهُمَا لِأَهْلِ الْقِبْلَةِ.

قوله: (وَالْأَمْنُ وَالْإِيَاسُ يَنْقُلَانِ عَنْ مِلَّةِ الْإِسْلَامِ) قال الله تعالى: ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [الأعراف:٩٩]، ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف:٨٧]، ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ٥٦﴾ [الحجر:٥٦].

قوله: (وَسَبِيلُ الْحَقِّ بَيْنَهُمَا لِأَهْلِ الْقِبْلَةِ) وقد جمع الله بين الرجاء والخوف في آيات كثيرة: قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ [الأنبياء:٩٠]، ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾ [الإسراء:٥٧]، وقد سبقت.

﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ﴾ [الزمر:٩]، ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [السجدة:١٦]، ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ٥٠﴾ [النحل:٥٠]، فالخوف يساعد على ترك المنكرات والحذر من ترك الطاعات الواجبة، والرجاء: يساعد على السباق إلى الطاعات والتوبة من الزلات.



وَلَا يَخْرُجُ الْعَبْدُ مِنَ الْإِيمَانِ إِلَّا بِجُحُودِ مَا أَدْخَلَهُ فِيهِ. وَالْإِيمَانُ هُوَ الْإِقْرَارُ بِاللِّسَانِ، وَالتَّصْدِيقُ بِالْجَنَانِ.

قوله: (**وَلَا يَخْرُجُ الْعَبْدُ مِنَ الْإِيمَانِ... إلخ**) هذا ردٌّ على من أخرج المسلم من الإسلام بارتكاب الكبائر كالخوارج والمعتزلة.

فلا يخرج عن الإيمان والإسلام إلا من ارتكب مكفِّراً عالماً غير مكره، ومرد ذلك إلى جحود شيء من الإسلام والإيمان، وأسبابه كثيرة، منها ما ذكره شيخ الإسلام النجدي في كتابه «نواقض الإسلام» فراجعه.

قال الله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ﴾ [الأنعام:٣٣]، ﴿وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [العنكبوت:٤٧]، وسيأتي بيان أنواع الكفر قريباً.

قوله: (**وَالْإِيمَانُ هُوَ الْإِقْرَارُ بِاللِّسَانِ... إلخ**) عامة أهل السنة والجماعة أن الإيمان: اعتقادٌ القلب وقولٌ باللسان وعملٌ بالجوارح، يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية. ومن أخرج الأعمال عن الإيمان فقد ضل في هذه المسألة.

قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡ﴾ [البقرة:١٤٣]، أي: صلاتكم.

﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال:٢-٤]. فجعل الصلاة والإنفاق والتوكل ووجل القلوب كلها إيماناً. وأن الطاعات تزيد الإيمان، ومن الزيادة يلزم النقص، وقد بسطت أدلة الباب في كتاب «الشرح الجديد على القول المفيد..» للشيخ محمد بن عبد الوهاب الوصابي رحمه الله تعالى، فراجعه.



وَجَمِيعَ مَا صَحَّ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنَ الشَّرْعِ وَالْبَيَانِ كُلُّهُ حَقٌّ.

وَالْإِيمَانُ وَاحِدٌ وَأَهْلُهُ فِي أَصْلِهِ سَوَاءٌ.

قوله: (وَجَمِيع مَا صَحّ عَنْ رَسُولِ اللّهِ... إلخ) قال تعالى: ﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٦﴾﴾ [سبأ:٦]، ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ [الحشر:٧]، وقد كفَّر الله تعالى من خالف ذلك، ﴿وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا ﴿١٥١﴾﴾ [النساء:١٥٠-١٥١]، وهذا ردٌّ على الذين يردُّون خبر الآحاد، وعلى العقلانيين وأهل الأهواء.

وطريقة أهل السنة قبول النص الصحيح ولا يعارضونه برأي فلان ولا بفلسفة فلان ولا بمصالح ونحو ذلك، بل يسلمون تسليماً.

قوله: (وَالْإِيمَانُ وَاحِدٌ وَأَهْلُهُ فِي أَصْلِهِ سَوَاءٌ) هذا على مذهب المرجئة من الفقهاء، وهو غلط، بل باطل. وعقيدة أهل السنة أن أهل الإيمان متفاوتون في إيمانهم، فليس إيمان الرسل كإيمان غيرهم ... إلخ، فالإيمان متفاوت في أصله، وكذلك الأعمال متفاوتة. قال الله تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ ﴿١٨﴾﴾ [السجدة:١٨]، ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [البقرة:٢٥٣]، ﴿مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب:٢٣]، ﴿فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً﴾ [النساء:٩٥] والأدلة كثيرة.



وَالتَّفَاضُلُ بَيْنَهُمْ بالحَقِيقَةِ[1] وَالتَّقوى وَمُخَالَفَةِ الْهَوَى وَمُلَازَمَةِ الْأَوْلَى.

(١) في المخطوطات الأربع: (بالحقيقة) وفي نسخة أخرى (بالخشية والتُّقى) وهي أولى.

وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّهُمْ أَوْلِيَاءُ الرَّحْمَنِ.
وَأَكْرَمُهُمْ عِنْدَ اللهِ أَطْوَعُهُمْ وَأَتْبَعُهُمْ لِلْقُرْآنِ.

قوله: (وَمُلَازَمَةِ الْأَوْلَى) هذا مما رُدَّ على كاتبه، فإن هذه الأشياء من الإيمان فلزم منه التفاوت في الإيمان.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر:٢٨] لقوة إيمانهم وعلمهم، ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [يونس:٦٣]،

فالمؤمن الكامل: هو التقي. قال ﷺ عن ربه تبارك وتعالى: «من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب...» الحديث. قال الحافظ: «الولي: هو العالم العامل بطاعة الله تعالى»، دل على عظيم منزلة العالم وأنها أرفع، وسيأتي تعريف الولي.

قوله: (وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّهُمْ أَوْلِيَاءُ الرَّحْمَنِ) قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [يونس:٦٢-٦٣]، ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [البقرة:٢٥٧]، ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿١١﴾﴾ [محمد:١١]، فالولي: هو المؤمن التقي الذي يؤدي حق الله تعالى وحق عباد الله سبحانه، وذلك ليس معناه أن يُعبد مع الله تعالى كما تفعل أكثر الصوفية والرافضة، الذين يدعون إلى الشرك عند قبور الأولياء.

قوله: (وَأَكْرَمُهُمْ عِنْدَ اللهِ أَطْوَعُهُمْ وَأَتْبَعُهُمْ لِلْقُرْآنِ) قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات:١٣]، ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ أُولَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ۝٧﴾ [البينة:٧]، ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَٰبَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِالْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ۝٣٢﴾ [فاطر:٣٢].



وَالْإِيمَانُ هُوَ الْإِيمَانُ بِالله، وَمَلَائِكَتِهِ ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ وَحُلْوِهِ وَمُرِّهِ مِنَ الله تَعَالَى.

وَنَحْنُ نُؤْمِنُ بِذَلِكَ كُلِّهِ، وَلَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ.

وَنُصَدِّقُهُمْ كُلَّهُمْ عَلَى مَا جَاؤوا بِهِ.

قوله: (**وَالْإِيمَانُ**) ذكر هنا أركان الإيمان كما في حديث جبريل، وقد سبق.

قوله: (**هُوَ الْإِيمَانُ بِاللهِ... إلخ**) قال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [البقرة:١٧٧]، وقد سبقت أدلة عند قوله: (ونؤمن بالملائكة ...).

قوله: (**وَالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ... إلخ**) تقدم كلام كثيرٌ حول القدر مع أدلته.

قوله: (**وَلَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ**) قال تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾ [البقرة:٢٨٥]، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ﴿١٥١﴾﴾ [النساء:١٥٠-١٥١].

والإيمان بجميع الرسل لا ينافي الإيمان بأن محمدًا ﷺ خاتمُهم ، وأنه نسخ الشرائع السابقة، ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران:٨٥].

قوله: (**وَنُصَدِّقُهُمْ كُلَّهُمْ عَلَى مَا جَاؤوا بِهِ**) قال تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة:٤٨]، فلكل رسول شريعة نزلت من الله تعالى بالحق، إلا أن كثيراً من الأمم حرفوا وبدلوا كأهل الكتاب.



وَأَهْلُ الْكَبَائِرِ [مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ[1]] فِي النَّارِ لَا يُخَلَّدُونَ إِذَا مَاتُوا وَهُمْ مُوَحِّدُونَ وَإِنْ كَانُوا غَيْرَ تَائِبِينَ. بَعْدَ أَنْ لَقُوا اللهَ عَارِفِينَ مُؤْمِنِينَ.

قوله: (**وَأَهْلُ الْكَبَائِرِ... إلخ**) هذا ردٌّ على الخوارج ومن وافقهم في معتقدهم الباطل بخلود صاحب الكبيرة الموحد في النار.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء:٤٨]، وقد تقدم في باب الشفاعة أدلة كثيرة من هذا الباب فراجعه.

قوله: (**وَإِنْ كَانُوا غَيْرَ تَائِبِينَ**) أما من تاب؛ تاب الله عليه، قال تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٞ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا ثُمَّ ٱهۡتَدَىٰ ٨٢﴾ [طه:٨٢].

قوله: (**عَارِفِينَ**) (مؤمنين) أولى، فالإيمان أعم من المعرفة.



---

(١) في نسخة حذف: (من أمة محمدٍ ﷺ) وحذفها أصح، قاله الشيخ الألباني لأن الحكم عام في جميع الأمم.

والمثبت من المخطوط.

وَهُمْ فِي مَشِيئَتِهِ وَحُكْمِهِ، إِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُمْ وَعَفَا عَنْهُمْ بِفَضْلِهِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء:٤٨]، وَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُمْ فِي النَّارِ [بقَدْرِ جِنايَتِهِم] بِعَدْلِهِ، ثُمَّ يُخْرِجُهُمْ مِنهَا بِرَحْمَتِهِ، وَشَفَاعَةِ الشَّافِعِينَ مِنْ أَهْلِ طَاعَتِهِ.

قوله: (وَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُمْ فِي النَّارِ بِعَدْلِهِ) قال الله تعالى: ﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ [آل عمران:١٢٩]، ﴿وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠٦﴾﴾ [التوبة:١٠٦].

قوله: (ثُمَّ يُخْرِجُهُمْ مِنهَا بِرَحْمَتِهِ... إلخ) سبق في باب الشفاعة أدلة كثيرة.

وفي الصحيح (م ١٨٣) (خ ٧٤٣٩) واللفظ لمسلم عن أبي سعيد أن النبي ﷺ قال: «...حَتَّى إِذَا خَلَصَ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ فَوَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ بِأَشَدَّ مُنَاشَدَةً للهِ فِى اسْتِقْصَاءِ الْحَقِّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ للهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ فِى النَّارِ يَقُولُونَ رَبَّنَا كَانُوا يَصُومُونَ مَعَنَا وَيُصَلُّونَ وَيَحُجُّونَ. فَيُقَالُ لَهُمْ أَخْرِجُوا مَنْ عَرَفْتُمْ. فَتُحَرَّمُ صُوَرُهُمْ عَلَى النَّارِ فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا قَدْ أَخَذَتِ النَّارُ إِلَى نِصْفِ سَاقَيْهِ وَإِلَى رُكْبَتَيْهِ ثُمَّ يَقُولُونَ رَبَّنَا مَا بَقِىَ فِيهَا أَحَدٌ مِمَّنْ أَمَرْتَنَا بِهِ. فَيَقُولُ ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِى قَلْبِهِ مِثْقَالَ دِينَارٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ. فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا ثُمَّ يَقُولُونَ رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا أَحَدًا مِمَّنْ أَمَرْتَنَا. ثُمَّ يَقُولُ ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِى قَلْبِهِ مِثْقَالَ نِصْفِ دِينَارٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ. فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا ثُمَّ يَقُولُونَ رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا مِمَّنْ أَمَرْتَنَا أَحَدًا. ثُمَّ يَقُولُ ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِى قَلْبِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ. فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا ثُمَّ يَقُولُونَ رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا خَيْرًا». وَكَانَ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِىُّ يَقُولُ إِنْ لَمْ تُصَدِّقُونِى بِهَذَا الْحَدِيثِ فَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ (إِنَّ اللهَ لاَ يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا) «فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ شَفَعَتِ الْمَلاَئِكَةُ وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ وَلَمْ يَبْقَ إِلاَّ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ فَيُخْرِجُ مِنْهَا قَوْمًا لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ قَدْ عَادُوا حُمَمًا فَيُلْقِيهِمْ فِى

نَهْرٍ فِي أَفْوَاهِ الْجَنَّةِ يُقَالُ لَهُ نَهْرُ الْحَيَاةِ فَيَخْرُجُونَ كَمَا تَخْرُجُ الْحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ أَلاَ تَرَوْنَهَا تَكُونُ إِلَى الْحَجَرِ أَوْ إِلَى الشَّجَرِ مَا يَكُونُ إِلَى الشَّمْسِ أُصَيْفِرُ وَأُخَيْضِرُ وَمَا يَكُونُ مِنْهَا إِلَى الظِّلِّ يَكُونُ أَبْيَضَ ». فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللهِ كَأَنَّكَ كُنْتَ تَرْعَى بِالْبَادِيَةِ قَالَ « فَيَخْرُجُونَ كَاللُّؤْلُؤِ فِي رِقَابِهِمُ الْخَوَاتِمُ يَعْرِفُهُمْ أَهْلُ الْجَنَّةِ هَؤُلاَءِ عُتَقَاءُ اللهِ الَّذِينَ أَدْخَلَهُمُ اللهُ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ عَمَلٍ عَمِلُوهُ وَلاَ خَيْرٍ قَدَّمُوهُ ثُمَّ يَقُولُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ فَمَا رَأَيْتُمُوهُ فَهُوَ لَكُمْ...».



ثُمَّ يَبْعَثُهُمْ إِلَى جَنَّتِهِ؛ وَذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ تَعَالَى تَوَلَّى أَهْلَ مَعْرِفَتِهِ، وَلَمْ يَجْعَلْهُمْ فِي الدَّارَيْنِ كَأَهْلِ نُكْرَتِهِ الَّذِينَ خَابُوا مِنْ هِدَايَتِهِ وَلَمْ يَنَالُوا مِنْ وَلَايَتِهِ.

اللَّهُمَّ يَا وَلِيَّ الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ مَسِّكْنَا عَلَى الْإِسْلَامِ حَتَّى نَلْقَاكَ بِهِ.

قوله: (ثُمَّ يَبْعَثُهُمْ إِلَى جَنَّتِهِ) انظر آخر الحديث السابق.

وفي الباب عن جابر وأبي هريرة وأنس وابن مسعود وآخرين.

قوله: (وَذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى تَوَلَّى أَهْلَ مَعْرِفَتِهِ) تولى أهل الإيمان ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [البقرة:٢٥٧]، ولفظ المعرفة قاصر.

قوله: (وَلَمْ يَجْعَلْهُمْ فِي الدَّارَيْنِ كَأَهْلِ نُكْرَتِهِ... إلخ) قال تعالى: ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ ۝٢﴾ [الحجر:٢] وذلك عند خروج الموحدين المذنبين من النار.

وقال سبحانه: ﴿لَا يَسْتَوِيٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِۚ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ۝٢٠﴾ [الحشر:٢٠]، ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ۝٣٥ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ۝٣٦﴾ [القلم:٣٥-٣٦]، ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ۝١١﴾ [محمد:١١]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة:٦٧].

قوله: (اللَّهُمَّ يَا وَلِيَّ الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ ثَبِّتْنَا ... إلخ) قال تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ۝٨﴾ [آل عمران:٨].

وقال تعالى عن يوسف عليه السلام: ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [يوسف:١٠١].

وقد ورد هذا الدعاء عن أنس مرفوعاً عند الطبراني في «الأوسط» وغيره، وانظر «الصحيحة» (١٨٢٣).



وَنَرَى الصَّلَاةَ خَلْفَ كُلِّ بَرٍّ وَفَاجِرٍ مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ، وَعَلَى مَنْ مَاتَ مِنْهُمْ.

قوله: (**وَنَرَى الصَّلَاةَ خَلْفَ كُلِّ بَرٍّ وَفَاجِرٍ ... إلخ**) أي: من المسلمين، سواء كانوا حكاماً أو غير حكام.

في الصحيح (خ ٦٩٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «يصلون لكم، فإن أصابوا فلكم ولهم، وإن أخطؤوا فلكم وعليهم».

وقد صلى الصحابة خلف الحجاج ومروان وغيرهم، ومن ترك الصلاة خلفهم فقد وقع في طريقة أهل البدع الذين يتركون الجماعة والجُمَع بعد عصاة المسلمين، وأما من ترك الصلاة خلف المبتدع أو الظالم لوجود مسجد سنة فذلك صواب وحق، وأما الكافر فلا تجوز ولا تصح الصلاة بعده. قال تعالى عن إبراهيم عليه السلام: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي ٱلظَّٰلِمِينَ ١٢٤﴾ [البقرة:١٢٤].

قوله: (**وَعَلَى مَنْ مَاتَ مِنْهُمْ**):أي: صلاة الجنازة، نصلي على المسلم براً أو عاصياً.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال النبي ﷺ: «ما من ميت تصلي عليه أمة من المسلمين كلهم يشفعون له إلا شُفِّعوا فيه»، (م ٩٤٧) أي: يدعون له بالمغفرة إلا غفرت ذنوبه، دل على أنه صاحب ذنب.

وقد صلى النبي ﷺ على ماعز الأسلمي والمرأة الجهنية وقد حدها بالرجم وترك الصلاة على قاتل نفسه وغيره زجراً لأمثالهم وقال: «صلوا على صاحبكم» فأمرهم بالصلاة عليه.



وَلَا نُنْزِلُ أَحَدًا مِنْهُمْ جَنَّةً وَلَا نَارًا.
وَلَا نَشْهَدُ عَلَيْهِمْ بِكُفْرٍ، وَلَا بِشِرْكٍ، وَلَا بِنِفَاقٍ، مَا لَمْ يَظْهَرْ مِنْهُمْ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ، وَنَذَرُ سَرَائِرَهُمْ إِلَى اللهِ تَعَالَى.

قوله: (وَلَا نُنَزِّلُ أَحَدًا مِنْهُمْ جَنَّةً وَلَا نَارًا) قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [الإسراء:٣٦]، ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ ﴿٢٧﴾﴾ [الجن:٢٦-٢٧].

فلا نشهد لأحد بعينه بالجنة إلا من ورد فيه الدليل الصحيح كالعشرة وعبد الله بن سلام والحسنان وفاطمة وزوجات الرسول ﷺ وأهل بدر وأهل بيعة الرضوان... إلخ. فهؤلاء نشهد لهم بالجنة لورود الأدلة فيهم، ونشهد جملة للموحدين بالجنة، ونشهد بالنار للكافرين ولكل من مات على الكفر بعينه، كأبي لهب وعمرو بن لحي وعبد الله بن عبد المطلب وأبي طالب وأبي جهل، وهكذا قل: لينين وماركس وبورقيبة وشارون وجورج بوش وغيرهم ممن مات على الكفر.

والمؤلف لم يفصِّل هنا لأن كلامه في سياق عصاة المسلمين الموحدين، والله أعلم.

قوله: (وَلَا نَشْهَدُ عَلَيْهِمْ بِكُفْرٍ... إلخ) هذا حق، فمن أظهر الإسلام قُبِل منه حتى يظهر منه خلاف ذلك، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيْرًا مِّنْهُمْ﴾ [الحجرات:١١] الآيات. فالأصل في المسلم السلامة حتى يظهر خلافه.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فمن قال لا إله إلا الله فقد عصم مني ماله ونفسه وحسابه على الله»، (خ ٢٩٤٦)، (م ٢١).

ومن أظهر الكفر أو البدعة حُكِم عليه بها، كما قال تعالى في المنافقين: ﴿لَا تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [التوبة:٦٦].



وَلَا نَرَى السَّيْفَ عَلَى أَحَدٍ مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ إِلَّا مَنْ وَجبَ عَلَيْهِ السَّيْفُ.

وَلَا نَرَى الْخُرُوجَ عَلَى أَئِمَّتِنَا وَوُلَاةِ أُمُورِنَا وَإِنْ جَارُوا.

قوله: (وَلَا نَرَى السَّيْفَ عَلَى أَحَدٍ مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ) قال تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ﴾ [النساء:٩٣] الآية.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة»، (خ ٦٨٧٨)، (م ١٦٧٦).

قوله: (إِلَّا مَنْ وَجبَ عَلَيْهِ السَّيْفُ) كالقصاص، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِي ٱلْقَتْلَى﴾ [البقرة:١٧٨]، والطائفة الباغية، ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ [الحجرات:٩]. والمرتد ونحوهم.

قوله: (وَلَا نَرَى الْخُرُوجَ عَلَى أَئِمَّتِنَا) عن أُسيد بن حضير رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إنكم ستلقون بعدي أثرة، فاصبروا حتى تلقوني على الحوض»، (م ١٨٤٥). عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «مَنْ خَرَجَ مِنَ الطَّاعَةِ وَفَارَقَ الْجَمَاعَةَ فَمَاتَ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً...»،

(م ١٨٤٨).

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ كَرِهَ مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا فَلْيَصْبِرْ فَإِنَّهُ مَنْ خَرَجَ مِنْ السُّلْطَانِ شِبْرًا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً» (م ١٨٤٩).



وَلَا نَدْعُو عَلَيْهِمْ، وَلَا نَنْزِعُ يَدًا مِنْ طَاعَتِهِمْ، وَنَرَى طَاعَتَهُمْ مِنْ طَاعَةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فَرِيضَةً؛ مَا لَمْ يَأْمُرُوا بِمَعْصِيَةٍ.

وَنَدْعُو لَهُمْ بِالصَّلَاحِ وَالْمُعَافَاةِ.

قوله: (وَلَا نَدْعُو عَلَيْهِمْ) لأن هذا خلاف الصبر المأمور به من أسباب الخروج عليهم وتأليب الأمة ضدهم، بل هدي السلف الدعاء لهم والصبر كما سبق في الأحاديث، وسيأتي أيضًا.

قوله: (وَلَا نَنْزِعُ يَدًا مِنْ طَاعَتِهِمْ) قال تعالى: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال:٤٦]، ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾ [آل عمران:١٠٥]، وفي حديث عبادة: «ولا ننازع الأمر أهله» وسيأتي.

قوله: (وَنَرَى طَاعَتَهُمْ مِنْ طَاعَةِ اللّهِ عَزّ وَجَلّ فَرِيضَةً) قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء:٥٩]، أي: من المسلمين، أما الكافر فلا طاعة له.

وعن عبادة رضي الله عنه أن النبي ﷺ بايعنا على السمع الطاعة في العسر واليسر، والمنشط والمكره، وعلى أَثَرة علينا، وعلى ألا ننازع الأمر أهله إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم من الله فيه برهان»، (خ ٧٠٥٥، ٧٠٥٦)، (م/ الإمارة ٤١، ٤٢).

قوله: (مَا لَمْ يَأْمُرُوا بِمَعْصِيَةٍ) عن ابن عمر ﭬ عن النبي ﷺ قال: «على المرء السمع والطاعة فيما أحب وكره، إلا أن يؤمر بمعصية، فإن أُمِر بمعصية فلا سمع ولا طاعة»، (خ ٧١٤٤)، (م ١٨٣٩).

قوله: (وَنَدْعُو لَهُمْ بِالصَّلَاحِ وَالْمُعَافَاةِ) لأن صلاحهم صلاحٌ للمسلمين.

وعن عوف بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم، ويصلون عليكم وتصلون عليهم، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم»، قيل: يا رسول الله، أفلا ننابذهم بالسيف؟! فقال: «لا، ما أقاموا فيكم الصلاة، وإذا رأيتم من ولاتكم شيئاً تكرهونه فاكرهوا عمله ولا تنزعوا يداً من طاعة»، (م ١٨٥٥).



وَنَتَّبِعُ السُّنَّةَ وَالْجَمَاعَةَ،
وَنَجْتَنِبُ الشُّذُوذَ، وَالْخِلَافَ، وَالْفُرْقَةَ.

قوله: (وَنَتَّبِعُ السُّنَّةَ وَالْجَمَاعَةَ) السنة: طريقة الرسول ﷺ في العلم والعمل، والجماعة: جماعة المسلمين، وقد سبق شرح هذا في أول الكتاب.

قال تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ [آل عمران:١٠٣]، ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام:١٥٣]، ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ [الأعراف:٣]، ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران:٣١].

وعن العرباض بن سارية رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة»، رواه أبو داود وأحمد، وصححه الشيخان الألباني والوادعي.

قوله: (وَنَجْتَنِبُ الشُّذُوذَ، وَالْخِلَافَ، وَالْفُرْقَةَ) قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النساء:١١٥]، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ﴾ [الأنعام:١٥٩]، ﴿أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾ [الشورى:١٣]، ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الروم:٣١-٣٢]، ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾ [هود:١١٨-١١٩]، فذم المختلفين ومدح الذين لا يختلفون.



وَنُحِبُّ أَهْلَ الْعَدْلِ وَالْأَمَانَةِ، وَنُبْغِضُ أَهْلَ الْجَوْرِ وَالْخِيَانَةِ.

قوله: (وَنُحِبُّ أَهْلَ الْعَدْلِ وَالْأَمَانَةِ) قال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ ۚ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح:٢٩]، ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة:٧١]، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [المائدة:٤٢]، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة:١٩٥].

فمحبة أهل العدل والأمانة من الإيمان والدين.

وفي حديث أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان»، ومنهم: «ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه»، متفق عليه.

قوله: (وَنُبْغِضُ أَهْلَ الْجَوْرِ وَالْخِيَانَةِ) لأن الله تعالى ذمهم، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة:٢٥٨]، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾ [النساء:١٠٧]، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾ [الأنفال:٥٨]. وهذا من الولاء والبراء، فنحب من وافق الكتاب والسنة، ونبغض من خالف كلٌّ بقدر مخالفته، ولا نخرج على الإمام الجائر وإن كنا نبغضه.



وَنَقُولُ: اللهُ أَعْلَمُ؛ فِيمَا اشْتَبَهَ عَلَيْنَا عِلْمُهُ.

وَنَرَى المَسْحَ عَلَى الخُفَّيْنِ فِي السَّفَرِ وَالحَضَرِ كَمَا جَاءَ فِي الأَثَرِ.

قوله: (**وَنَقُولُ: اللَّهُ أَعْلَمُ؛ فِيمَا اشْتَبَهَ عَلَيْنَا عِلْمُهُ**) قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [الإسراء:٣٦]، والشريعة كلها واضحة المعاني ظاهرة المقاصد، إلا أن علم العبد قد يقصر عن بعض المسائل فلا يجوز الكلام فيها بغير علم، كما هو حال أصحاب الآراء والأهواء، ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [القصص:٥٠].

قوله: (**وَنَرَى الْمَسْحَ عَلَى الْخُفَّيْنِ... إلخ**) عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه أن النبي ﷺ مسح على الخفين. (خ ٥٧٩٩)، (م ٢٧٤).

وعن علي رضي الله عنه قال: جعل رسول الله ﷺ ثلاثة أيام ولياليهن للمسافر، ويوماً وليلة للمقيم. يعني: في المسح على الخفين. (م ٢٨٦).

وفي الباب عن بلال وعائشة وأبي بكرة وأبي هريرة وثوبان وعمر وجرير وحذيفة وأبي موسى وغيرهم، ولم ينكره إلا الشيعة المبتدعة.



وَالْحَجُّ وَالْجِهَادُ فَرْضَانِ مَاضِيَانِ مَعَ أُولِي الْأَمْرِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ -بَرِّهِمْ وَفَاجِرِهِمْ- إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ، لَا يُبْطِلُهُمَا شَيْءٌ وَلَا يَنْقُضُهُمَا.

قوله: (**وَالْحَجُّ وَالْجِهَادُ فَرْضَانِ مَاضِيَانِ... إلخ**) هذا ردٌّ على الرافضة الذين لا يرون الجهاد إلا مع مهدي السرداب الخرافة، وتأثر بهم بعض المبتدعة، فلا يرون الجهاد إلا مع إمام عادل على مفهومهم، والقرآن والسنة جاءا بما قرره المؤلف، قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران:٩٧]،ولابدَّ للحج من أمير، وقد أمَّر النبي ﷺ في حجة قبل حجة الوداع أبا بكر على الناس في الحج، وحج الصحابة بعد الخلفاء الأربعة بعد أمراء المسلمين العادلين والظلمة كالحجاج، وتلك سنة ماضية إلى يومنا هذا.

وقال تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ [آل عمران:١٠٣]، ﴿وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُوا۟ مَعَ رَسُولِهِ ٱسْتَـْٔذَنَكَ أُو۟لُوا۟ ٱلطَّوْلِ مِنْهُمْ﴾ [التوبة:٨٦].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنما الإمام جنة يقاتل مِن ورائه يُتقى به، فإن أمر بتقوى الله عز وجل وعدل كان له بذلك أجر، وإن يأمر بغيره كان عليه منه»، (م ١٨٤١).

وعن سلمة بن نفيل رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «الآن الآن جاء القتال، ولا يزال من أمتي أمة يقاتلون على الحق ويزيغ الله لهم قلوب أقوام ويرزقهم منهم حتى تقوم الساعة وحتى يأتي وعد الله...»، رواه النسائي (٦/ ٢١٤)، وصححه الشيخان.

وقوله: (**لا يبطلهما شيء...**) أي: من معصية عند الإمام أو الرعية أو تهاون منهما ونحو ذلك، لأن الفرائض لا تترك لأجل خطأ فلان أو فلان.



وَنُؤْمِنُ بِالْكِرَامِ الْكَاتِبِينَ؛ فَإِنَّ اللهَ قَدْ جَعَلَهُمْ عَلَيْنَا حَافِظِينَ. وَنُؤْمِنُ بِمَلَكِ الْمَوْتِ

الْمُوَكَّلِ بِقَبْضِ أَرْوَاحِ الْعَالَمِينَ.

قوله: (**وَنُؤْمِنُ بِالْكِرَامِ الْكَاتِبِينَ**) سبق ذكر الأدلة على الإيمان بالملائكة عموماً، وذكرهم هنا بالتخصيص.

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۝ كِرَامًا كَاتِبِينَ ۝ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ۝﴾ [الانفطار:١٠-١٢]، ﴿إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ۝ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ۝﴾ [ق:١٧-١٨].

قوله: (**فَإِنَّ اللهَ قَدْ جَعَلَهُمْ عَلَيْنَا حَافِظِينَ**) قال تعالى: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [الرعد:١١]، أي: بأمر الله.

قوله: (**وَنُؤْمِنُ بِمَلَكِ الْمَوْتِ... إلخ**) قال تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ۝﴾ [السجدة:١١]، ولا يقبض روح عبد حتى يستوفي رزقه وأجله.



وَبِعَذَابِ الْقَبْرِ وَنَعِيمِهِ لِمَنْ كَانَ لَهُ أَهْلًا، وَسُؤَالِ مُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ لِلْمَيِّتِ فِي قَبْرِهِ عَنْ: رَبِّهِ، وَدِينِهِ، وَنَبِيِّهِ، عَلَى مَا جَاءَتْ بِهِ الْأَخْبَارُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَعَنِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ.

وَالْقَبْرُ رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ، أَوْ حُفْرَةٌ مِنْ حُفَرِ النِّيرَانِ.

قوله: (وَبِعَذَابِ الْقَبْرِ وَنَعِيمِهِ) قال الله تعالى: ﴿وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ۝٤٥ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ۝٤٦﴾ [غافر:٤٥-٤٦]، (يُعرَضُون) أي: في قبورهم.

وقال سبحانه: ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝٤٧﴾ [الطور:٤٧] (دون ذلك) أي: في قبورهم.

وفي حديث البراء الطويل ، قَالَ : خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم فِي جِنَازَةِ رَجُلٍ مِنَ الأَنْصَارِ ، فَانْتَهَيْنَا إِلَى الْقَبْرِ وَلَمَّا يُلْحَدْ ، فَجَلَسَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ ... فَقَالَ: اسْتَعِيذُوا بِالله مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ، أَوْ مَرَّتَيْنِ،...إلى قوله: (فَيُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ فَيَقُولاَنِ لَهُ: مَنْ رَبُّك ؟ فَيَقُولُ: رَبِّي اللهُ فَيَقُولاَنِ لَهُ: مَا دِينُك؟ فَيَقُولُ دِينِي الإِسْلاَمُ، فَيَقُولاَنِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هُوَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: فَيَقُولاَنِ: مَا عَمَلُك به؟ فَيَقُولُ: قَرَأْت كِتَابَ الله وَآمَنْت بِهِ وَصَدَّقْت بِهِ، فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ أَنْ صَدَقَ عَبْدِي فَأَفْرِشُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَأَلْبِسُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الْجَنَّةِ ، فَيَأْتِيهِ مِنْ طِيبِهَا وَرَوْحِهَا ، وَيُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرِهِ ، وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ حَسَنُ الْوَجْهِ، حَسَنُ الثِّيَابِ، طَيِّبُ الرِّيحِ، فَيَقُولُ: أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُرُّك، هَذَا يَوْمُك الَّذِي كُنْت تُوعَدُ ، فَيَقُولُ: وَمَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهُك الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالْخَيْرِ ، فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُك الصَّالِحُ، فَيَقُولُ: رَبِّ أَقِمَ السَّاعَةَ ، رَبِّ أَقِمَ السَّاعَةَ ، حَتَّى أَرْجِعَ إِلَى أَهْلِي وَمَالِي)... وقال في الكافر: (... فَيُعَادُ

رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ ، وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ ، فَيُجْلِسَانِهِ فَيَقُولاَنِ لَهُ : مَنْ رَبُّك ؟ فَيَقُولُ : هَاهَا لاَ أَدْرِي ، وَيَقُولاَنِ : لَهُ وَمَا دِينُك ، فَيَقُولُ : هَاهَا لاَ أَدْرِي ، قَالَ : فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ ، أَفْرِشُوا لَهُ مِنَ النَّارِ ، وَأَلْبِسُوهُ مِنَ النَّارِ ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إلَى النَّارِ ، قَالَ : فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا وَسَمُومِهَا ، وَيُضَيَّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ فيه أَضْلاَعُهُ ، وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ قَبِيحُ الْوَجْهِ ، وَقَبِيحُ الثِّيَابِ ، مُنْتِنُ الرِّيحِ ، فَيَقُولُ : أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُوؤُك ، هَذَا يَوْمُك الَّذِي كُنْت تُوعَدُ ، فَيَقُولُ : مَنْ أَنْتَ فَوَجْهُك الْوَجْهُ الَّذِي يَجِيءُ بِالشَّرِّ ؟ فَيَقُولُ : أَنَا عَمَلُك الْخَبِيثُ ، فَيَقُولُ : رَبِّ لاَ تُقِمَ السَّاعَةَ ، رَبِّ لاَ تُقِمَ السَّاعَةَ »، رواه ابن أبي شيبة (٣/ ٣٨٠) وغيره، وصححه الشيخان.

وأدلة عذاب القبر ونعيمه كثيرة جداً، فلا ينكر ذلك إلا مبتدع ضال ملحد.

وتسمية الملكين وردت في حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «إذا قُبِر أحدكم أتاه ملكان أسودان أزرقان، يقال لأحدهما: منكر وللآخر النكير...» رواه ابن حبان (٣١١٧).



وَنُؤْمِنُ بِالْبَعْثِ، وَجَزَاءِ الْأَعْمَالِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

قوله: (وَنُؤْمِنُ بِالْبَعْثِ، وَجَزَاءِ الْأَعْمَالِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) قال الله تعالى: ﴿قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [التغابن:٧]، ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم:٢٧]، ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾﴾ [طه:١٥]، ﴿جَزَاءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾﴾ [النبأ:٢٦]، ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة:١٧]، ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾﴾ [الأنعام:١٦٠].



وَالْعَرْضِ، وَالْحِسَابِ، وَقِرَاءَةِ الْكِتَابِ.

قوله: (**وَالْعَرْضِ**) قال الله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾﴾ [الحاقة:١٨]، ﴿وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾﴾ [الكهف:٤٨]، ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ۚ أُولَٰئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٨﴾﴾ [هود:١٨].

قوله: (**وَالْحِسَابِ**) قال تعالى: ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾﴾ [الغاشية:٢٥-٢٦]، ﴿وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء:٤٧]، ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾﴾ [الانشقاق:٧-٨].

قال رسول الله ﷺ في هذه الآية: «إنما ذلكِ العرض، وليس أحد يناقَش الحساب يوم القيامة إلا عُذِّب»، (خ ٤٩٣٩)، (م ٢٨٧٦) عن عائشة رضي الله عنها.

قوله: (**وَقِرَاءَةِ الْكِتَابِ**) قال الله تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾ [الإسراء:١٣-١٤]، ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ۚ وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾ [الكهف:٤٩]، ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾﴾ [الحاقة:١٩-٢٠] الآيات.



وَالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ، وَالصِّرَاطِ.

قوله: (وَالثَّوَابِ) قال الله تعالى: ﴿فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ [آل عمران:١٤٨]، ﴿وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ﴾ [آل عمران:١٩٥]، ﴿هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ ۚ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾﴾ [الكهف:٤٤].

قوله: (وَالْعِقَابِ) قال الله تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [المائدة:٢]، ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٣﴾﴾ [فصلت:٤٣]، ﴿وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الحشر:٤].

قوله: (وَالصِّرَاطِ) قال الله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم:٧١] أي: عبور الصراط، والصراط: جسر على متن جهنم.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «ويُضرب الصراط بين ظهراني جهنم، فأكون أنا وأمتي أول من يجيز...»، (خ ٨٠٦)، (م ١٨٢).

وعن أبي سعيد رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «ثم يُضرب الجسر على جهنم وتحل الشفاعة، ويقولون: اللهم سلم سلم»، قيل: يا رسول الله، وما الجسر؟ قال: «دحض مزلة فيه خطاطيف وكلاليب وحسك، فيمر المؤمنون كطرف العين وكالبرق وكالريح وكالطير وكأجاويد الخيل والركاب، فناجٍ مسلَّم، ومخدوش مرسل، ومكدوس في نار جهنم...» متفق عليه.



وَالْمِيزَانِ.

وَالْجُنَّةُ وَالنَّارُ مَخْلُوقَتَانِ لَا تَفْنَيَانِ أَبَدًا، وَلَا تَبِيدَانِ، وَأَنَّ اللهَ تَعَالَى خَلَقَ الْجُنَّةَ وَالنَّارَ قَبْلَ خَلْقِ الْخُلْقِ .

قوله: (**والميزان**) قال الله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الأنبياء:٤٧]، ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [المؤمنون:١٠٢-١٠٣].

والميزان واحدٌ له كِفَّتان، وذكر الموازين بالجمع يُراد به تعدد الموزونات وهي الأعمال تارة وأصحابها تارة.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم»، (خ ٧٥٦٣)، (م ٢٦٩٤).

والميزان يكون بعد العرض والحساب وتطاير الصحف وبعد الميزانِ الصراطُ، والله أعلم.

قوله: (**وَالْجَنَّةُ وَالنَّارُ مَخْلُوقتَانِ لا تَفْنَيَانِ أَبَدًا... إلخ**) قال الله تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ [آل عمران:١٣٣]، ﴿ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ﴾ [الحديد:٢١]، وقال في النار: ﴿عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ أَن تَبَرُّوا۟﴾ [آل عمران:١٣١].

والإعداد يشمل خلقها وأنها قد خُلِقت قبل خلق الإنس والجن، ولما خلق آدم أدخله الله تعالى الجنة، ﴿ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾ [البقرة:٣٥].

وحديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «لما خلق الله الجنة والنار أرسل جبريل إلى الجنة فقال:

انظر إليها...» الحديث رواه الترمذي (٧/ ٢٨١) وغيره، وصححه الشيخان.

وقال تعالى في أبدية الجنة: ﴿جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [البينة:٨]، ﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [الحجر:٤٨].

وقال في أبدية النار: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾﴾ [الأحزاب:٦٤-٦٥]، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ [المائدة:٣٧]، ﴿فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾﴾ [النبأ:٣٠]، ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا﴾ [فاطر:٣٦].

ومن السنة: عن أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «يجاء بالموت يوم القيامة فيؤمر به فيُذبح ثم يقال: يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلودٌ فلا موت»، (خ ٤٧٣٠)، (م ٢٨٤٩).



وَخَلَقَ لَهُمَا أَهْلًا، فَمَنْ شَاءَ مِنْهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ فَضْلاً مِنْهُ، وَمَنْ شَاءَ مِنْهُمْ إِلَى النَّارِ عَدْلاً مِنْهُ.

وَكُلٌّ يَعْمَلُ لِمَا قَدْ فُرِغَ لَهُ، وَصَائِرٌ إِلَى مَا خُلِقَ لَهُ.

وَالْخَيْرُ وَالشَّرُّ مُقَدَّرَانِ عَلَى الْعِبَادِ.

قوله: (وَخَلَقَ لَهُمَا أَهْلًا) قال الله تعالى: ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ [الشورى:٧].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله للجنة: أنت رحمتي أرحم بكِ من أشاء من عبادي، وقال للنار: إنما أنتِ عذابي أعذب بكِ من أشاء من عبادي، ولكل واحدة منكما ملؤها...»، (خ ٤٨٥٠)، (م ٢٨٤٦/ ٣٦).

قوله: (وَكُلٌّ يَعْمَلُ لِمَا قَدْ فُرِغَ لَهُ) لقوله ﷺ: «اعملوا فكُلٌّ ميسَّرٌ لما خُلِقَ له، فأما أهل السعادة فيُيسرون لعمل أهل السعادة، وأما أهل الشقاوة فيُيسرون لعمل أهل الشقاوة، ثم قرأ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾﴾ [الليل:٥-١٠]».

قوله: (وَالْخَيْرُ وَالشَّرُّ مُقَدَّرَانِ عَلَى الْعِبَادِ) قال الله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [القمر:٤٩]، وفي حديث جبريل: «وتؤمن بالقدر خيره وشره».

وتقدير الله تعالى كله خير وعدل، والشر إنما هو في المقدورات، كما قال ﷺ: «والشر ليس إليك»، رواه مسلم عن علي رضي الله عنه. أي: لا يُنسب إليك.

ولأن قضاء الله تعالى كله خير، والشر هو في المقضيات، وهو معنى قوله ﷺ: «وقني شر ما قضيت»، رواه أحمد عن الحسن في دعاء القنوت. وهذا الشر إنما هو بالنسبة إلى العبد.

وهذه الجملة ردٌّ على القدرية.



وَالِاسْتِطَاعَةُ الَّتِي يَجِبُ بِهَا الفِعْلُ مِنْ نَحْوِ التَّوْفِيقِ الَّذِي لَا يَجُوزُ أَنْ يُوصَفَ الْمَخْلُوقُ بِهِ، فَهِيَ مَعَ الْفِعْلِ، وَأَمَّا الِاسْتِطَاعَةُ مِنْ جِهَةِ الصِّحَّةِ، وَالْوُسْعِ، وَالتَّمَكُّنِ، وَسَلَامَةِ الْآلَاتِ، فَهِيَ قَبْلَ الْفِعْلِ، وَبِهَا يَتَعَلَّقُ الْخِطَابُ، وَهُوَ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [سورة البقرة:٢٨٦].

قوله: (وَالاسْتِطَاعَةُ الَّتِي يَجِبُ بِهَا الْفِعْلُ... إلخ) قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران:٩٧]، ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة:٢٨٦].

قال الشيخ صالح آل الشيخ: «والاستطاعة منقسمة إلى قسمين:

١- استطاعة قبل الفعل.

٢- واستطاعة مع الفعل.

وهذا الذي ذكر هو الذي دلت عليه الآيات ودلت عليه السنة.

وقال تعالى: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن:١٦]، ﴿مَا كَانُوا۟ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ وَمَا كَانُوا۟ يُبْصِرُونَ ۝٢٠﴾ [هود:٢٠].

وأهل البدع يأخذون بقسم واحد مما سبق فيجعلون الاستطاعة قبل الفعل فقط، وآخرون منهم يجعلونها مع الفعل فقط وكلاهما باطل، والحق ما سبق.

وقد بسطنا الكلام على هذا في كتابنا «أصول أهل السنة».



وَأَفْعَالُ الْعِبَادِ هِيَ خَلْقُ اللهِ تَعَالَى، وَكَسْبٌ مِنَ الْعِبَادِ.

قوله: (وَأَفعَالُ الْعِبَادِ هِيَ خَلْقُ اللَّهِ تَعَالَى، وَكَسْبٌ مِنَ الْعِبَادِ) قال الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الصافات:٩٦]، وقال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة:٢٨٦]، ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾﴾ [البقرة:٢٨١].

وخَلْق الله تعالى لأعمال العباد أن قدَّرها عليهم كوناً وأقدرها على فعلها، ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾﴾ [الشمس:٧-٨]، فالله تعالى خلق القدرة على الفعل والإرادة له، والعباد باشروا الفعل واكتسبوه بذلك.



وَلَمْ يُكَلِّفْهُمْ إِلَّا مَا يُطِيقُونَ.

وَلَا يُطِيقُونَ إِلَّا مَا كَلَّفَهُمْ؛ وَهُوَ تَفْسِيرُ: (لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ)؛ نَقُولُ: لَا حِيلَةَ لِأَحَدٍ، وَلَا حَرَكَةَ لِأَحَدٍ، وَلَا تَحَوُّلَ لِأَحَدٍ عَنْ مَعْصِيَةِ اللهِ إِلَّا بِمَعُونَةِ اللهِ، وَلَا قُوَّةَ لِأَحَدٍ عَلَى إِقَامَةِ طَاعَةِ اللهِ وَالثَّبَاتِ عَلَيْهَا إِلَّا بِتَوْفِيقِ اللهِ.

قوله: (وَلَمْ يُكَلِّفهُمُ اللَّهُ تَعالَى إلّا ما يُطيقُون) قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة:٢٨٦]، ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة:١٨٥]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة:١٤٣].

قوله: (وَلا يُطيقُونَ إلّا ما كَلّفَهُمْ) قال الشيخ ابن باز $ تعالى: «هذا غير صحيح، بل العباد يطيقون أكثر مما كلفهم به سبحانه، ولكنه عز وجل لطف بعباده ويسر عليهم فضلاً منه وإحساناً، والله ولي التوفيق.

ووجهه بعض العلماء أن معناه: (ولا يطيقون إلا ما أقدرهم عليه) وهذا حسن مناسب للسياق.

فالله تعالى ترك للعباد سعة رحمة منه وفضل، ومثال ذلك فرض على العباد خمس صلوات وسن لهم القصر في السفر مع أنهم يطيقون الإتمام، فالقصر رحمة منه وفضل.

قوله: (إلّا بِتَوْفيق الله) قال تعالى عن شعيب عليه السلام: ﴿وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود:٨٨]، ﴿قُلِ ٱدْعُوا ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾﴾ [الإسراء:٥٦]. ومعنى التوفيق: إعانة خاصة من الله تعالى على فعل الطاعات وترك المخالفات.



وَكُلُّ شَيْءٍ يَجْرِي بِمَشِيئَةِ اللهِ تَعَالَى، وَعِلْمِهِ، وَقَضَائِهِ، وَقَدَرِهِ؛ غَلَبَتْ مَشِيئَتُهُ الْمَشِيئَاتِ كُلَّهَا، وَغَلَبَ قَضَاؤُهُ الْحِيَلَ كُلَّهَا، يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ أَبَدًا.

قوله: (**وَكُلُّ شَيْءٍ يَجْرِي بِمَشِيئَةِ اللَّهِ تَعَالَى... إلخ**) سبق الكلام على هذا مرات.

قوله: (**غَلَبَتْ مَشِيئَتُهُ الْمَشِيئَاتِ كُلَّهَا**) المشيئة كونية فقط، وأما القضاء فإنه كوني وشرعي، وأراد المؤلف الكوني فقط.

قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء:٢٣]، هذا قضاء شرعي.

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [يس:٨٢]، ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ﴾ [فصلت:١٢]، هذا قضاء كوني.

وقال تعالى أيضاً: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [الحجر:٦٦]، وهذا كوني.

قوله: (**يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ أَبَدًا**) قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ [الحج:١٨]، ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة:٢٥٣]، ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت:٤٦]، ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُواْ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾﴾ [الزخرف:٧٦].

والله تعالى موصوف بالعدل والحكمة، منزَّه عن الظلم والنقائص.



تَقَدَّسَ عَنْ كُلِّ سَوْءٍ وَحَيْنٍ، وَتَنَزَّهَ عَنْ كُلِّ عَيْبٍ وَشَيْنٍ، ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ [سورة الأنبياء:٢٣]. وَفِي دُعَاءِ الْأَحْيَاءِ وَصَدَقَاتِهِمْ مَنْفَعَةٌ لِلْأَمْوَاتِ.

قوله: (تَقَدّسَ عَنْ كُلِّ سوْءٍ وَحَيْنٍ) الحين – بفتح الحاء –: الهلاك، والشَّيْن – بفتح الشين –: العيب.

قال تعالى: ﴿ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [الجمعة:١]، ﴿ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَـٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ﴾ [الحشر:٢٣]، ومعنى القدوس: المنزه عن العيوب والنقائص، ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ١﴾ [الأعلى:١]،

نزِّه ربك الأعلى عن كل عيب ونقص لكماله جلاله، ﴿سُبْحَـٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ١٨٠﴾ [الصافات:١٨٠].

قوله: (وَفِي دُعَاءِ الْأَحْيَاءِ وَصَدَقَاتِهِمْ مَنْفَعَةٌ لِلْأَمْوَاتِ) اتفق العلماء على انتفاع الميت بما قدمه من صدقات جارية ومن دعاء الموحدين له والصدقة عنه والحج ونحو ذلك، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ﴾ [الحشر:١٠].

وقد سبق حديث عائشة في الدعاء للميت في باب الشفاعة.

وفي صحيح مسلم (١٦٣١) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث، إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولدٍ صالح يدعو له».

وعن عائشة رضي الله عنه قالت: إن رسول الله ﷺ سأله رجل: إن أمي افتُلتت نفسها ولم توص، وأظنها لو تكلمت تصدقت، أفلها أجرٌ إن تصدقت عنها؟ فقال ﷺ: «نعم». (خ

١٣٨٨)، (م/ الوصية ١٢).

وَاللهُ تَعَالَى يَسْتَجِيبُ الدَّعَوَاتِ، وَيَقْضِي الْحَاجَاتِ.

وَاللهُ تَعَالَى يَغْضَبُ وَيَرْضَى لَا كَأَحَدٍ مِنَ الْوَرَى.

قوله: (وَاللهُ تَعَالَى يَسْتَجِيبُ الدَّعَوَاتِ، وَيَقْضِي الْحَاجَاتِ) قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر:٦٠] الآية. ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة:١٨٦]، ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ [النمل:٦٢]، والأحاديث في الباب كثيرة.

قوله: (وَاللهُ تَعَالَى يَغْضَبُ وَيَرْضَى... إلخ) قال الله تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الفتح:١٨]، ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [المائدة:١١٩]، وقال تعالى: ﴿وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:٦١]، ﴿مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ﴾ [المائدة:٦٠].

وهذه الصفات ثابتة لله تعالى بالكتاب والسنة من غير تعطيل ولا تحريف ولا تمثيل، بل هي كما يليق بجلال الرب سبحانه.



[وَيَمْلِكُ كُلَّ شَيْءٍ، وَلَا يَمْلِكُهُ شَيْءٌ. وَلَا غِنًى عَنِ الله تَعَالَى طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَمَنِ اسْتَغْنَى عَنِ الله طَرْفَةَ عَيْنٍ، فَقَدْ كَفَرَ وَصَارَ مِنْ أَهْلِ الْحَيْنِ].

قوله: (وَيَمْلِكُ كُلَّ شَيْءٍ...)

قال الله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ﴾ [آل عمران:٢٦]، ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ١﴾ [الملك:١]، ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ١٥﴾ [فاطر:١٥].

قوله: (ومن استغنى... إلخ) أي: ومن زعم أنه قد استغنى عن الله تعالى طرفة عين فقد كفر، لأنه يعتبر مكذباً بالقرآن والسنة، غير مؤمن بالله تعالى على ما يُطلب منه.

قوله: (وَنُحِبُّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ) الصحابي: هو كل من لقي الرسول ﷺ مؤمناً به ومات على ذلك.

وقال الله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [التوبة:١٠٠]، وانظر الأدلة الآتية.



وَنُحِبُّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

وَلَا نُفْرِطُ فِي حُبِّ أَحَدٍ مِنْهُمْ، وَلَا نَتَبَرَّأُ مِنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ.

وَنُبْغِضُ مَنْ يُبْغِضُهُمْ، وَبِغَيْرِ الْخَيْرِ يَذْكُرُهُمْ. وَلَا نَذْكُرُهُمْ إِلَّا بِخَيْرٍ.

قوله: (وَلَا نُفَرِّطُ فِي حُبِّ أَحَدٍ مِنْهُمْ... إلخ)

(وَلَا نُفْرِطُ) بسكون الفاء وكسر الراء: لا نغلوا كما تغلوا الرافضة في أهل البيت.

وورد بالتشديد (ولا نُفْرِّطُ): لا نقصِّر ولا نترك.

(وَلَا نَتَبَرَّأُ) كما تفعل الرافضة والخوارج ومن لفَّ لفيفهم ممن يطعن في الصحابة، قال الله تعالى: ﴿لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ﴾ [المائدة:٧٧]، ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات:١٠]، ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا ﴿٥٨﴾﴾ [الأحزاب:٥٨].

وفي الصحيحين (خ ٣٦٧٣) (م ٢٥٤١) عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تسبوا أحداً من أصحابي، فإن أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهباً ما أدرك مُدَّ أحدهم ولا نصيفه».

قوله: (وَنُبْغِضُ مَنْ يُبْغِضُهُمْ... إلخ) كالرافضة والخوارج والمعتزلة وبعض الصوفية وبعض الأحزاب، فلا يجوز الطعن في أحد من الصحابة ولو كان من الأعراب الذين تساهل بعض الناس في شأنهم، فربما ذمهم، نسأل الله تعالى السلامة والعافية!

وهم حملة الدين، ومن طعن في حملة الدين فهو من الماكرين.

قوله: (وَلَا نَذْكُرُهُمْ إِلَّا بِخَيْرٍ) لأن الله تعالى أثنى عليهم وكذلك رسول الله ﷺ أثنى عليهم، وما حصل بينهم من اختلاف أو أخطاء فذلك قليل إلى ما قدَّموه من عمل وخير، والله يتولى أمور العباد ولم يجعل ذلك إلى رافضي أو خارجي أو غيرهما.

قال الله تعالى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾﴾ [البقرة:١٣٤]، ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام:١٦٤]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [التوبة:١١٩]، والصادقون هم الصحابة رضي الله عنهم، وهم فيما جرى بينهم بين مجتهد مصيب وبين مجتهدٍ مخطئ، وكلاهما مأجورٌ إن شاء الله تعالى.



وَحُبُّهُمْ دِينٌ وَإِيمَانٌ وَإِحْسَانٌ، وَبُغْضُهُمْ كُفْرٌ وَنِفَاقٌ وَطُغْيَانٌ.

قوله: (**وَحُبُّهُمْ دِينٌ وَإِيمَانٌ ... إلخ**) عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «آية المنافق بغض الأنصار، وآية المؤمن حب الأنصار»، (خ ١٧)، (م ٧٤).

وبلفظ: «آية الإيمان حب الأنصار، وآية النفاق بغض الأنصار».

وعن البراء رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «لا يحبهم إلا مؤمن، ولا يبغضهم إلا منافق، من أحبهم أحبه الله، ومن أبغضهم أبغضه الله»، (خ ٣٧٨٣)، (م ٧٥).

وعن أبي هريرة وأبي سعيد أن النبي ﷺ قال: «لا يبغض الأنصار رجل يؤمن بالله واليوم الآخر»، (م ٧٦، ٧٧).

وعن علي رضي الله عنه قال: «إنه لعهد النبي ﷺ إليَّ: لا يحبني إلا مؤمن، ولا يبغضني إلا منافق»، (م ٧٨).

وأما كونه (كفر) فلأن الطعن فيهم طعن في الدين، لأنهم حملته إلينا، قال الله تعالى في المنافقين الذين طعنوا في النبي ﷺ ،أصحابه: ﴿ لَا تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ﴾ [التوبة:٦٦]، وفي بغضهم ردٌّ لما ورد في فضلهم من الكتاب والسنة، وهذا كفر. وفي الباب تفاصيل أخرى.



وَنُثْبِتُ الْخِلَافَةَ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَوَّلًا لِأَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه، تَفْضِيلًا لَهُ وَتَقْدِيمًا عَلَى جَمِيعِ الْأُمَّةِ.

قوله: (**وَنُثْبِتُ الْخِلَافَةَ... إلخ**) عن سفينة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «خلافة النبوة ثلاثون سنة، ثم يؤتي الله ملكه من يشاء»، رواه أحمد (٥/ ٢٢٠) وغيره، وصححه الشيخان.

فأبو بكر سنتان وأشهر، وعمر عشر وستة أشهر، وعثمان اثنا عشر سنة، وعلي خمس إلا شهرين، والحسن ستة أشهر، فالمجموع ثلاثون.

وعن عائشة رضي الله عنها سئلت: من كان رسول الله ﷺ مستخلفاً لو استخلفه؟ قالت: أبو بكر، فقيل لها: ثم من؟ قالت: عمر، ثم قيل لها: ثم من بعد عمر؟ قالت: أبو عبيدة بن الجراح. ثم انتهت إلى هذا. (م ٢٣٨٥).

وعنها أن رسول الله ﷺ قال لها في مرضه: «ادعي لي أباك وأخاك حتى أكتب كتاباً، فإني أخاف أن يتمنى متمنٍّ ويقول قائل: أنا أولى، ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر»، (خ ٥٦٦٦)، (م ٢٣٨٧).

وأجمع الصحابة على أفضلية أبي بكر وخلافته.

وعن محمد بن الحنفية (بن علي رضي الله عنه) قال: قلت لأبي: أي الناس خير بعد رسول الله ﷺ؟ قال: أبو بكر. قلت: ثم من؟ قال: ثم عمر. وخشيت أن يقول: عثمان، قلت: ثم أنت؟ قال: ما أنا إلا رجل من المسلمين. (خ ٣٧٦١).



ثُمَّ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه، ثُمَّ لِعُثْمَانَ رضي الله عنه.

قوله: (**ثُمّ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطّابِ** رضي الله عنه) عن ابن عمر ۞ أن النبي ﷺ قال: «أريت في المنام أني أنزع بدلو على قليب، فجاء أبو بكر فنزع ذنوباً أو ذنوبين نزعاً ضعيفاً، والله يغفر له، ثم جاء عمر بن الخطاب فاستحالت غرباً، فلم أر عبقرياً يفري فريه حتى روى الناس وضربوا بعطن»، (خ ٣٦٨٢)، (م ٢٣٩٣).

وهذه إشارة إلى خلافة عمر، وقد استخلفه أبو بكر وأجمع المسلمون عليه. في الصحيحين (خ ٧٢١٨) (م ١٨٢٣) عن ابن عمر ۞ قال: قيل لعمر؟ ألا تستخلف؟ فقال: إن أستخلف فقد استخلف من هو خير مني أبو بكر، وإن أترك فقد ترك من هو خير مني رسول الله ﷺ.

قوله: (**ثُمّ لِعُثْمَانَ**) عن عمرو بن ميمون $ تعالى في قصة موت عمر رضي الله عنه أن عبد الرحمن بن عوف اجتمع بالستة الذين أوصى عمر ... ثم قال: ارفع يدك يا عثمان، فبايَعه، فبايعه بقيتهم وولج أهل الدار فبايعوه... (خ ٣٧٠٠)، وأجمع المسلمون عليه.



ثُمَّ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه.

وَهُمُ الْخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ، وَالْأَئِمَّةُ الْمَهْدِيُّونَ.

قوله: (ثُمَّ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ) عن علي رضي الله عنه قال: اللهم إني أبرأ إليك من دم عثمان، ولقد طاش عقلي يوم قتل عثمان وأنكرت نفسي وجاءوني للبيعة، فقلت: والله إني لأستحي من الله أن أبايع قوماً قتلوا رجلاً قال رسول الله ﷺ: «ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة»، وإني لأستحي من الله أن أبايع وعثمان قتيل على الأرض لم يُدفن بعد، فانصرفوا، فلما دُفِن رجع الناس فسألوني البيعة، فقلت: اللهم إني مشفق مما أقدم عليه، ثم جاءت عزيمة فبايعت، فلقد قالوا: يا أمير المؤمنين، فكأنما صدع قلبي.

رواه الحاكم (٣/ ٩٥)، وصححه الوادعي. ومناقب علي رضي الله عنه كثيرة جداً.

قوله: (وَهُمُ الْخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ، وَالْأَئِمَّةُ الْمَهْدِيُّونَ) كما في حديث العرباض بن سارية المشهور – وقد تقدم – وفيه: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي، تمسكوا بها»، رواه أحمد وأبو داود وصححه الشيخان.

وحديث سفينة السابق أيضاً: «خلافة النبوة ثلاثون سنة...» رواه أحمد وغيره.

وأجمع أهل السنة على أن أفضلية الخلفاء كما رُتبت خلافتهم: أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضي الله عنهم.



وَأَنَّ الْعَشَرَةَ الَّذِينَ سَمَّاهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَبَشَّرَهُمْ بِالْجَنَّةِ، نَشْهَدُ لَهُمْ بِالْجَنَّةِ، عَلَى مَا شَهِدَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَقَوْلُهُ الْحَقُّ، وَهُمْ. أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَعُثْمَانُ، وَعَلِيٌّ، وَطَلْحَةُ، وَالزُّبَيْرُ، وَسَعْدٌ، وَسَعِيدٌ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ، وَهُوَ أَمِينُ هَذِهِ الْأُمَّةِ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ.

قوله: (**وَأَنَّ الْعَشَرَةَ الَّذِينَ سَمَّاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ... إلخ**) عن سعيد بن زيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «عشرة في الجنة: أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير في الجنة، وسعد في الجنة، وسعيد في الجنة، وأبو عبيدة في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة»، رواه ابن ماجه (١٣٣) والترمذي (٣٧٤٨) وصححه الشيخان.

قوله: (**وَقَوْلُهُ الْحَقُّ**) تقدمت هذه المسألة عند قوله: (ونرجو للمحسنين من المؤمنين...)، والشهادة بالجنة تكون لمن ورد النص الصحيح في حقه.

قوله: (**وَهُوَ أَمِينُ هَذِهِ الْأُمَّةِ**) عن حذيفة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال لأهل نجران: «لأبعثن معكم رجلاً أميناً حق أمين، قم يا أبا عبيدة بن الجراح»، (خ ٤٣٨٠)، (م ٢٤٢٠).



وَمَنْ أَحْسَنَ الْقَوْلَ فِي أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَأَزْوَاجِهِ الطَّاهِرَاتِ مِنْ كُلِّ دَنَسٍ، وَذُرِّيَّاتِهِ الْمُقَدَّسِينَ مِنْ كُلِّ رِجْسٍ، فَقَدْ بَرِئَ مِنَ النِّفَاقِ.

قوله: (فَقَدْ بَرِئَ مِنَ النِّفَاقِ) سبق بعض الكلام حول هذا قريباً.

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ٣٣﴾ [الأحزاب:٣٣].



وَعُلَمَاءُ السَّلَفِ مِنَ السَّابِقِينَ، وَمَنْ بَعْدَهُمْ مِنَ التَّابِعِينَ - أَهْلِ الْخَبَرِ وَالْأَثَرِ، وَأَهْلِ الْفِقْهِ وَالنَّظَرِ - لَا يُذْكَرُونَ إِلَّا بِالْجَمِيلِ، وَمَنْ ذَكَرَهُمْ بِسُوءٍ فَهُوَ عَلَى غَيْرِ السَّبِيلِ.

وَلَا نُفَضِّلُ أَحَدًا مِنَ الْأَوْلِيَاءِ عَلَى أَحَدٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وَنَقُولُ: نَبِيٌّ وَاحِدٌ أَفْضَلُ مِنْ جَمِيعِ الْأَوْلِيَاءِ.

قوله: (وَعلَماءُ السّلَفِ مِنَ السّابِقينَ... إلخ) قال الله تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة:١١]، ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النساء:١١٥].

أهل السنة يحترمون علماء الإسلام، لأنهم حملة الدين وحماة الإسلام وهداة المسلمين، فالطعن فيهم طعن في الدين، والطعن فيهم علامة المنافقين والملحدين وأهل الأهواء الضالين، والمراد بالعلماء: علماء الكتاب والسنة لا علماء الجهل والبدعة.

قوله: (وَلا نُفضّلُ أحدًا مِنَ الأوْلياءِ... إلخ) هذا حق، وهو ردٌّ على الصوفية الضالة المنحرفة الذين يفضلون الولي، قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [النساء:٦٤]، ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران:٣١]، فأوجب على جميع الخلق اتباع الرسل، وأعظم الولاية اتباع الرسل ظاهراً وباطناً، ولكن الصوفية قومٌ بهت، ذوو إلحاد وشرك، وعقيدتهم مبنية على الضلال والبدع ومنها الحلول والاتحاد، إلا القلة منهم من جهالهم.



وَنُؤْمِنُ بِمَا جَاءَ مِنْ كَرَامَاتِهِمْ، وَصَحَّ عَنِ الثِّقَاتِ مِنْ رِوَايَاتِهِمْ.

قوله: (وَنُؤْمِنُ بِمَا جَاءَ مِنْ كَرَامَاتِهِمْ) أهل السنة يؤمنون بكرامات الأولياء الصحيحة لأنها حق، وأعظم كرامة دوام الاستقامة، ولا تصح كرامة بدون استقامة، وليس للصوفي كرامة، فهو مبتدع ولكنهم كثيرو الشطحات.

والكرامة ،هي: آية من آيات الله تعالى تظهر على يد عبد من عباد الله تعالى. كما في قصة جريج وأصحاب الغار الثلاثة الذين أطبقت عليهم الصخرة، وإجابة دعوة سعد بن أبي وقاص، وإضاءة عصا أسعد بن زرارة... إلخ.

وانظر كتاب «كرامات الأولياء» للعلامة شيخنا عبد الر قيب الإبي.

وقال الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ﴾ [الطلاق:٢-٣]، ﴿قَالَ ٱلَّذِي عِندَهُۥ عِلۡمٞ مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ طَرۡفُكَۚ﴾ [النمل:٤٠]، وهذه كرامة من الله تعالى.



وَنُؤْمِنُ بِأَشْرَاطِ السَّاعَةِ : مِنْ خُرُوجِ الدَّجَّالِ، وَنُزُولِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ السَّمَاءِ، وَنُؤْمِنُ بِطُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَخُرُوجِ دَابَّةِ الْأَرْضِ مِنْ مَوْضِعِهَا.

قوله: (وَنُؤْمِنُ بِأَشْرَاطِ السَّاعَةِ) أي: علامات قرب قيام الساعة الصغرى والكبرى، قال تعالى: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾ [محمد:١٨]، أي: علامات تدل على قربها.

قوله: (مِنْ خُرُوجِ الدَّجَّالِ) وردت أحاديث كثيرة جداً في شأن الدجال وأخباره، ومن ذلك حديث حذيفة بن أسيد رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن الساعة لا تكون حتى تكون عشر آيات: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف في جزيرة العرب، والدخان، والدجال، ودابة الأرض، ويأجوج ومأجوج، وطلوع الشمس من مغربها، ونار تخرج من قعر عدن تَرْحَل الناس»، (م ٢٩٠١/ ٤٠).

وأحاديث الدجال واردة عن أبي هريرة وابن عمر وعائشة وابن عباس وأبي سعيد وأنس وجابر وتميم الداري وفاطمة بنت قيس وعقبة بن عمرو وأبي مسعود الأنصاري والنواس بن سمعان والمغيرة وعبد الله بن عمرو وابن مسعود وسهل بن سعد وجمع غفير سواهم.

وهو موجود من قبل زمن النبي ﷺ حقيقة مكبَّلٌ بالحديد حتى يأذن الله بخروجه متى شاء سبحانه.

قوله: (وَنُزُولِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ) أما نزول عيسى عليه السلام فقد قال الله تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾﴾ [النساء:١٥٩]، وحديث حذيفة السابق، وفي الباب عن أبي هريرة والنواس بن سمعان وابن عمر وجماعة.

وقد قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾ [الزخرف:٦١]، أي: علامة لقربها عند نزوله.

وأما طلوع الشمس من مغربها فقد سبق حديث حذيفة، وقد قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ﴾ [الأنعام:١٥٨] الآية.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا رآها الناس آمن مَن عليها فذاك حين ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ﴾»، (خ ٤٦٣٥)، (م ١٥٧).

وأما خروج الدابة فقال الله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [النمل:٨٢]، وهذه الدابة تَسِمُ الناس بعلامات يُعرف بها المؤمن من الكافر.



وَلَا نُصَدِّقُ كَاهِنًا وَلَا عَرَّافًا.

قوله: (وَلَا نُصَدِّقُ كَاهِنًا وَلَا عَرَّافًا) الكاهن: هو الذي يدَّعي علم الغيب بسبب تعامله مع الشياطين.

والعرَّاف: هو الذي يدعي علم الغيب بالتخمين والدجل...

والمنجم: يدعي علم الغيب بواسطة النظر إلى النجوم ...

وكلهم دجالون كذابون كفار فسقة، وما يظهرون من الخوارق شعوذة وتخيلات.

كما قال تعالى: ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾ [طه:٦٦]، وقال الله تعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾﴾ [الشعراء:٢٢١-٢٢٣].

وفي الصحيحين (خ ٦٢١٣) (م ٢٢٢٨) عن عائشة رضي الله عنها قالت: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الكهان، فقال رسول الله ﷺ: «ليسوا بشيء»، قالوا: يا رسول الله، إنهم يحدثوننا أحياناً بالشيء يكون حقاً؟ فقال: «تلك الكلمة من الحق يخطفها الجني فيقرها في أذن وليه قرَّ الدجاجة، فيخلطون فيها أكثر من مائة كذبة».

ولا يعلم الغيب إلا الله تعالى، كما سبق في موضعه.



وَلَا مَنْ يَدَّعِي شَيْئًا يُخَالِفُ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ وَإِجْمَاعَ الْأُمَّةِ.

وَنَرَى الْجَمَاعَةَ حَقًّا وَصَوَابًا، وَالْفُرْقَةَ زَيْغًا وَعَذَابًا.

قوله: (وَلَا مَنْ يَدَّعِي شَيْئًا يُخَالِفُ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ) لأن الكتاب والسنة والإجماع حق، وما خالفها باطل، وهذا ردٌّ على أصحاب المكاشفات والشطحات من الصوفية والرافضة وغيرهم، قال الله تعالى: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف:٣]، ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿١٧٦﴾﴾ [البقرة:١٧٦].



وَدِينُ اللهِ فِي الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ وَاحِدٌ، وَهُوَ دِينُ الْإِسْلَامِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [سورة آل عمران:١٩]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [سورة المائدة:٣].

وَهُوَ بَيْنَ الْغُلُوِّ وَالتَّقْصِيرِ، وَبَيْنَ التَّشْبِيهِ وَالتَّعْطِيلِ.

وَبَيْنَ الْجَبْرِ وَالْقَدَرِ،

وَبَيْنَ الْأَمْنِ وَالْإِيَاسِ.

قوله: (وَدِينُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ وَاحِدٌ) قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران:١٩]، أي: الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة، والبراءة من الشرك وأهله.

قوله: (وَهُوَ بَيْنَ الْغُلُوِّ وَالتَّقْصِيرِ) قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾ [المائدة:٧٧]، فذم الغلو وهو تجاوز الحد والتشديدُ، وذم التقصير: هو الجفاء، أي: عدم أداء المطلوب. قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة:١٤٣] الآية. ووسطية الأمة من وسطية دينها. وقال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج:٧٨]، ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة:٢٨٦] الآية. وفي قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحَرِّمُوا۟ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ [المائدة:٨٧]، هذا تحريم للغلو، ﴿وَلَا تَعْتَدُوٓا۟﴾ نهي عن التقصير والغلو أيضاً.

قوله: (وَبَيْنَ التَّشْبِيهِ وَالتَّعْطِيلِ) قال الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ رد على الممثلة، ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١] رد على المعطلة. وقد سبق حول هذا كلام كثير.

قوله: (وَبَيْنَ الْجَبْرِ وَالْقَدَرِ) الجبرية هم الذين يقولون العبد مجبور على فعله، فغالوا في إثبات القدر حتى نفوا اختيار العبد وفعله، والقدرية: غالوا في نفي القدر وإثبات اختيار العبد وفعله

فقالوا: إنه يخلق فعله. وكلاهما على ضلال، كما سبق في باب القدر.

قوله: (وَبَيْنَ الْأَمْنِ وَالْإِيَاسِ) تقدم أدلة ذلك عند الكلام على الخوف والرجاء. والإسلام يدعو إلى الخوف والرجاء معاً كما سبق، وينهى عن الأمن والإياس.



فَهَذَا دِينُنَا وَاعْتِقَادُنَا ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، وَنَحْنُ بَرَاءٌ إِلَى اللهِ تَعَالَى مِنْ كُلِّ مَنْ خَالَفَ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ وَبَيَّنَّاهُ.

قوله: (وَنَحْنُ بَرَاءٌ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى... إلخ) لو قال: برآء مما خالف الكتاب والسنة لكان أولى، فكل بني آدم خطَّاء، فقد زل قلم المؤلف في باب الإيمان، وذكر بعض الكلام المجمل في مواضع، والله المستعان!

قال الله تعالى: ﴿فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾﴾ [الشعراء:٢١٦]، وقال تعالى عن إبراهيم وأتباعه: ﴿إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ [الممتحنة:٤] الآيات. فالبراء وهو البغض والبعد من الباطل وأهله مطلب شرعي.



وَنَسْأَلُ اللهَّ تَعَالَى أَنْ يُثَبِّتَنَا عَلَى الْإِيمَانِ، وَيَخْتِمَ لَنَا بِهِ، وَيَعْصِمَنَا مِنَ الْأَهْوَاءِ الْمُخْتَلِفَةِ، وَالْآرَاءِ الْمُتَفَرِّقَةِ، وَالْمَذَاهِبِ الرَّدِيَّةِ: مِثْلِ الْمُشَبِّهَةِ، وَالْمُعْتَزِلَةِ، وَالْجَهْمِيَّةِ، وَالْجَبْرِيَّةِ، وَالْقَدَرِيَّةِ، وَغَيْرِهِمْ، مِنَ الَّذِينَ خَالَفُوا السُّنَّةَ الْجَمَاعَةَ، وَحَالَفُوا الضَّلَالَةَ.

قوله: (وَالْمَذَاهِبِ الرَّدِيَّةِ) وردت أدعية كثيرة في القرآن والسنة في طلب الثبات على الحق والنجاة من الباطل، قال تعالى عن إبراهيم: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم:٣٥]، وقال سبحانه: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً﴾ [آل عمران:٨].

قوله: (مِثْلِ الْمُشَبِّهَةِ، وَالْمُعْتَزِلَةِ، وَالْجَهْمِيَّةِ... إلخ) الجهمية: أتباع جهم بن صفوان.

والمعتزلة: أتباع واصل بن عطاء، وكلاهما معطلة ينفون صفات الله تعالى.

والمشبهة: هم الممثلة، وهم الذين يمثلون الله تعالى بخلقه.

وسبق آنفاً الكلام على الجبرية والقدرية، وهناك طائفة من غلاة القدرية ينفون علم الله تعالى قبل وقوع الأفعال ...

ومن الفرق الضالة أيضاً: الصوفية والرافضة والقرامطة الملاحدة، والأشاعرة والماتريدية، والحزبية، وجماعة التبليغ، والسرورية، وحزب التحرير، وغيرهم كثير.



وَنَحْنُ مِنْهُمْ بَرَاءٌ، وَهُمْ عِنْدَنَا ضُلَّالٌ وَأَرْدِيَاءُ. وَبِالله الْعِصْمَةُ وَالتَّوْفِيقُ.

قوله: (وَهُمْ عِنْدَنَا ضُلَّالٌ وَأَرْدِيَاءُ) يخرج الرجل من أهل السنة والجماعة إذا اعتنق البدعة وأصر عليها، ووالى وعادى من أجلها، فذلك هو المبتدع الضال.

قوله: (وَبِالله الْعِصْمَةُ وَالتَّوْفِيقُ) نسأل الله تعالى الثبات والإخلاص وحسن الخاتمة، والنجاة من الشرك والبدع والمهلكات.

وصلى الله على محمد وآله صحبه وسلم.

هذا آخر التعليق على العقيدة الطحاوية ولله الحمد والمنة



الفهرس

****